



دار التأليف والترجمة والنشر
جامعة الخرطوم

ملا على

في

السودان

الدكتور حسن احمد ابراهيم

محمد على فى السودان
(دراسة لاهداف الفتح التركى-المصرى)
الدكتور حسن احمد ابراهيم

محمد على فى السودان
(دراسة لأهداف الفتح التركى — المصرى)

الدكتور حسن احمد ابراهيم

الناشرون: دار التأليف والترجمة والنشر

ص . ب : ٣٢١

جامعة الخرطوم

الطابعون

دار الطباعة

دار التأليف والترجمة والنشر

جامعة الخرطوم

ص . ب : ٣٢١

الاهـداء ،

الي ذكرى والدى اهدى هذا الكتاب . .
« المؤلف »

اختصارات

م.ك.أ : مجلة كلية الآداب

SNR : Sudan Notes and Records

**JRGS : Journal of the Royal Geographical Society
of London.**

**BSOAS : Bulletin of the School of Oriental and
African Studies.**

تصدير

هذا بحث عن اهداف فتح محمد على للسودان، فرغت منه فى صورته الاولى وقدمته رسالة لنيل درجة الماجستير من جامعة الخرطوم فى سنة ١٩٦٥ فصادف قبولاً من المتقدمين .

وبتشجيع من بعض الاصدقاء رأيت نشر هذا البحث حتى تعم الفائدة . وعند مراجعته ادخلت عليه بعض التعديلات حتى يستقيم والمستوى الذى وصلت اليه الدراسات فى ميدانه خلال السبع سنوات الماضية .

عظيم شكرى للبروفسور مكى شبيكه الذى أشرف على هذا البحث والبروفسور رتشارد هل والدكتور محمد ابراهيم ابو سليم لمراجعتهما لصيغته النهائية وابدائهما بعض الملاحظات القيمة . واشكر البروفسور هلن ريفلين بجامعة ولاية نيويورك والدكتور يوسف فضل والأستاذ الشاطر البصلى عبد الجليل لمساعدتهم لى . وشكرى لموظفى وموظفات دار الوثائق القومية التاريخية بالقاهرة وموظفى مكتبة جامعة الخرطوم أن وضعوا بين يدي كل ما احتجت اليه من وثائق ومراجع . وأخص بالشكر الدكتور عون الشريف قاسم لما بذله من جهد فى قراءة مسودة هذا البحث والاستاذ عبد الماجد يوسف لاعداده فهرس هذا الكتاب .

د. حسن احمد ابراهيم

محمد على فى مصر قبل فتح السودان

ولد محمد على فى سنة ١٧٩٦ فى مدينة قولة من ثغور مقدونية، ورعاه حاكمها الذى زوجه لبنت صديق له، وأوكل له عددا من المهام الحربية كالقضاء على القرصان اليونانيين الذين هددوا الأمن فى المناطق القريبة من قولة فنجح فيها نجاحا باهرا واطهر شجاعة فائقة . عندئذ اختاره حاكم قولة نائبا لقائد الفصيلة المكونة من الجنود الارناؤد الذين ارسلوا مع بقية الجيش العثماني ضد الفرنسيين فى مصر . إلا أن على اغا، ابن حاكم قولة وقائد تلك الفصيلة، تنازل لمحمد على عن قيادتها لعدم رغبته فى الخدمة العسكرية .

بعد جلاء القوات الفرنسية عن مصر سنة ١٨٠١ والقوات الانجليزية سنة ١٨٠٣ تصارع الاتراك العثمانيون والمماليك للاستيلاء على السلطة فى مصر . ألا ان النضال السياسى لم ينته لمصلحة اى منهما وإنما اسفر على سيطرة محمد على على حكم مصر فى سنة ١٨٠٥ . وقد شعر محمد على منذ البداية أنه لن يستطيع القضاء على اعدائه مرة واحدة، فتعاون مع المماليك ضد الوالى التركى خسرو باشا . وعندما قضى عليه انقلب على المماليك فاستغل الخلاف بين قادتهم لتشتيت شملهم وازعاج قوتهم . ولعل محمد على قد احس انه لن يستطيع الاعتماد على الجنود الارناؤد الذين اشتهروا بالفتنة والتمرد، ولذلك تودد الى الشعب المصرى ووعد قاداته ان يحكم بالعدل والمشورة مع رجال الدين اذا استولى على حكم مصر . والظاهر أن زعماء الشعب بقيادة عمر مكرم قد اقتنعوا بان محمد على هو الامل الوحيد لاتقاذ البلاد من ظلم الاتراك فعينوه واليا على مصر سنة ١٨٠٥ . وعندما شعر السلطان العثماني بقوة مركز محمد على والتفاف الشعب المصرى حوله اضطر الى الاعتراف بولايته على مصر بموجب فرمان صدر فى ٩ يوليو سنة ١٨٠٥ .

لم يفقد اعداء محمد على الامل فى القضاء عليه والعودة الى حكم مصر،

فأخذوا يتربصون به من كل جانب . ولما كانت الطريقة التي جاء بها الى الحكم طريقة غير مألوفة سلبت السلطان العثماني من حقه التقليدي في تعيين الولاة وعزلهم في كافة انحاء الامبراطورية العثمانية . فقد كان من الطبيعي ان يعمل الباب العالي على عزل محمد علي الذي ربما حاول الاستقلال بحكم مصر . اما المماليك فقد عملوا على استعادة حكمهم في مصر ، ووجدوا في ذلك تأييدا ومساعدة فعالة من الانجليز الذين ظنوا أن صنائعهم المماليك خير من يحافظ على مصالح بريطانيا الحيوية في مصر .

دبر الانجليز والسلطان العثماني مؤامرة في سنة ١٨٠٦ هدفت الى اقضاء محمد علي عن ولاية مصر وتعيين الزعيم المملوكي محمد بك الالفى في مكانه . الا أن محمد علي تضامن مع الشعب المصري وقادته ، واضطر السلطان العثماني الى التراجع ، فاصدر مرسوما جديدا متضمنا بقاء واستمرار محمد علي على ولاية مصر « حيث أن الخاصة والعامة راضية باحكامه وعدله بشهادة العلماء وأشراف الناس (١) » .

ظنت الحكومة البريطانية في سنة ١٨٠٧ أن فرنسا ربما حاولت مرة ثانية احتلال مصر ولذلك ارسلت حملة الى مصر بقيادة الجنرال فريزر لاحتلالها قبل استيلاء الفرنسيين عليها . سيطرت الحملة على الاسكندرية وتوجهت لاحتلال القاهرة فوجدت مقاومة من الشعب المصري وهزمت في عدة معارك اهمها رشيد والحمام . اخيرا اضطرت تطورات الموقف الدولي بريطانيا على سحب تلك الحملة ، وبذلك تفادى محمد علي خطرا كبيرا على حكمه .

بعد انتصاره على دسائس الباب العالي وانسحاب الحملة الانجليزية فكر محمد علي جديا في الانفراد بحكم مصر . ولتحقيق هذه الغاية كان لابد له من الخلاص من الزعامة الشعبية التي كانت بمثابة الرقيب على كل اعماله

(١) الرافعي : تاريخ الحركة القومية ، ج ٣ ، ص ٣٤ .

والمماليك الذين مازالوا خطرا عليه رغم كل انتصاراته السابقة عليهم . لم يكسب زعماء الشعب المواطنين ولم يتمكنوا من تحقيق تلك الانتصارات الابوحدية كلمتهم ، ولكن بعد سيطرة محمد على على الحكم ظهرت بوادر خلاف حاد بينهم ، قضى على وحدتهم وسهل لمحمد على مهمة الخلاص من نفوذهم . وقد دب الحسد بصفة خاصة في نفوس الكثير من الزعماء على عمر مكرم الذى استطاع بتزاهته وعلو نفسه أن ينال مكانة سامية بين الاهالى وفى الدولة . استغل محمد على كراهية معظم الشيوخ لعمر مكرم فنفاه فى سنة ١٨٠٩ الى دمياط عندما احتج على ضريبة فرضتها الحكومة لمعالجة الازمة الاقتصادية الحادة فى ذلك الوقت . وبعد الخلاص منه تواطأ بقية زعماء الشعب مع محمد على وايدوا سياسته وباركوها ، وبذلك تمكن من القضاء على الرقابة الشعبية . اما المماليك فقد استطاع محمد على القضاء عليهم فى مذبح القلعة الشهيرة التى دبرها لهم فى ١٨١١ والتى قتل فيها وحدها اكثر من الف قتيل ، ناهيك عن القتلى من المماليك فى المقاطعات المصرية الاخرى (١) لقد كان محمد على «ميكافليا» فى تفكيره ، فهو قد عزم على الاستيلاء على حكم مصر والانفراد به ، واتبع طرقا متعددة ووسائل شتى لتحقيق هذا الهدف . قد يدين الباحث بعض هذه الوسائل والطرق ، الا أنه لا بد له أن يشيد بحكمة محمد على ومقدرته السياسية والعسكرية التى ساعدته على الانفراد بحكم مصر وتحقيق بعض الانتصارات فى المجالين الداخلى والخارجى .

(1) Robinson : SNR 5 (1922), "The Mamelukes in the Sudan," P. 89.

السودان قبل فتح محمد علي

منذ القرن التاسع الميلادي بدأت موجة الهجرات العربية الى السودان الشرقي - ونعني به السودان الحالي ماعدا المديرية الجنوبية - وبلغت ذروتها في منتصف القرن الرابع عشر عندما تدفق المهاجرون العرب في اعداد كبيرة نحو مملكة المقره المسيحية، واستمروا جنوبا الى المنطقة الوسطى من حوض النيل وارض البطانة والجزيرة وبعضهم وصل الى سهول كردفان ودارفور . وقد اختلط العرب بالمجموعات الوطنية وبمرور الزمن تبوأوا المراكز القيادية في المجتمع ونشروا الاسلام بين سكان البلاد . وعندما انتشرت الثقافة العربية ووضحت غلبة الاسلام ، ظهرت سلسلة من السلطنات الاسلامية في السودان الشرقي في الفترة بين منتصف القرن الخامس عشر واول القرن التاسع عشر (١) . واهم هذه الممالك هي مملكة الفونج « السلطنة الزرقاء » وسلطنة الفور، بينما شهد اقليم كردفان الواقع بينهما مولد مملكتين صغيرتين هما تقلي والمسبعات .

وفي اواسط القرن السابع عشر اسس سليمان سولونق الذي انحدر من الكيرا « فرع من قبيلة الكنجاره الفوراوية » مملكة دارفور، وظلت سلالة الكيرا تحكمها حتى قضى عليها الزير باشا في معركة منواشي سنة ١٨٧٤ . وبلغت سلطنة الفور اوج عظمتها في عهد السلطان عبد الرحمن الرشيد الذي شجع في اواخر القرن الثامن عشر الدناقلة والجعلين من سكان وادي النيل - خاصة العلماء و « الفقراء » منهم - على الهجرة الى دارفور حيث اشتغلوا بنشر تعاليم الدين والتجارة . وفي عهده زادت صلة دارفور بالعالم الخارجي ، فاتصل بالسلطان العثماني وهناً نابليون بونابرت عند انتصاره على المماليك في مصر (٢) .

(١) يوسف فضل : مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية ، ص ٧ - ٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨١ - ٩٥ .

اجمع المؤرخون حتى عهد قريب على أن سقوط مملكة علوة المسيحية
تم نتيجة اتفاق ثنائي بين الفونج والبدلاب، ومن ثم تكونت مملكة الفونج
الاسلامية التي سيطرت على الجزء الشمالى من السودان الشرقى من سنة ١٥٠٤
حتى ١٨٢١ . الا أن دراسات حديثة ابتدعها البروفسور هولت ترجح أن
القبائل العربية بقيادة عبد الله جماع هى التى اسقطت سوبا عاصمة علوه (١) .
وبعد هذا تمكن الفونج من هزيمة البدلاب فى اريجي سنة ١٥٠٤ وبالتالى
سيطروا على مملكة الفونج التى تربع على عرشها نحو خمس وعشرين سلطانا .
لم تكن سلطنة الفونج جسما واحدا متحدا وانما كانت مجموعة من
الممالك والشيخات منها ماخضع للفونج رأسا ومنها ماخضع لهم بواسطة
البدلاب . فالتى خضعت للفونج رأسا مشيخة خشم البحر ومشيخة الحمد
ومملكة بنى عامر ومملكة الحلائقة . ودانت لهم بواسطة البدلاب مشايخ
متعددة نذكر منها ممالك الجعليين والميرقاب والرباطاب ومشايخات الشنابلة
والجموعية والحمدية والمناصير . والسلطنة الزرقاء كانت ابعد ماتكون عن
الحكومة المركزية، فليست هناك مؤسسات ادارية، ولم يتعد تدخل السلطان فى
الشئون الداخلية للمملكات والمشايخ جباية الضرائب وتعيين زعيم او شيخ
فى مكان المتوفى . وقد اعتمدت مملكة الفونج فى تنفيذ سياستها وتأديب
القبائل المتمردة التى رفضت دفع الضرائب على جيش قوى مدرب أهم
عناصره الحيلة (٢) .

اتفق الفونج والبدلاب على تقسيم مملكة الفونج الى قسمين كبيرين،
فاوكل حكم البلاد من اريجي شمالا حتى جبال فازوغلى جنوبا للفونج، بينما
تركت ادارة المناطق من اريجي حتى الشلال الثالث للبدلاب على أن يكون
ذلك تحت سيادة الفونج . ووضح منذ البداية أن الفونج هم اصحاب الكلمة

(1) Holt : BSOAS 23 (1960), "A Sudanese Historical Legend"
pp. 1-12.

(٢) يوسف فضل : مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية ، ص ٧٤ .

العليا في السلطنة الزرقاء . فكان زعيمهم عمارة دونقس هو الملك الأعظم والمقدم على شيخ العبدلاب عبد الله جماع .

لم تكن العلاقات بين الحليفين كلها مودة وصفاء، بل أنها كثيرا ما ساءت وتدهورت تدهورا ادى الى الحرب وسفك الدماء . ولعل هذا التنافس هو السبب الاساسى فى ضعف فعالية المملكة واضمحلالها فى آخر الامر . وقد كان للخلاف الحاد الذى نشب بينهما فى ايام الملك عدلان ولد آبه « ١٦٠٥ - ١٦١٢ » اثر كبير فى تحديد علاقاتهما . لانعرف بالتحديد اسباب هذا النزاع ، فقد ذكرت مصادر العبدلاب أنه نشب لاختلاف فى بعض المسائل الدينية ، ورجح كروفرد اسبابه الى خلاف بينهما حول تغير بعض العادات والتقاليد فى سنار (١) . المهم أن هذا الخلاف بين الحليفين ادى بهما الى الصدام المسلح سنة ١٦١١ - ١٦١٢ فى معركة كركوج الواقعة بالقرب من الجريف شرق والتي انتهت بهزيمة فادحة للعبدلاب قتل فيها شيخهم عجيب المانجلك . هرب اولاد الشيخ عجيب الى دنقلا ولكنهم عادوا الى مشيختهم اثر توسط من الشيخ ادريس ود الارباب . وبعد هذه المعركة الحاسمة تضعضع نفوذ شيوخ العبدلاب وقويت شوكة ملوك الفونج وظهر بينهم سلاطين مشهورين ذاع صيتهم خارج حدود البلاد .

ويعتبر عهد بادى ابودقن « ١٦٤٥ - ١٦٨٠ » العصر الذهبى لمملكة الفونج ، وشهد توسعا كبيرا فى كردفان عندما غزت جيوش الفونج مملكة تقلى الاسلامية واجزاء كبيرة من جبال النوبة بما فيها جبل الداير وبعض سهول كردفان . ترك الفونج ملك تقلى فى منصبه بعد ان قبل دفع جزية سنوية لهم ، وعهدوا الى الغديات حكم منطقتى جبل الداير وبعض سهول كردفان نيابة عنهم . وهكذا تحققت للفونج السيطرة على جبال النوبة حتى يضمّنوا مصدرا ثابتا للرقيق . غير أن المسببات - قبيلة فوراوية نافست الكيرا فى عرش دارفور - حاولوا خلق مملكة لهم فى كردفان ليتخذوها قاعدة

(1) Crawford : The Fung Kingdom, pp. 177.

للهجوم على دارفور . وعندما زاد نفوذهم هناك تدخل الفونج سنة ١٧٤٧ فهزموا مرتين ، ولكنهم استطاعوا اخيرا بقيادة الشيخ محمد ابو لكيك -زعيم الهمج - الانتصار على المسبغات . وظل ابو لكيك حاكما على كردفان لمدة اربعة عشر عاما نجح فيها فى بناء جيش قوى اطمأن لولائه له (١) .

وقد اتسم النصف الاول من عهد السلطان بادی ابو شلوخ بالعدل والرخاء ، واهم ما يميزه هو انتصار جيوش الفونج بقيادة الامير خميس على جيوش الامبراطور الحبشى اياسو فى ٨ مارس ١٧٤٤ . وقد رفع هذا لانتصار الباهر على الاحباش المسيحيين من شأن سنار بين الاقطار الاسلامية ، فقصدتها الوفود من الحجاز والهند والمغرب الاقصى . الا أن بادی قد استبد بالحكم فى النصف الثانى من عهده -خاصة بعد وفاة وزيره العادل دوكة - فارتكب كثيرا من المظالم حتى أنه تجرأ وقتل العالم المشهور الخطيب عبد اللطيف . ثم أنه غير الكثير من القوانين والعادات المعروفة فى البلاد واهمل اعيان الفونج وقرب اليه النوبة فاقطعهم الاراضى الواسعة ليستعين بهم على اعدائه . ولما تمادى بادی فى جبروته اتفق «اهل الاصول» من الفونج مع ابي لكيك على عزله . اضطرت هذه التطورات ابولكيك لمغادرة كردفان والتوجه الى سنار حيث طرد السلطان بادی وعين ابنه ناصر ملكا من بعده . وبرحيل ابي لكيك انهار ماحققة الفونج فى كردفان وقضت مملكة الفونج ايامها الأخيرة هناك فى صراع شديد مع المسبغات والفور لضمان نفوذها هناك . وقد تم النصر أخيراً للفور ، وظلت كردفان تابعة لهم منذ انسحاب الفونج سنة ١٧٨٦ وحتى دخول الجيش التركى سنة ١٨٢١ (٢) .

وبانتهاء عهد الملك بادی ابوشلوخ انتهت سيطرة الفونج الفعلية على البلاد واصبح الحل والعقد بيد الهمج تحت زعامة ابولكيك . والهمج مثلوا بقايا الشعوب الاصلية التى سكنت جنوب الجزيرة عند قيام مملكة الفونج ،

(١) يوسف فضل : مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧١ .

وظلوا نحو قرنين ونصف تحت حكم الفونج . ويقول البعض أنهم خليط من النوبة والعرب ، بينما تحدد بعض الروايات صلتهم بالعوضيه والجعليين . وبما أن ابا لكيلك تمتع بشخصية قسوية — ولعله من اكفا وأقدر الشخصيات التى انجبتها السودان (١) — فقد استطاع خلال الاربعة عشر عاما التى استولى فيها على حكم سلطنة الفونج أن يحافظ على وحدتها وامنها وأن يقيم فيها جهازا حربيا ممتازا . وفوق هذا فقد احسن معاملة رعاياه فزال المظالم واقام العدل فى البلاد . الا أنه بعد وفاته انعدمت الشخصية القوية التى تستطيع المحافظة على النظام ، واصبحت البلاد مسرحا للفتن لمدة استمرت نحو خمس واربعين عاما . ولعل السبب الرئيسى لهذا التدهور هو أن ابا لكيلك قضى على « مجلس الشورى » ، ذلك الجهاز التقليدى الذى تكون من زعماء الفونج وكبارهم ، وكان مسئولاً عن خلع السلطان « اذا تنكب الطريق أو اصبح متهتكا خليعا » (٢) .

لم يكن الخلاف بين الهمج خلافا حول المبادئ ، وانما كان حول السلطة بين ابناء العم من الهمج واحيانا بين الاخوان . وقد ظهرت بوادره منذ وفاة ابي لكيلك سنة ١٧٧٦ فى عهد خليفته وابن اخيه الشيخ بادي بن رجب حيث ثار ضده ابناء ابو لكيلك بالتعاون مع عدلان ملك الفونج والشيخ محمد الامين مسمار شيخ العبدلاب وقد استمر هذا الصراع بين الهمج طوال مدة سيطرتهم على البلاد حتى أن الواحد منهم ما كان يصل الى الحكم إلا « على دماء بنى عمومته » (٣) . وقد وضع هذا جليا فى اواخر ايام سلطنة الفونج عندما قتل الشيخ محمد عدلان — ثامن وزراء الهمج وآخرهم — سنة ١٨٠٩ جميع ابناء الوزير الهمجى السابق حسن ود رجب حتى يستطيع أن ينفرد بالسلطة . وقد اشترك العبدلاب فى جزء من هذا الصراع مع الفونج ضد الهمج .

(1) MacMichael : A History of the Arabs, vol. I, P. 411.

(٢) شبيكة : ملكة الفونج الإسلامية ، ص ١٠٢ .

(٣) شبيكة : السودان فى قرن ، ص ٣ .

وهكذا نتيجة لتدهور سلطات الملك والحلافات الحادة بين زعماء
الهمج ضعفت السلطة المركزية فى البلاد وبالتالى انهدت اركان سلطة الفونج
وتعرض امنها ووحدها الى اخطار بالغة . وقد تميزت اواخر ايام الفونج
بالمناوشات والحلافات الحادة بين الممالك والمشيوخات من جهة وبينها وبين
السلطة المركزية من جهة اخرى . وقد استغلت الممالك والمشيوخات ضعف
السلطة المركزية فاستقل كثير منها عن سلطان سنار استقلالا لحقة محدودة
او استقلالا امتد حتى الفتح المصرى . وكان الشايقية اول من تمرد على الفونج
فى النصف الثانى من القرن السابع عشر وفرضوا سيادتهم على دنقلا باسرها .
وقد تمكن العبدلاب بقيادة شيخهم محمد الامين وبتأييد من سلطان سنار
عدلان من تحقيق قدر كبير من الاستقلال بعد أن هزموا الهمج وقتلوا زعيمهم
بأدى ودرجب سنة ١٧٨٠ ، كما صار الشكرية اعظم قوة فى البطانة .

وقد انتهت فترة الاضطراب والفوضى هذه بحملة اسماعيل كامل بن
محمد على عند فتحه للسودان سنة ١٨٢١ .

الفصل الاول

أسباب فتح محمد علي للسودان

أسباب فتح محمد علي للسودان

يحدثنا التاريخ أن معظم السلاطين والملوك الذين استقلوا بحكم مصر منذ اقدم العصور فكروا في امتداد ملكهم جنوبا نحو السودان . فالفراعنة منذ الأ سر الاولى بدأوا اتصالاتهم مع السودان واستمرت تلك الاتصالات في عهد الدولة المصرية القديمة والدولة الوسطى الا أنها اخذت شكلا جادا في الدولة المصرية الحديثة حيث ارسل معظم فراعنتها جيوشا بقصد احتلال السودان وضمه للممتلكات المصرية . ويمكننا أن نعتبر أن الفتح الحقيقي للسودان بدأ في عهد تحتمس الاول . احد فراعنة تلك الدولة ، إذ أنه قاد جيشا في السنة الثانية من حكمه وتوجه جنوبا فاتحاً البلاد حتى جزيرة تومبس جنوبي الشلال الثالث حيث ترك هناك لوحة مشهورة تعرف باسم «لوحة تومبس» . ولم تفتقر العلاقات بين القطرين الا منذ أن تعاقب على حكم مصر شعوب اتتها غازية وجعلتها ولاية ضمن امبراطورية أخرى . هكذا كان الحال في عهود الفرس واليونان والرومان والأتراك اخيرا (١) .

لذلك لم يكن من الشاذ ولا المستغرب أن يفكر محمد علي ، وهو الذي اتى الى الحكم بعد فترة ضعف لاقى فيها المصريون كل انواع الذل والهوان ، اقول لم يكن مستغربا أن يفكر في التوسع جنوبا نحو السودان ، خاصة وأنه اراد أن تكون لمصر بقيادته شخصية مستقلة . ولولا أن الحت تركيا على الباشا بتجريد جيش لاختضاع الوهابيين ربما كان « فتح السودان اول حروبه بعد

(١) بعد فتح مصر سنة ١٥١٧ تقدم السلطان سليم إلى سواكن ومصوع فامتلكهما ودخل الحبشة بقصد الزحف على سنار . خاطب سليم عمارة دنقس ودعاه إلى الطاعة، الا أن عمارة أجابه بما مفاده : «انى لا أعلم ما الذى يحملك على حربى وإملاك بلادى فان كان لأجل تأييد دين الإسلام فانى أنا وأهل مملكتى عرب ندين بدين الله ورسوله وان كان الغرض مادى فأعلم أن أكثر أهل مملكتى عرب بادية وقد هاجروا إلى تلك البلاد في طلب الرزق ولا شىء عندهم تجمع منه جزية سنوية » . أخيرا عدل السلطان سليم عن غزو سنار . شقير : ج ٣ ، ص ٧٣ .

رد الغزوة الانجليزية (١) سنة ١٨٠٧ . هذا وقد كان الوفد الذى ارسله محمد على سنة ١٨١٢ الى سلطان سنار دليلا قاطعا على اهتمامه بالسودان . فبالرغم من أن السبب الرسمى لهذا الوفد كان تحريض حكومة سنار لطرد المماليك الذين لجأوا من مصر للسودان ، الا أن الباشا اراد به فى المقام الاول «الاستطلاع على احوال البلاد ومايلزم من الجيوش لفتحها» (٢) . وبعد التقرير الذى رفعه ذلك الوفد لمحمد على موضحا فيه ضعف مملكة سنار العسكرية وعدم وحدتها السياسية (٣) قوى عزمه فسافر فى سنة ١٢٣٥ « ١٨١٩ - ١٨٢٠ » الى صعيد مصر ليجهز للحملة التى قرر ارسالها الى السودان (٤) .

اعترف كل من المؤرخين الاوربين «دودويل» «Dodwell» (٥) و«ديهيرين» «Deherain» (٦) أن الحصول على العبيد والتنقيب عن المعادن كانا اهم سببين للفتح ، الا أنهما لم يحددا ايهما كان اهم من الآخر . ولكن بالرجوع الى الوثائق يتضح لنا بما لا يدع مجالا للشك أن الحصول على العبيد كان اهم بكثير من التنقيب عن الذهب والمعادن الأخرى . ففي رسالة الى

(١) الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، ج ٣ ، ص ٧٣ .

(٢) شقير : ج ٣ ، ص ٢ .

(3) Holt : A Modern History P. 36.

(٤) يذكر الجبرتي ان الاراء اختلفت حول أغراض هذه الرحلة فيقول : « .. وكان الناس قد تقولوا على ذهابه إلى قبل أقاويل منها أنه يريد التجريد على بواقي المصريين المنقطعين بدنقلا فانهم إستفحل أمرهم واستكثروا من شراء العبيد وصنع البارود والمدافع وغير ذلك ، ومنها أنه يريد التجريد أيضا وأخذ بلاد دارفور والنوبة ويمهد طريق الوصول إليها . ومنها أنهم قالوا إنه ظهر بتلك البلاد معدن الذهب والفضة والرصاص والزمرد وأن ذهابه للكشف من ذلك وإمتحانه وعمل معدنه ومقدار ما يصرف عليه حتى يستخرج صافيه .. » .

الجبرتي : ج ٤ ، ص ٣٠٥ .

إلا أنه يبدو أن الباشا أراد بهذه الزيارة أولا وقبل كل شىء تجهيز حملة لفتح السودان والدليل على هذا أنها ارسلت بعد عام واحد من هذه الزيارة .

(5) Dodwell : The Founder, P. 50

(6) Deherain : Le Soudan Egyptien, pp. 27-28.

الدفتر دار قال الباشا : «وان لاتكون هذه المسائل والوسائل (١) باعثا على اضاءة الوقت دون ايفاء مهمة جلب العبيد أو سببا لتجوزكم البطء والتكاسل فى صرف مافى الطاقة فى سبيل تحقيق هذه المهمة (٢) » . وفى رسالة أخرى الى ابنه اسماعيل قال محمد على : « . . . المقصود الاصلى من هذه التكاليفات الكثيرة والمتاعب الشاقة ليس جمع المال كما كتبنا اليكم ذلك مرة بعد أخرى ، بل الحصول على عدد كبير من العبيد الذين يصلحون لعمالنا ويجدرون بقضاء مصالحنا (٣) » .

لم يكن الحصول على العبيد اهم من التنقيب عن الذهب والمعادن الاخرى فحسب بل أنه كان اهم اسباب الفتح جميعا . فهاهو الباشا يقول فى رسالة الى ابنه ابراهيم باشا «حيث أن الاهم والالزم لنا هو الحصول على العبيد واقدم جميع الأمور هو اعداد العبيد من كردفان او موردفان (٤) ، وافيناكم بهذا الاشعار تكرارا لأجل التأكيد ، وأن كان هذا النظر مستقرا فى ذهنكم (٥) » . ويقول فى رسالة أخرى لأبنه ابراهيم : «وجلب السودانين هو غاية المراد ونتيجة المقصود مهما كانت الصورة التى يجلبون بها من اوطانهم (٦) » . ويقول الباشا فى رسالة الى عبدى اغا حاكم دنقلا : «ولما كان المراد من تحمل هذه النفقات ومن ايفادى الى تلك الجهات امثالكم الحاذقين الذين احبهم والذين سبقت لى الاستفادة كثيرا من جهودهم منحصرنا من حيث النتيجة والثمرة فى مجئ ماسيأتى من السودانين على الوجه المطلوب (٧) » .

(١) من أول الرسالة نفهم أنه يقصد بها التنقيب عن الحديد والمعادن الأخرى .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٢٤ بتاريخ ٣ صفر سنة ١٢٣٧ .

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٣٢٥ بتاريخ ١٠ ذى القعدة سنة ١٢٣٧ .

(٤) ربما كانت موردفان مطابقة لكردفان .

(٥) دفتر ٧ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٣٠٠ ص ١٧٧ بتاريخ ١٩ ذى الحجة سنة ١٢٣٦ .

(٦) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ١٧ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٣٧ .

(٧) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ١٦ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٣٧ .

بل ان الباشا قال فى رسالة أخرى الى عبدى اغا : «إن غرضنا الوحيد من انتداب نجلنا اسمعيل باشا الى ديار السودان البعيدة وايقاد ولدنا الدفتردار الى بلاد كوردفان بهذه الاستعدادات والتكلفت الكثيرة معززين بسواد من الجنود ومزودين بكثير من المهمات هو الاهتداء الى طريقة جلب هؤلاء العبيد المطلوبين لدينا كما ان المقصود من ارسالكم الى دنقلا وارسال نحو بك الى بربره هو رغبتنا فى العبيد الذين نملكهم بمساعى المشار اليهم بدون أن يمسه تلف . . . (١) » .

ما أن استولى محمد على على حكم مصر فى سنة ١٨٠٥ ، إلا وفكر فى تأسيس دولة قوية ذات عز ومنعة (٢) . فخطط المشاريع للنهوض بها فى مختلف المجالات الزراعية والصناعية والعلمية والعمرانية . لم تنته اطماع محمد على بتأسيس دولة قوية فى مصر بل لعله امل فى توسيع رقعة بلاده بالاستيلاء على الامبراطورية العثمانية نفسها (٣) . لاشك أن مثل هذه المشاريع لن تخرج الى حيز الوجود ولن تصبح حقيقة واقعة الا اذا توفر المال الوفير لتنفيذها . وبما ان حكم الاتراك والمماليك استترف خيرات مصر وتركها من افقر الولايات العثمانية ، كان لابد للباشا من ايجاد مصدر جديد لاعداد المال اللازم لتنفيذ تلك المشاريع . وهكذا فقد كان البحث والتنقيب عن المعادن فى السودان هو السبب الثانى الذى دفع الباشا لفتح السودان .

ويتضح اهمية البحث عن المعادن من رسالة ارسلها الباشا الى الدفتردار قال فيها : « . . فاعز مطلوبنا ان تبذلوا بعد اطلاعكم انتم ايضا على هذا الشأن ما يقتضيه غيرتكم فى أن تحققوا من الآن وتستوثقوا من المحال التى يوجد فيها جوهر المعدن المذكور (٤) قويا وبمقادير وافية مباركة ، وأن تدبروا

(١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة ٣٤٢ بتاريخ ١٩ ذى القعدة سنة ١٢٣٧ .

(٣) شبيكة : السودان فى قرن ، ص ١٢ .

(3) Dodwell : The Founder, P. 50.

(٤) من أول الرسالة نعرف أنه يقصد الحديد .

وتهيئوا الاسباب اللازمة التى تستوجبها سهولة استخراجها وصوغه وبذلك تشمرون عن ساق الجدد والحمية لصنعه عند وصول الاسطوانات المذكورين اليكم . وأن لاتدخروا وسعا فى معرفة المحال التى يؤمل وجود سائر المعادن الأخرى أيضا فيها بالبحث والتحري عنها واستكشافها ولافى امر اعلامنا بما حصلتم عليه من العلم بشأنها . . . (١) .

تحدث الكثير من الرحالة الاوربيين الذين زاروا السودان فى القرنين السابع عشر والثامن عشر عن امكانيات السودان الاقتصادية ووفرة منتوجاته كالصمغ والعاج وشن القيل وجلود المواشى . من هؤلاء الرحالة جاك فرنسوا بونسيه « ١٦٩٨ - ١٧٠٠ » وكرمب البافارى « ١٧٠١ - ١٧٠٢ » ودى ثواردى رول (٢) وجيمس بروس الاسكتلندى والرحالة السويسرى بركهارت « ١٨١٣ - ١٨١٥ » (٣) . وبالإضافة الى احاديث هؤلاء الرحالة تحدث قناصل الدول الاجنبية فى تقاريرهم التى بعثوا بها لحكوماتهم عن فوائد التجارة مع السودان (٤) . لاشك أن عاهل مصر قد عرف اهمية وفوائد التجارة مع السودان من محادثاته مع هؤلاء القناصل ومن مقابلاته لرجال القوافل .

الا أن العلاقات التجارية بين مصر والسودان قد تدهورت الى درجة بعيدة قبل الفتح «المصرى» للسودان . فيما أن السودان لم يخضع آنذاك لقوة سياسية موحدة فقد كان من الطبيعى فى هذه الظروف أن يشتد نشاط اللصوص وقطاع الطرق . وفى الشرق كانت قبائل العبابدة والحلانقة وبنى عامر تهاجم القوافل بين شاطئ البحر والنيل ، وفى الغرب تعرضت قوافل كردفان لسطو قبائل البقارة والكبابيش بينما كان الشايقية مصدر رعب وفزع للجلايين

(١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٢٤ بتاريخ ٣ صفر سنة ١٢٣٧ .

(٢) قتل دى رول فى سنة ١٧٠٥ بمؤامرة إشتراك فيها سلطان سنار . وقد كان مقتله إيذانا باغلاق الطريق إلى السودان فى وجه الرحالة إغلاقا يكاد يكون تاما إستمر حوالى سبعين عاما إلى أن استطاع جيمس بروس زيارة الحبشة وسنار (١٧٧٠ - ١٧٧٣) .

مقار : البكباشى المصرى ، ص ١٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٨ .

(٤) شكرى : بناء دولة ، ص ٦١٨ .

فى الشمال (١) . ومما زاد الطين بلة الضرائب القادحة التى فرضها ملوك وشيوخ السودان والهدايا الكثيرة التى الحوا فى طلبها من التجار حتى أن القوافل التجارية كانت تختار الطرق الصحراوية البعيدة عن شاطئ النيل لتفادى هذه الأتاوات . وقد ذكر الرحالة بركهارت أنه قد سمع عن تاجر مصرى زار شندى — قبل ثمان أو عشر سنين من زيارته لها — مصطحبا معه عشرين راحلة محملة . توفى ذلك التاجر هناك فما كان من ملك شندى الا أن استولى على جميع امواله وممتلكاته (٢) .

فى هذه الظروف القاسية كان من الصعب على أى تاجر مصرى التوجه جنوبا نحو السودان دون أن يعرض نفسه وامواله لخطر داهمة . ولذلك قلت رؤوس الاموال المصرية المستثمرة فى التجارة مع السودان ، « قدرها بركهارت عند زيارته للسودان بستين أو ثمانين الف ريال » (٣) . وتحولت معظم متاجر السودان الى سواكن ومصوع حتى كاد أن ينقطع ورودها الى مصر (٤) .

لاعادة العلاقات التجارية بين البلدين كان على الباشا اولا وقبل كل شىء أن يؤمن طرق القوافل التجارية بأن يعيد الأمن والسلام فى ربوع البلاد . ولتحقيق هذه الغاية كان لابد من اخضاع ملوك وامراء السودان لحكم الباشا . ولذلك ارسل حملته لفتح السودان وضمه الى ممتلكاته .

كان لا يمكن لعاهل مصر أن يعتمد على الجنود الارناؤد فى جيشه النظامى الحديث وذلك لأنهم « فطروا على حب الشغب والنفور من النظام والرغبة عن الطاعة » (٥) . فقد كان مسلكهم من أهم اسباب اخلال الامن فى اوائل عهد محمد على خاصة ما بين عامى « ١٨٠٥-١٨١١ » اذ أنهم كثيرا

(١) شكرى : الحكم المصرى ، ص ١٣ .

(2) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 274.

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٧٤ .

(٤) الرافى : تاريخ الحركة القومية ، ج ٣ ، ص ١٥٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٣٦٣ .

ما هجموا على الاهالى الابرياء فسرقوهم ونهبوهم واستباحوا عروضهم .
وعندما قرر محمد على فى سنة ١٨١٣ وضع اسس جديدة باحصاء وتسجيل
اسماء كل الجنود الذين عملوا تحت خدمته ، تمرد قواد الجنود الارناؤد
وحرصوا جنودهم على الثورة مما اضطر ابنه ابراهيم الى فصل الكثير من
اولئك القواد (١) .

وبجانب هذا كله فقد كان هؤلاء الجنود الباشوزق يعملون فى جيش
محمد على بعقود شهرية دفعت لهم بموجبها مرتبات أكبر بكثير من المرتبات
التي دفعت لغيرهم من الجنود (٢) . فالجنود الارناؤد الذين ارسلوا لحملة
السودان دفعت لهم مرتبات ستة اشهر مقدما لفتح البلاد حتى دنقلا . ولعل
الباشا قد اتفق معهم فى بادئ الامر للعمل معه حتى فتح دنقلا فقط اما لانه
خشى أن لا يجد جنودا يعملون معه فى حرب ابعد من هذه أو لأنه اراد أن
يوهم الرأى العام بأن الحملة لن تذهب ابعد من دنقلا . وبعد الاستيلاء على
دنقلا اغرى الباشا هؤلاء الجنود بالاستمرار فى فتح البلاد حتى سنار ، فقبلوا
ذلك لكسب المزيد من المال بعد أن تأكدوا من النصر على اعدائهم (٣) .

لتكوين الجيش النظامى الحديث كان لابد للباشا من أن يتخلص من
هؤلاء الجنود الارناؤد . لم يرد محمد على ، فى رأى نعوم شقير ، الخلاص
منهم عن طريقة الغدر والقهر وفاء منه لهؤلاء الجنود « الذين ساعدوه وشدوا
من أزره فى تثبيت اقدامه فى مصر (٤) » . الا أنه يبدو أن محمد على لم يحجم
عن الغدر بهؤلاء وفاء منه وتقديرا لخدماتهم وإنما خوفا من أن يؤدى ذلك
الى ثورة فى جميع انحاء البلاد ، خاصة وأن الاهالى اعترضوا على سياسته التي
أدت الى ضبط ارزاقهم « وقياس الاراضى وقطع المعاش (٥) » . لذلك

(1) Douin : Historie, P. 66.

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(3) Waddington : Journal of a Visit, P. 92.

(٤) شقير : ج ٣ ، ص ٢ .

(٥) الجبرتي : ج ٤ ، ص ٢٢٥ .

كان لابد للبasha من اتباع الحكمة للخلاص من هؤلاء الجنود .

بدأ محمد على فى الخلاص منهم تدريجيا وبطرق متعددة ، فأرسل بعضهم لحرب الوهايين وأخرون فى حملاته المتعددة ضد بكوات الممالك (١) ، كما تقى أكثر عناصرهم شغبا خارج القاهرة . هذا وإن تقى الجند خارج القاهرة لم يكن امرا سهلا ، اذ أنه كثيرا ما رفض قادتهم الخروج من القاهرة التى وجدوا فيها المجد والعزة . ففى سنة ١٨٠٧ مثلا رفض رجب اغا الارنودى — احد قادة الجند — تنفيذ اوامر محمد على بمغادرة القاهرة وحشد جنوده ضد قوات الحكومة (٢) . ولل قضاء على البقية الباقية منهم ارسل الباشا حملته الى السودان . وعلى الرغم من الامتيازات التى اعطاها الباشا لاولئك الجنود فقد تمرد بعضهم فى اسبوط حتى أن محمد على ارسل مندوبا خاصا للقبض عليهم واعادتهم الى القاهرة . وقد هدد الباشا قواد اولئك الجنود بالعقاب الصارم إن توانوا فى القبض على اولئك المتمردين بقوله : « واما اذا لم تمسكوا هؤلاء المجرئين على تلك الحالة ولم ترسلوهم لنا فيلزم أن تعلموا انى اعاقبكم على ذلك » (٣) .

بعد مذبحة القلعة هربت فلول الممالك الى اسنا حيث اعتصموا هناك بالجبال التى سكنها العباددة والبشاريين الذين اساءوا معاملتهم فنهبوا اموالهم وقتلوا بعضهم . وقد ساءت احوال اولئك الممالك حتى أن بعضهم لم يجد العلف لحيولهم ، فاضطروا الى اطعامها بسعف النخيل (٤) . غير أن محمد على مازال خائفا منهم ، فارسل ابنه ابراهيم باشا على رأس جيش للقضاء عليهم . دبر ابراهيم باشا خطة للقضاء عليهم فأرسل اليهم يؤمنهم ويقطع اليهم اوثق العهود اذا نزلوا من الجبل ويتعهد بتقليدهم وظائف فى حكومة محمد على تتفق ومراتبهم . لم يستفد الممالك من الدرس الذى لقنه لهم الباشا فى مذبحة

(١) شكرى : بناء دولة ، ص ١٩٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

(٣) دفتر ٧ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ١٠٩ بتاريخ ٢١ ربيع الاول سنة ١٢٣٦ .

(4) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 12.

القلعة ، فتركوا كلهم ماعدا ثلاثين فقط وجاءوا الى معسكر ابراهيم . إلا أنه غدر بهم ، وأمر جنوده بذبحهم ، فذبحوا عن بكرة أبيهم ماعدا مملوكين فرنسيين اجابة لرغبة طبيب ابراهيم بك^(١) . فى هذه الظروف القاسية لم يجد بقية المماليك مخرجا سوى التوجه جنوبا نحو السودان واستقروا فى دار الشايقية حيث استقبلهم كبير الشايقية محمود العادلاناى ، الذى رحب بهم وأكرمهم ، إلا أنهم بعد شهر من اقامتهم غدروا بمضيفهم فقتلوه مع نفر من حاشيته وانتشروا بعد ذلك فى دار الشايقية فدمروا ممتلكاتهم واستولوا على الخراج ، ومنذ ذلك الوقت نشب صراع عنيف بين الجانبين لم يسفر عن نتيجة حاسمة وانتهى باتفاق سمح بمقتضاه للمماليك بالاستقرار فى ارقو واعطائهم جميع الشاطئ الممتد من خندق الى حنك . اختار المماليك مراقه عاصمة لبلادهم ، واستمروا فى دنقله الى أن قضت عليهم حملة اسماعيل^(٢) .

زيادة على المحن والكوارث التى تعرض لها المماليك فى مصر فقد واجهوا فى السودان مصاعب جمة واهوالا اضعفتهم وضعضعت قوتهم . وفى حروبهم المتواصلة مع الشايقية فقدوا كثيرا من خيرة رجالهم وخبولهم ، كما تعرضوا لامراض متعددة كالحمى التى كانت تنتشر عادة فى دنقلا فى الصيف وتقضى على الكثير من الاهالى^(٣) . وبسبب هذه الامراض وتقدم السن فقد المماليك فى سنة ١٢٣١ « ١٨١٥-١٨١٦ » بعض زعمائهم مثل عثمان بك حسن وسليم اغا واحمد شويكار^(٤) ، كما فقدوا فى سنة ١٢٣٢ « ١٨١٦-١٨١٧ » زعيمهم ابراهيم بك الكبير^(٥) . هذا وقد كان للخلافات

(١) المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٢) شقير : ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(3) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 68.

(٤) الجبرتى : ج ٤ ، ص ٢٤٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٧٩ .

الحادة التي نشبت بين زعمائهم في السودان خاصة بين عبد الرحمن و ابراهيم بك (١) اثر كبير في اضعافهم .

لم يتحمل بعض الممالك الحياة القاسية في دنقلا ولم يجدوا مخرجا سوى الاتصال بالباشا في مصر طالين الأمان والسماح لهم بالعودة الى مصر . ففي سنة ١٨٢١ « أرسل جماعة منهم مندوبا عنهم اسمه سليم كاشف الى محمد علي يستعطفونه ويسألون فضله ويرجون مراحمه بأن ينعم لهم بالأمان على نفوسهم ويأذن لهم بالانتقال من دنقلا الى جهة من اراضي مصر يقيمون فيها ايضا ويتعيشون فيها بأقل العيش تحت امانه — ويدفعون مايجب عليهم من الخراج الذي يقرره عليهم ولايتعدون مراسمه واوامره (٢) » . وقد ذكر الجبرتي أن الباشا قد قابل هذا المندوب ووافق على اعطاء الممالك الامان بشروط معينة اذا اخلوا بأى واحد منها يصبح الاتفاق معهم لاغيا . وبمقتضى هذا الاتفاق تعهد الممالك بارسال مندوب عنهم قبل رحيلهم من دنقلا الى محمد علي ليخبره بحركتهم وانتقالهم ، كما وافق محمد علي على ارسال مندوب عنه لمقابلتهم في صعيد مصر وتقديم كل مايجتاجون اليه من مأكلا وملبس . وعند وصول الممالك الى مصر لن تقطع لهم اراضي في اى جهة من الجهات ، بل سيضم الخبراء واصحاب الكفاءات منهم الى خدمة محمد علي كأن يعينوا رؤساء على العساكر ويقدم العون للعجزة والضعفاء منهم . اما إذا طالب الممالك بأن تقطع لهم الاراضي او اعطائهم اى شئ ملكوه في الماضي فسيعتبر الامان الذي اعطى لهم لاغيا (٣) . وعندما علم الممالك في شوال سنة ١٢٣٥ « يوليو — اغسطس سنة ١٨٢٠ » بالحملة التي قرر محمد

(١) بينما قبل ابراهيم بك في سنة ١٨١٢ التعاون مع محمود كاشف المحس للقضاء على الملك طمبل ، رفض عبد الرحمن بك محاربة رجل قوى مثل طمبل . ونسبة للخلافات بين هذين الزعيمين لم يستطع الممالك مواصلة انتصاراتهم على الشايكية وإحراز نصر حاسم عليهم .

Waddington : Journal of a Visit, P. 22-26.

(٢) الجبرتي ج ٤ ، ص ٢٤٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ — ٤٧ .

على ارسالها للسودان جاء خمسة وعشرون منهم الى الجزيرة وطلبوا الامان من محمد على فاعطى لهم ، كما جاء فى نفس السنة ابن الزعيم المملوكى على بك ايوب طالبا الامان لايه (١) . وفى اوائل شهر ربيع الاول سنة ١٢٣٦ « ديسمبر سنة ١٨٢٠ » جاء عشرة من المماليك طالبين الامان من محمد على وهم فى « حالة رثة وضعف وضميم واحتياج (٢) » وتبعهم فى اواخر شهر رجب سنة ١٢٣٦ « ابريل - مايو ١٨٢١ » جماعة من المماليك بينهم الزعيم محمد الالفى (٣) .

بيد أنه رغم سوء احوال المماليك وتضعف قوتهم فى السودان فقد كان الامل فى العودة الى مصر مايزال يراودهم لاستعادة مجدهم الضائع هناك . فقد قيل أن الزعيم المملوكى عثمان بك لم يقتنع بالاقامة فى الدر عاصمة النوبة ، وانما اقسم أن لا يخلق شعر رأسه إلا بعد العودة للقاهرة منتصرا (٤) .

حقا أنه نظرا لقوة محمد على فى مصر من جهة ولضعف المماليك من جهة اخرى (٥) فقد كان من الصعب عليهم أن يهجموا بمفردهم على مصر ويستعيدوا حكمهم هناك . الا أنهم ربما فكروا فى الاستيلاء على احد موافى البحر الاحمر كصوع ومن هناك يعززون قوتهم بامداد من رقيق جورجيا (٦) وبذلك يقوى مركزهم ويشكلون خطرا على الباشا فى مصر .

شعر محمد على منذ البداية بخطر المماليك عليه وعلى حكمه فى مصر ، فاتخذ اجراءات حاسمة للقضاء عليهم . فهو قد أمر بمنع بيع البارود فى الصعيد

(١) عندما جاء الأمان لعل بك أيوب وتأهب للرحيل فقد عليه المماليك وقتلوه .

المصدر السابق ، ص ٣١٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

(٤) مقار : أحوال السودان الاقتصادية ، ص ٣٥ .

(٥) عدد المماليك فى السودان عندما تقدم الجيش الفاتح لفتحته ، فى رأى البروفسير شيكة ، لم يتعد الثلاثمائة .

شيكة : السودان فى قرن ، ص ١٦ .

(6) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 67.

حتى لا يتسرب اليهم فى دفتلا ، كما أنه فرض عقوبات صارمة على كل المصريين الذين ثبت تعاونهم مع المماليك^(١) . وفوق هذا كله فقد كان احد اسباب فتح الباشا للسودان فى سنة ١٨٢١ هو القضاء على البقية الباقية من المماليك . وزعم هولت أن القضاء على المماليك كان أهم أسباب الفتح جميعا^(٢) ، غير أن هذا لم يكن الا سببا ثانويا للفتح الذى اريد به فى المقام الاول — كما اوضحت من قبل — تحقيق اغراض أخرى .

بعد أن عرفنا أسباب الفتح يجدر بي أن اتعرض بالنقد والتحليل لبعض الاسباب الأخرى التى ذكرت لفتح محمد على للسودان . فقد زعم بعض المؤرخين المصريين أن محمد على لم يقصد بذلك الفتح استغلال موارد السودان وخيراته ، وإنما كان يهدف لخير ورفاهية السودان ومصر معا . فالدكتور محمد فؤاد شكرى ادعى أن الباشا لم يرد بفتحه للسودان « استعباد اهله واسترقاقهم ، ولم يدخل فى نطاق تفكيره استغلال موارد السودان لفائدة مصر . بل أن المصلحة السياسية العليا واکرم الدوافع الإنسانية هى التى املت على الباشا ضرورة العمل على ضم شطرى الوادى فى نطاق واحد فى ظل حكومة رشيدة موحدة تعمل على رفاهية السودانين والمصريين معا^(٣) » . والاستاذ محمد احمد الجابرى يقول : « لم تكن الاسباب التى اقضت فى جوهرها الى ضم السودان لمصر طلب المنفعة أو مجرد التجارة أو السيطرة أو الشهوة أو الاستغلال ، بل كانت للروابط الطبيعية والحوية والقومية والسياسية وروابط اللغة والدين والدم هى الاسباب التى دفعت محمد على دفعا لفتح السودان

(١) مقار : أحوال السودان الإقتصادية ، ص ٣٧ . ذكر مقاران الباشا أمر فى سنة ١٨١٥ بقطع رأس زعيم إحدى قبائل الصعيد لتعاونه مع المماليك .

(2) Holt : A Modern History, P. 35.

(٣) شكرى : الحكم المصرى ، ص ٢٣ .

فى نفس هذا المصدر وفى صفحتى ١٨ - ١٩ يناقض شكرى نفسه ويعترف بأن الباشا قد ذهب لتحقيق أغراض معينة فيقول مثلا : « من المقطوع به أن الحصول على الرقيق كان من أهم أسباب الفتح » .

والحاقه باملاكه المصرية (١) .

وقد ذهب اولئك المؤرخون الى ابعد من هذا، فادعوا أن فتح السودان تم «بناء على رغبة أهله أنفسهم (٢)» والحجة التي اوردوها لتأييد هذا الزعم هي أنه بعد انتشار القوضى والفساد في ربوع السودان في اواخر عهد دولة الفونج لجأ بعض الزعماء السودانيين الى محمد على طالين منه مساعدتهم لاصلاح احوال بلادهم والقضاء على الفتن والحروب الداخلية فيها لأنه ، على حد قول الجابري ، « ليس للسودان مدخل ولا مخرج بخلاف مصر ، فهي حصن السودان الذي يحتوى فيه المحتاجون ويلجئون اليه هربا من طغيان الطغاة وعسف المتعسفين (٣) » .

من المؤكد أن بعض الزعماء السودانيين ذهبوا لمصر وطلبوا من محمد على أن يعد جيشا لفتح السودان . من هؤلاء : ادريس ود ناصر من البيت السنارى ونصر الدين ملك الميرقاب ، الذى طرد من الحكم بعد أن كان مسئولا عنه لمدة اربعين عاما ، وبشير ود عقيد احد زعماء الجعليين وغيرهم . الا أن هؤلاء الزعماء ، فى رأى ، لم يستنجدوا بمحمد على لتحقيق مصالح البلاد العليا وانقاذها من القوضى وانما فعلوا ذلك لتحقيق مطامع واغراض شخصية . فشير ود عقيد مثلا هرب الى القاهرة بعد أن ضيق سلطان سنار عليه وارسل رسلا خلفه على اثر وشاية من الملك نمر ليتعقبوه ويقتلوه (٤) . ونصر الدين غادر بلاده للاستنجاد بعاهل مصر ضد منافسه فى

(١) الجابري : فى شأن الله ، ص ١٨ .

(٢) حسين : تطور السودان ، ص ٦ .

(٣) الجابري : فى شأن الله ، ص ١٩ .

(٤) فوزى : السودان بين يدى غردون وكثشر ، ج ١ ، ص ٥٩ .

الحكم على ود تمساح^(١) ، وطمبل بن الزير ذهب الى مصر متلمسا مددا من الجند والعتاد ليحارب اعداءه المماليك^(٢) ، وابو مدين كان مطالبا بعرش دارفور من منافسه محمد الفضل سلطان دارفور ، كما طلب ود هاشم معونة الباشا ضد اعدائه في كردفان. وهكذا فيما أن هؤلاء الزعماء ذهبوا الى مصر مستنجدين بمحمد على لتحقيق مآرب شخصية ، فهم لم يمثلوا الا أنفسهم ، ولذلك لا يمكن ان نقبل الزعم القائل بأن فتح السودان تم بناء على رغبة اهله .

وفي الواقع أن أولئك المؤرخين ارادوا بمثل هذه المزاعم خدمة أغراض سياسية معينة . فهم ارادوا اظهار مصر بالحرص الدائم على مصالح السودان وبالتالي خدمة الدعوة للوحدة بين مصر والسودان التي كانت ترمى اليها مصر وبعض الأحزاب السودانية في الأربعينات واولئل الخمسينيات . وبتمجيد محمد على واظهاره بمظهر القائد العظيم الذي سعى بكل الطرق لخدمة الشعبين المصري والسوداني ، ربما اراد أولئك المؤرخون ايضا كسب ثقة وعطف ملك مصر ، إذ أن اسرة محمد على كانت حتى ذلك الوقت مهيمنة على حكم مصر .

يعتقد بعض المؤرخين العرب والاوربيين^(٣) إن محمد على كان يرمى الى تكوين امبراطورية عربية تضم كل البلدان العربية . فإذا ثبت هذا الرأي فهذا يعني أن فتح السودان كان مرحلة من مراحل تكوين هذه الامبراطورية.

(١) بعد إنتصار جيوش الفتح إنتقلت الحكومة المصرية لنصر الدين من منافسه على ود تمساح ذ أنه كان أول من شق في بربر بعد الفتح المصري. وقد كافأ محمد على نصر الدين على خدماته وولائه بأن أمر في سنة ١٨٣١ بإعادته من مصر وأمر على آغا مأمور بربر بتخصيص « مرتب خمسمائة قرش له على حسن خدمته » دفتر رقم ٤٢ معيه تركي . ملخص الوثيقة التركية رقم ٣٦١ بتاريخ ٢٣ شعبان سنة ١٢٤٦ .

(2) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 66

(٣) من هؤلاء الرافعي (تاريخ الحركة القومية ، ج ٣ ، ص ٢٣٢) وعبد الرحمن زكي (أعلام الجيش ، ج ١ ، ص ٦ - ٧) Edwin de Leon,

(Egypt, P: 38)

وقد كان بالمرستون ، الذى عين فى سنة ١٨٣٠ وزيرا للخارجية فى انجلترا ، أول من ادعى أن محمد على اراد بفتوحاته تكوين امبراطورية عربية تضم كل البلاد التى تتحدث اللغة العربية . فبعد فتوحاته لمصر والحجاز والسودان وسوريا ، لم يبق له ، كما اعتقد بالمرستون ، ليكون الامبراطورية العربية الافتح الخليج الفارسى وجنوب الجزيرة العربية والعراق (١) . ويتضح من رسائل بالمرستون أنه كان يؤمن ايمانا قاطعا بان محمد على كان يسعى لتكوين هذه الامبراطورية العربية . فقد قال فى احدى رسائله الى ويليام كامبل سفير انجلترا فى كابل : « وكان قصده « اى محمد على » تأليف مملكة عربية لجميع بلاد العرب (٢) » . ويقول ايضا فى رسالة أخرى فى ١١ مارس سنة ١٨٣٣ للوزير البريطانى فى نابلى : « إن خطة محمد على الحقيقية ترمى الى تأسيس دولة عربية تضم جميع البلدان التى يتكلم اهلها العربية (٣) » .

لم يؤيد عبدالرحمن زكى هذا الرأى فحسب بل أنه اعتقد أن محمد على كان كبير الامل فى نجاح هذا المشروع اذ أنه لم يتوقع معارضة من تركيا أو فرنسا أو النمسا . فتركيا كانت مشغولة باحوالها الداخلية والازمات المتلاحقة التى اضعفت قوتها ، وفرنسا ، كما توقع محمد على ، كانت ستؤيده اذ أن نجاح هذا المشروع يعنى أن محمد على سيقف حجر عثرة فى طريق عدوتها انجلترا الى الهند . اما النمسا فقد ايدت هذه الفكرة وشجع احد ساستها الكونت بروكش اوستين — الذى وفسد الى القاهرة فى مهمة خاصة — محمد على للاستمرار فى تكوين هذه الامبراطورية . وقد زعم عبد الرحمن زكى أن الياشا فبشلى فى تحقيق هذا المشروع لسبيين هما معارضة السياسة الانجليزية بخاضة بالمرستون — لهذه الفكرة ، ولأن الوعي العربى لم يكن قد استيقظ بعد فى البلاد العربية التى كانت حتى ذلك الوقت مسرحا للفتن والقلاقل (٤) .

(1) Dodwell : The Founder, P. 125.

(٢) زكى : أعلام الجيش ، ج ١ ، ص ٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥ .

الا أنه يبدو أن فتح السودان لم يكن مرحلة من مراحل تكوين الامبراطورية العريضة إذ أن هذه الفكرة لم تظهر الا بعد فتح سورية ، اى بعد أن تم فتح السودان وسيطرت عليه الجيوش الفاتحة سيطرة تامة . وبالإضافة الى هذا يبدو أن محمد على لم يفكر اطلاقا فى تكوين امبراطورية عربية . فهو قد نظر الى الجنس العربي على أنه جنس حقير ، والى الشعب العربي على أنه شعب متأخر لن يتطور الا بعد زمن طويل وبعد انتشار التعليم والثقافة (١) . والباشا كان حريصا على الاحتفاظ بالطابع التركى لحكومته ف لغة البلاد الرسمية هى التركية ، والمناصب العليا فى الجيش والادارة كانت وقفا على الاتراك وغيرهم من الاجانب (٢) .

وزيادة على عدم ثقة الباشا فى العرب فقد كانت هناك صعوبات عملية جعلته لا يفكر اطلاقا فى تكوين امبراطورية عربية . فعلى الرغم من أن معظم الشعوب العربية دانت آنذاك بدين واحد وتحدثت بلغة واحدة الا أنها كانت مختلفة اختلافا تاما فى العادات والتقاليد والافكار ، مما جعل مهمة التوحيد بينها مهمة صعبة شاقة وبعيدة المنال .

وهكذا يبدو أن الباشا لم يرد بفتوحاته تكوين امبراطورية عربية ، ولعله اراد احتلال تلك البلاد لاهميتها الاستراتيجية وليشتهر ويذيع صوته فى بلاد المسلمين ويصبح قائد الاسلام الاول (٣) .

والواقع أن فكرة احياء القومية العربية وتكوين امبراطورية عربية لم تكن فكرة محمد على ، ويبدو أنها كانت مسيطرة على ذهن ابنه ابراهيم باشا . فهو ، على الرغم من اصله التركى ، احتقر الاتراك ومجد العرب ورفع من

(1) Dodwell : Founder, P. 256.

(٢) فى عهد سعيد أو كملت بعض المناصب العالية فى الجيش والإدارة للمصريين ، الا أن الخديوى إسماعيل وتوفيق عادا مرة أخرى لسياسة محمد على فكانت هذه المناصب فى عهديهما وقفا على الأتراك والشراكه مما أدى إلى التذمر بين صفوف الضباط وكان من أهم أسباب الثورة العربية .

الرافعى : الثورة العربية ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(3) Dodwell : The Founder, PP. 127-28.

شأنهم . وفي رد على سؤال لآحد جنوده عن السر وراء احتقاره للاتراك اجاب ابراهيم باشا بقوله . كما ذكره لنا الرافعي نقلا عن كتاب « مهمة البارون ليو الكونت » : « أنا لست تركيا فأني جئت مصر صبيا ، ومنذ ذلك قد مصرتني بشمسها وغيوت من دمي وجعلته عربيا (١) » . وبعد مقابلة بين البارون ليو الكونت و ابراهيم سنة ١٨٣٣ بالاناضول . قال البارون « إن ابراهيم باشا يجاهر علنا بأنه ينوى احياء القومية العربية واعطاء العرب حقوقهم واسناد المناصب اليهم سواء في الادارة ام في الجيش وأن يجعل منهم شعبا مستقلا ويشركهم في ادارة الشئون المالية ويعودهم سلطة الحكم كمايحتملون تكاليفه . . (٢) » . وفي رد على سؤال للمسيو كادلفين وبارو اثناء حصار عكا عن المدى الذي ستصل اليه فتوحاته اذا استولى على عكا اجاب ابراهيم بقوله ، « الى مدى مايتكلم الناس واتفاهم واياهم باللسان العربي (٣) » .

وفريق آخر من المؤرخين زعم أن اكتشاف منابع النيل والاستيلاء عليه كان « من اهم البواعث التي حفزت محمد علي الى فتح السودان » (٤) . فالباشا في نظرهم اراد باكتشاف منابع النيل ومعرفة اسباب فيضانه والشعوب التي تقطن على ضفافه تأدية خدمة جليلة للعلم والمعرفة . وكان لابد للبasha في رأيهم من أن يعمل للاستيلاء على منابع النيل خوفا من ان تستولى عليها دولة معادية مما سيعرض كيان مصر وامنها لخطر بالغ . وقد زعم شكرى أن الاحباش كثيرا ما فكروا في « تحويل مجرى النيل بعد خروج النهر من منابعه في الحبشة بان يحفروا قناة كبيرة تذهب بمياه صوب الشرق بدلا من جريانها في النيل الازرق والعطيرة وتلك الروافد التي تروى سنار والجزيرة » (٥) .

(١) الرافعي : تاريخ الحركة القومية ، ج ٣ ، ص ٢٣٢ نقلا عن كتاب مهمة البارون ليو الكونت ، ص ٢٤٨ - ٤٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٨ - ٤٩ .

(٣) المصدر السابق ، ٢٣٢ نقلا عن كادلفين وبارو : حرب مصر ضد الباب العالي في سوريا والآناضول سنة ١٨٣١ - ١٨٣٣ ، ص ٤١٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(٥) شكرى : مكأ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد علي » ، ص ٢٨ .

الا أننا برجعنا الى الوثائق لانبجى اى اشارة الى أن اكتشاف منابع النيل كان احد اسباب الغزو المصرى للسودان . ويبدو أنه لم توجد آنذاك اى اسباب ملحة تجعل الباشا يفكر فى اكتشاف منابع النيل او الاستيلاء عليه ، فالتدخل الاوربى والصراع بين الدول الاستعمارية للاستيلاء على منابع النيل لم يكن قد بدأ بعد .

لم يهتم الرأى العام الاوربى بافريقيا والكشف عن مجاهلها وخاصة الكشف عن منابع النيل الاستوائية إلا بعد الحقائق والاخبار التى نشرها الرحالة الذين زاروا السودان بعد الفتح المصرى . وقد لاحظ محمد على أنه منذ حوالى سنة ١٨٣٦ بدأ اهتمام قناصل الدول الاوربية يتحول من التجارة فى النيل الى مسألة اكتشاف منابع النيل الأبيض . ولعل الباشا قد ظن خطأ أن السر وراء هذا التحول والاهتمام البالغ بمرابع النيل هو امكانية وجود كميات كبيرة من المعادن فى تلك المنطقة الواقعة فى خط عرض واحد مع امريكا التى اكتشفت فيها من قبل كميات هائلة من المعادن . وجد هذا الاهتمام صدها عند محمد على فأرسل فى سنة ١٨٣٩ اولى حملات سليم قبودان للكشف عن منابع النيل والبحث عن المعادن (١) . وهكذا فإن الباشا لم يهتم باكتشاف منابع النيل الا بعد حوالى عشرين سنة من الفتح ، مما يرجح أن هذا السبب لم يكن من الاسباب المباشرة التى دفعته لارسال حملته الشهيرة لفتح السودان سنة ١٨٢١ .

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 32.

الفصل الثاني

محمد علي وجلب العبيد من السودان

محمد علي وجلب العبيد من السودان

حرص محمد علي على جلب أكبر قدر من الزوج السودانيين الى مصر ما أن سيطرت الجيوش الفاتحة على اقليمى سنار وكردفان حتى اظهر محمد علي اهتماما بالغاً بأمر العبيد وحرص على جلب أكبر عدد منهم الى مصر . فهو لم يكتف بإرسال الرسالة تلو الأخرى للمستولين فى السودان ليبدلوا كل جهدهم لأداء هذه المهمة ، بل أنه منذ البداية أكد لهم أن إرسال الجنود اليهم من مصر مرتبط ارتباطاً وثيقاً بما يرسلون من العبيد . ففي رسالة وجهها الى ابنه ابراهيم باشا قال « . . . فترسلوا انتم من هنالك ثلاثة آلاف اسود متماسك الاعضاء صالح لعملنا وخدمتنا نرسل لكم من هنا الف جندي فى مقابلهم (١) » ، كما أنه قال فى رسالة أخرى للدفردار ، « من البديهي أن الظروف تحتم وجود المشاة والفرسان على الوجه المرفوع . فإن كنتم ترسلون لنا الف واحد من العبيد الموجودين لديكم فإننا نلحقهم بالمدرين ، ونرسل لكم اربعمائة عسكرى من العسكر الذين تريدونهم بدلا عنهم ، وإن ارسلتم لنا الفى عبد فإننا نرسل لكم ثمانمائة ، وقد كتبنا لكم هذا من باب التذكار (٢) » .

الاتجار فى الرقيق معروف فى السودان منذ ازمان بعيدة ، فقد درج كثير من النخاسين على إرسال الرقيق السودانى لبيعه فى الاسواق الخارجية كالقاهرة والحجاز وطرابلس . وللهيمنة على مصادر الرقيق فى السودان لسد مطالب الهندية وغيرها من الاغراض كان لابد لمحمد علي من أن يتخذ اجراءات حاسمة لمنع تصدير الرقيق السودانى الى الخارج . فمنذ بداية عهده فى السودان اصدر اوامره الحازمة المشددة الى حاكم دنقلا لمنع تجار الرقيق من تصدير الرقيق السودانى الى مصر ، اما بحجزهم فى دنقلا أو بردهم من

(١) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٦٤ بتاريخ ٢٣ ربيع أول ١٢٣٧ .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٢١٨ بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٢٣٧ .

حيث اتوا (١) . الا أن هذه السياسة لم تأت بالفائدة المرجوة ، إذ تسلل عدد كبير من اولئك النخاسين الى مصر ، مما اضطر الباشا الى اصدار توجيهاته بشراء العبيد الذكور منهم الذين تراوح اعمارهم بين الخامسة عشر والعشرين على أن يسمح لهم بالتوجه مع باقى رقيقهم الى مصر (٢) .

أكدت الوثائق وكتابات الرحالة أن الغزوات المسلحة كانت اهم الوسائل التى اتبعها محمد على للحصول على العبيد . فقد عمل الباشا على توفير كافة مستلزماتها من جبخانة وجنود وفرسان ومشاة . فما أن اشتكى الدفتردار من قلة الجبخانة والمشاة والفرسان حتى تم اعدادها وارسالها له ، كما أنه اصدر اوامره بارسال اثنين من قواد جنود المشاة — حسن اغا وابراهيم اغا الكورجهلى — واحد قواد الفرسان — حسن اغا القبريسلى — لمساعدة الدفتردار فى غزو العبيد وجلبهم الى مصر (٣) . غير أن محمد على رفض اقتراح الدفتردار بتخصيص مبلغ معين للجنود مقابل العبيد والحوارى الذين اسروهم فى الغزوات بقوله : « كما أنى لم انظر بعين الرضا والقبول الى مسألة اعطاء شئ للعسكر على كل اسير يأخذونه ، بل قلت له لما كان الغرض من مهمة العساكر الداهيين بمعيتهم منحصر فى ابقاء خدمة اخذ الرقيق الاسود فإن اعطاءهم شيئاً على كل رأس من الأسرى مناف لاصل مهمتهم ، مخالف لاساس ماموريتهم ، وبناء عليه فشئ من هذا لا يكون ولا ينبغى أن يكون . (٤) » . ورغبة فى مساعدة الحكمدار خورشيد فى مهمة صيد الرقيق استجاب محمد على لطلبه بزيادة اربعمئة جندى لكل من الخمس أورط الموجودة آنذاك فى السودان (٥) .

-
- (١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٥١ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .
(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١٦١ بتاريخ ٤ جمادى الثانية سنة ١٢٣٧ .
(٣) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٤٨ ص ٣٠ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .
(٤) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٥٧ ص ٣٦ بتاريخ ٢٣ رجب سنة ١٢٣٧ .
(٥) دفتر ٧٨ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٤٧ بتاريخ ١٢ ربيع الأول سنة ١٢٥٢ .

بجانب اصطیاد الرقيق عن طريق الغزوات وبشرائهم من تجار الرقيق فقد صرح الباشا منذ اوائل عهده فى السودان للمسئولين بأخذ العبيد الذكور الاقوياء الاصحاء على حساب الفردة (١) على أن لا يأخذوا النسوة والصبيان الا اذا كان بالامكان استبدالهم بامثال اولئك العبيد (٢) . وتطبيقا لهذه السياسة فقد اخذ اسماعيل باشا فى سنة ١٢٣٧ ١٨٢١-١٨٢٢ تسعمائة عبدا بدلا عن الضرائب المفروضة على اهالى سنار (٣) .

كما استعان محمد على بزعماء البلاد واعيانها لحفظ الامن وجمع الضرائب من الاهالى فقد استعان بهم ايضا فى جلب الزنوج من مختلف السودان . فهذهى حكومة الباشا قد كلفت ادریس ود عدلان وابوروف وابو سن شيخ الشكرية ، والشيخ احمد ابوجن شيخ رفاعه الشرق لمدها بالعبيد الاقوياء الصالحين للجندية . وللتأكد من لياقة اولئك العبيد عينت الحكومة اطباء للكشف عليهم ورفضت استلام أى عبد غير لائق للجندية . وقد فرضت الحكومة رقابة صارمة على هؤلاء الاطباء وتعرض كل من تهاون فيهم الى عقاب صارم ، ففي عهد ابودان مثلا قبض على طبيب يدعى « Tupetto » وفصل من الخدمة بعد أن ثبتت ادانته (٤) .

وقد استشارت الحكومة ايضا هؤلاء الزعماء فى أحسن الطرق لجلب العبيد . فعندما اقترح خورشيد فى سنة ١٨٣٦ تجنيد الاهالى فى الجيش اعترض عبد القادر ود الزين شيخ مشايخ عموم سنار على هذه الفكرة خشية « تشتيت الاهالى وخراب البلاد (٥) » ، اقتنع خورشيد بهذا الرأى فصرف النظر عن تجنيد الاهالى واستقر الرأى على أن يفرض على كل مديرية عدد معلوم من العبيد يعهد الى شيوخ البلاد بجمعه وتسليمه للحكومة .

(١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١٥٩ بتاريخ ٣ جمادى الثانية سنة ١٢٣٧ .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٢٤١ بتاريخ ٨ شعبان سنة ١٢٣٧ .

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٢٥ بتاريخ ١٠ ذى الحجة سنة ١٢٣٧ .

(4) Hill : Egypt in the Sudan

(٥) شقير : ج ٣ ، ص ٢٢ .

وبجانب العبيد الذين تحصلت عليهم حكومة محمد علي من سنار وكردفان فقد حرص الباشا ايضا على استيراد الرقيق من دارفور التي عرفت من ازمان بعيدة بأنها مورد من اهم موارد الرقيق . ولكن اذا كان محمد علي حريصا على جلب العبيد من هناك فلماذا لم يسمح لجيوش الدفردار بالتوجه غربا لاحتلال دارفور ؟ يبدو أن الباشا قد صرف النظر مؤقتا عن فتح دارفور لاسباب ملحة هامة . فيما أن اقاليم سنار وكردفان وفازو على اقاليم واسعة الارحاء مترامية الاطراف فربما رأى محمد علي أن تبذل الحكومة كل جهدها فى استتباب الأمن فيها وتأكيد سلطان الحكومة عليها (١) . ثم أن حكومة محمد علي كانت مشغولة آنذاك فى اخماد الثورات فى كريت وبلاد المورة وغيرها من الجهات التى تمردت على السلطان العثماني ، ولذلك كان من الطبيعى أن لايفكر الباشا فى فتح جبهة قتال جديدة فى دارفور خاصة وأنها اقليم واسع الارحاء يحتاج الى اعداد كبيرة من العساكر لفتحه وتنظيم ادارته (٢) .

هذا لايعنى أن محمد علي كان قد صرف النظر نهائيا عن فتح دارفور ، بل لعله رأى أنه من السهل على جيوشه أن تفتح ذلك الأقليم « بعد مرور مدة من الزمان (٣) » يكون فيها الامن والسلام قد استتب فى الاقاليم التى استولت عليها الحكومة . وقد اهتم الباشا باتخاذ خطوات متعددة لتسهيل مهمة فتح ذلك الاقليم . فهو قد امر باعتقال كل الاشخاص المتهمين بالتجسس لحساب سلطان دارفور ، فعندما علم مثلا أن شخصا يدعى احمد شوشه ابن عم الملك نمر متهما بالتجسس على مصر واقليمى سنار وكردفان لصالح سلطان دارفور امر البك الكتخذ (٤) باعتقاله فورا (٥) ، كما أن الباشا منع تصدير

-
- (١) دفتر ٧ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٢٩٢ بتاريخ ٥ ذى القعدة سنة ١٢٣٧ .
(٢) دفتر ٧ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٠٠ ص ١٧٧ بتاريخ ٥ ذى القعدة سنة ١٢٣٧
(٣) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٢٣ ص ١٦ بتاريخ ٣ صفر سنة ١٢٣٧ .
(٤) وظيفة بمثابة رئيس الوزراء .
(٥) دفتر ١٨ معيه تركى ، ملخص ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦١٦ بتاريخ ٩ ربيع الثانى سنة ١٢٤٠ .

السلاح الناري الى دارفور وامر باعدام أى تاجر ثبتت ادانته بهذه التهمة (١) .
لم يكتف محمد على بهذه الخطوات بل أنه حاول كسب ود اعداء سلطان
دارفور الذين هربوا من جبروته . فكما قرب اليه ابا مدين الذى التجأ اليه
فى مصر ، امر رستم بك حاكم كردفان بتخصيص مرتب لمحمد نجل السلطان
ابن الفقيه ابن عم سلطان دارفور الذى التجأ بكردفان لأنه ، كما قال محمد
على ، «منظور منه خدمة فى المستقبل» (٢) .

ولما كان الباشا حريصا على جلب العبيد بكثرة من دارفور ، كحرصه
على جلبهم من اقليم سنار وكردفان ، كان لا يمكن له أن ينتظر الى أن يتم
فتح ذلك الاقليم ويدخل فى حظيرة حكومته ، بل كان عليه أن يتخذ كافة
الوسائل الممكنة لتحقيق ذلك الغرض . ولذلك فقد حاول منذ اوائل عهده
محاولة جادة لعقد اتفاق مع سلطان دارفور بخصوص جلب العبيد من هناك
وارسل احد مماليكه الى دارفور خصيصا لهذا الغرض (٣) . ولما كان حسن
العلاقات مع سلطان دارفور شرطا رئيسيا لتسهيل استيراد الرقيق من تلك
الاصقاع الى مصر ، فقد بذل محمد على جهدا كبيرا لتحقيق هذا الغرض .
فهو قد أمر البك الكتبخدا فى سنة ١٢٤٢ ١٨٢٦-١٨٢٧ باكرام واحترام
كل رسل السلطان الموفدين من طرفه الى مصر (٤) ، كما امر فى نفس العام
بأمور أسيوط بمنع « مشائخ عربان عمائم وجهينه المقيمين بينى عدى من
التسلط على البلاد التى تحت ملك دارفور » (٥) . وعندما طلبت منه القنصلية
الفرنسية الاتصال بوكيل سلطان دارفور فى أسيوط لاسترداد واحد واربعين

-
- (١) دفتر ٦٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ١٩٣ بتاريخ ٢٩ ذى الحجة سنة ١٢٥٠ .
(٢) دفتر ٢٦ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٣٤٦ بتاريخ ٢٠ صفر سنة ١٢٤٤ .
(٣) دفتر صادر المعيه رقم ١٠ ، وثيقة رقم ٢١١ بتاريخ غرة رجب سنة ١٢٣٧ .
(٤) دفتر ٧٣٤ ديوان الخديوى تركى ، ملحق الوثيقة رقم ٢١١ ص ٧٦ بتاريخ ٦ رمضان
سنة ١٢٤٢ .
(٥) دفتر رقم ٧٣٤ ديوان الخديوى التركى ، ترجمة الوثيقة ١٢٢ ص ٤٨ بتاريخ غرة
شعبان سنة ١٢٤٢ .

رأساً من الرقيق أخذها السلطان محمد الفضل ودردوق احد ملوك دارفور ،
رفض محمد على اجابة هذا الالتماس معتبرا بأن دارفور ليست تحت ادارته
ونصح قنصل فرنسا بالاتصال بسلطان دارفور مباشرة (١) .

ولم يكتف عاهل مصر بالاتصالات الرسمية مع سلطان دارفور بل أنه
عمل على شراء العبيد المستوردين من دارفور من النخاسين الآتين من تلك
الجهات . فمنذ بداية عهده اصدر اوامرا واضحة صريحة الى الدفتردار بعدم
السماح لأولئك التجار بتصدير العبيد الذين تراوح اعمارهم بين الخامسة
عشر والعشرين ، على أن يقوم بشرائهم منهم اما نقدا أو بمبادلتهم بالجواري (٢) .
محمد على يعمل على وصول العبيد سالمين الى مصر :

اظهر الباشا اهتماما كبيرا وحرصا بالغاً بأمر سلامة وصول العبيد
المرسلين من كافة بقاع السودان الى المعسكر الذى انشئ لتدريبهم فى اسوان .
فما ان وصلت الانباء بهلاك اعداد كبيرة منهم فى الطريق حتى اصدرت توجيهاته
الى البك الكتخدا باتخاذ كافة الوسائل الممكنة لضمان سلامتهم واستشارة
اعضاء المجلس «توطئة للوصول الى احسن الطرق المؤدية الى هذه الغاية» (٣) .

على أن محمد على لم يترك هذه المهمة العاجلة الهامة للبك الكتخدا وحده ،
بل عمل من جانبه على اتخاذ كافة الوسائل الممكنة لتفادى هلاكهم فى الطريق .
فعندما علم أن تغير الجو لعب دورا هاما فى هلاك بعض من العبيد من سكان
الجبال اصدر اوامره الى مدير بلاد السودان باستبدال سكان الجبال بسكان
السهول لانهم اكثر تأقلا على جو مصر ، أو يقيمهم عنده مدة من الزمن حتى

(١) دفتر ٦٦ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٤٥٤ بتاريخ ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٥١ .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٢١٩ بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٢٣٧ . وجه
محمد على الدفتردار بأن لا يتعرض لما مع هؤلاء التجار من نساء وصبيان وشيوخ وتجارة بل
يسمح لهم بالتوجه نحو مصر .

(٣) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ١١٧ بتاريخ ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٣٧ .

يتأقلموا على الطقس الجديد وبعد ذلك يرسلهم الى مصر (١) .

وبما أن ارسال العبيد من سنار الى مصر سيرا على الاقدام طوال هذه الرحلة الطويلة الشاقة عرض الكثيرين منهم للهلاك ، فقد اقترح والى جده ، ابراهيم باشا ، صناعة نوع معين من النقورات كتلك التى صنعت بوادى ابريم ليرحل عليها العبيد من بربر الى وادى حلفا . صادف هذا الاقتراح هوى فى نفس محمد على ، فاصدر امرا عاجلا الى عبدى اغا حاكم دنقله عينه بمقتضاه مامورا لانشاء تلك النقورات (٢) وامره بالبدء فورا فى صنعتها (٣) . وقد استجاب كل من عبدى اغا ومحمد بك حاكم بربر لنداءات الباشا ، فتعهدا ببذل كل جهدهما لصناعة النقورات اللازمة اذا توفرت لهم المواد والآلات (٤) .

وقد عمل عاهل مصر من جانبه على توفير كل الاحتياجات اللازمة لهذه الصناعة فارسل الى محافظ ابريم يامره باعداد العمال والصناع المهره كالنجارين والشارين (٥) الى جهات ابريم واسوان على أن يقوم محمد بك ناظر مصلحتى اسنا واسوان بارسالهم فورا الى دنقلا . ولترغيب هؤلاء الصناع والعمال على العمل بالسودان ولتشجيعهم على انجاز هذه المهمة التى اوكلت اليهم بكل تفان واخلاص رتبت لهم مرتبات شهرية قدرها عشرون قرشا للصانع وعشرة قروش للعامل (٦) . الا أنه لم ييسر ارسال كل العدد المطلوب من مصر ، فصدرت الاوامر لحاكمى دنقلا وبربر باكمال النقص من جهاتهم . اما المواد والآلات اللازمة لهذه الصناعة من حديد ومسامير ومناشير فقد اعدّها محمد بك وارسلها الى دنقلا على ظهر جمال استوردت

-
- (١) سجل رقم ٢٢٠ عابدين ، ترجمة المكاتبه رقم ٦٥ بتاريخ ٥ محرم سنة ١٢٥٢ .
(٢) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة الإراده رقم ١٠٦ بتاريخ ٨ محرم سنة ١٢٣٧ .
(٣) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة الإراده رقم ٨٨ ص ٣٢ بتاريخ ٢٦ محرم سنة ١٢٣٧ .
(٤) دفتر رقم ٩ معيه تركى ، ترجمة الإراده رقم ٢٦٥ بتاريخ ١٢ ربيع الاخر سنة ١٢٣٧ .
(٥) دفتر رقم ٩ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٩٤ ص ٣٤ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٣٧ .
(٦) دفتر رقم ١٠ معيه تركى ، ترجمة الأمر ١٦٤ بتاريخ ٦ جمادى الثانية سنة ١٢٣٧ .

من جهات جرجا نخصيصا لهذا الغرض (١) . ولتسهيل مهمة نقل العبيد اصدر الباشا اوامره بتوزيع تلك النقورات بعد اتمام صناعتها على الشلالات الموجودة فى اقاليم بربر ورباطاب وشندى كما عين قائمقام للاشراف عليها (٢) .

كما اعتاد المسؤولون فى سنار على ارسال غزوات بلحب العبيد من مناطق جنوبي سنار . فقد درجت السلطات المسئولة فى كردفان ايضا على ارسال الغزوات المسلحة الى بلاد الشلك . الا أن ترحيل العبيد من هناك الى كردفان ومنها الى دنقلا لتصديرهم الى مصر قد عرض الكثيرين منهم للهلاك لطول المسافة ومشاق الطريق (٣) . لهذا ، وتفاديا لهذه الرحلة الطويلة الشاقة ، اقترح الدفتر دار نقلهم من بلاد الشلك الى حلفاية ومن هناك يصدروا الى وادى حلفا فمصر (٤) . غير أن تصديرهم من حلفاية الى دنقلا احتاج الى اعداد النقورات اللازمة . لذلك ، وكما انشئت ترسانة لبناء تلك النقورات فى جهات دنقلا وبربر ، فقد قرر محمد على انشاء واحده أخرى فى حلفاية فاصدر توجيهاته الى حاكم حلفاية بطلب الأخشاب اللازمة من الجهات التى حوله ، كما امر عبدى اغا بارسال النجارين والحدادين الى حلفاية فور انتهائه من العدد اللازم من النقورات فى دنقلا (٥) .

(١) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة الإرياده رقم ٢٦٥ بتاريخ ١٢ ربيع الاخر سنة ١٢٣٧ . للإسراع فى إعداد تلك الجمال أمر محمد على متصرف جرجا « ببذل السعى والغيره فى الحصول على عدد كاف من البعير . »

الوثيقة السابقة .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ١٤ ص ٧ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٣٧ .

(٣) المسافة بين كردفان ودنقلا وحدها تستغرق خمسة عشر يوما ، دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة الإرياده رقم ٢٦٥ بتاريخ ١٢ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٢١٨ بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٢٣٧ .

(٥) الوثيقة السابقة .

بناء على توجيهات الباشا أرسل عبدى أغا عشرين من الصناع مع المعدات اللازمة الأخرى إلى حلفاية. دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٢٨٣ بتاريخ ٩ شوال سنة ١٢٣٧

على أن صناعة النقورات لم تكن الطريقة الوحيدة التي اقترحها الباشا لترحيل العبيد المجلوين من السودان . بل أنه حاول أيضا ترحيلهم بالجمال . فهاهو قد استفسر منذ اوائل عهده بالسودان من محو بك حاكم بربر عن مدى امكانية استخدام البشاريين لنقل العبيد من بربر الى وادى حلفا بالجمال مقابل اجر قليل الى أن يتم اعداد النقورات اللازمة لهذا الغرض (١) ، كما أنه قبل اقترح عثمان بك حاكم سنار وكردفان باعداد الفى جمل وتسليمها الى شيخى العبابده ، خليفة وجبران ، ليقوما بدورهما بنقل الرقيق من سنار حتى حلفا (٢) . الا أنه نسبة لقلّة الكميات الموجودة من الجمال فى مصر من جهة ولاحتياج محمد على لها من جهة اخرى فقد اعتذر الباشا عن اعدادها واصدر اوامره لعثمان بك باعداد ذلك العدد من الجمال ياخذها بدلا عن الضرائب ومن ثم بيعها للشيخين المذكورين بثمان مناسب على أن يسددا ثمنها تدريجيا من اجرة نقل الرقيق (٣) .

وكما اهتم محمد على بضمان سلامة العبيد المستوردين من كافة مناطق السودان طوال رحلتهم الى وادى حلفا ، فقد بذل ايضا مجهودات كبيرة للعناية بهم من وادى حلفا حتى اسوان . فها هو قد اصدر اوامره للبك الكتخدا باتخاذ كافة الوسائل الممكنة لضمان سلامتهم طوال هذه الرحلة (٤) ، كما أنه حث عمر اغا المشرف على شئون الرقيق باسوان بالعمل على توفير كافة مستلزماتهم والعناية بهم «حتى لا يموت منهم أى فرد» (٥) . ولم يكتف الباشا بهذه التوجيهات بل أنه عين عمر اغا محافظ قنا مشرفا عليهم طوال

(١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٤٣ ص ٢٩ بتاريخ ٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٧

(٢) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٣٩٦ بتاريخ ٦ ربيع الأول سنة ١٢٤٠ .

(٣) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٣٩٧ بتاريخ ٩ ربيع الأول سنة ١٢٤٠ .

(٤) دفتر ١٦ معيه تركى ملخص الوثيقة التركية رقم ٥٧٢ بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٤٠ .

(٥) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١٢٣ بتاريخ ٨ جمادى الأول سنة ١٢٣٩ .

هذه الرحلة (١). اما القوت اللازم لهؤلاء العبيد فكان على عمر اغا أن يجهزه لهم من وادى حلفا اما بشرائه تقدا او باستدانته من الاهالى (٢) .

وقد كان عدم توفر مياه الشرب خاصة فى صحراء العتمور من اهم العقبات التى اعترضت سبيل ارسال العبيد الى مصر وادت الى هلاك بعضهم . بالرغم من صعوبة حفر الابار فى منطقة صحراء العتمور الجبلية إلا أن محمد على بذل مجهودا كبيرا لتسهيل حفرها ، فارسل الصناع والبارود كما أنه عين احد رجال دولته ، علو اغا ، للاشراف على هذه المهمة. (٣)

حقا أن جيوش محمد على استطاعت الاستيلاء على السودان دون مقاومة قوية من جانب السودانيين ، الا أن هذا لايعنى أنها كبحت جماح القبائل السودانية وانخضعتها خضوعا تاما للحكم الجديد . فكثير من هذه القبائل لم يكتف بالهجوم على القوافل التجارية ، بل أنها درجت على الاعتداء على العبيد المرسلين من قبل المسئولين فى السودان الى مصر . فقبائل البقارة والمجانين والكبابيش هجمت احيانا على العبيد المرسلين من قبل الحكومة فى كردفان الى مصر واستولت على بعضهم (٤) .

حاول الباشا تذليل هذه العقبة بشتى الوسائل والطرق ، فمثلا عندما اشتد خطر الكبابيش على عبيد الحكومة وقويت غاراتهم عليها حاول محمد على استمالة هذه القبيلة ، فأرسل رسالة الى شيخها الشيخ سالم اعطاه فيها الامان ، كما أمر الدفتردار بالتودد اليه ليكسبه الى جانب الحكومة (٥).

(١) كان على عمر اغا أن يسافر فورا إلى وادى حلفا على أن يعين مندوبا عنه ليصرف ادارة شئون محافظته إلى أن ينتهى من هذه المهمة التى أوكلت اليه .

(٢) دفتر ١٦ معيه تركى ترجمة الأمر رقم ١٨٤ بتاريخ ١٩ جمادى الثانية سنة ١٢٣٩ .

(٣) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٤٨٩ بتاريخ ٢ شعبان سنة ١٢٣٧ .

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٤٨ ص ٣٠ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .

(٥) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٤٨ ص ٣٠ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .

وبجانب هذه الوسائل السلمية التى اتبعها لصدد غارات العصابات واللصوص وقطاع الطرق ، رأى الباشا ضرورة تكوين قوة مسلحة لحراسة العبيد اثناء طريقهم الى مصر ، فأمر محمد بك باعداد مائتى نفر من هجاة العبادلة وارسالهم الى الدفتر دار لاستخدامهم فى حراسة العبيد المرسلين من كردفان لمصر (١) . الا أن محمد بك فشل فى اقناع شيوخ العبادلة باعداد اولئك الهجاة من بينهم بالرغم من أنه استعمل معهم اسلوب الترغيب تارة والتهديد تارة أخرى ، فصرف النظر عنهم وأمر الباشا باعداد مائة من فرسان عرب الاقاليم الوسطى ليؤدوا تلك المهمة تحت اشراف حاكم دنقله (٢) .

محمد على والعناية بالزواج السودانيين فى معسكر اسوان :

لاشك أن استيراد اعداد كبيرة من الزواج السودانيين لا يكفى وحده لنجاح تجربة محمد على فى تجنيد اولئك السود فى جيشه . فيما أن الرغبة اساس لكل عمل ناجح ، فقد تحتم على الباشا أن يبذل كل جهده لترغيب المجندين السودانيين فى هذه الحياة الجديدة . وفى الواقع أن الباشا قد اهتم منذ البداية اهتماما واضحا بتحييب حياة الجندي لاولئك الزواج بأن عمل على الاعتناء بهم فى معسكر اسوان وتوفير كافة سبل الراحة لهم هناك .

اهتم الباشا بإدارة معسكر اسوان وحرص على تعيين رجال اكفاء وثق فيهم وفى اخلاصهم للاشراف على المجندين الجدد والعمل على توفير كافة احتياجاتهم . وعندما عين محمد بك مأمورا على جهات اسنا واسوان ، لم يقصد الباشا التخلص منه ، وإنما فعل ذلك لثقة فيه وفى اخلاصه كما قال فى رسالة وجهها له : « فوالله يا اخى إني لم ارسلك هنا لكوني سئمت منك ، ولا من غضبي عليك ، ولكننى ارسلتك لكونك معتمدى ومختارى وصديقى الوفى (٣) . وبما أن الباشا لم يثق فى اخلاص وولاء كل وكلائه وموظفيه ،

(١) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٣٦٧ بتاريخ ٩ جمادى الاخره سنة ١٢٣٩ .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٢٢٣ بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٢٣٧ .

(٣) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ١٠٥ ص ٣٦ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٣٧ .

فقد اصر على استمرار محمد بك في الاشراف على المعسكر بالرغم من تقدم سنه حتى يضمن حسن ادارة ذلك المعسكر (١) ، كما أنه ترك له السلطة الكاملة المستقلة للاشراف عليه ، وحث جميع الضباط في اسوان على اطاعة أوامره وحذرهم من مخالفته قيد شعره (٢) .

ولترغيب المجندين السودانيين في حياتهم الجديدة كان على محمد علي أن يعمل على استقرارهم واسكانهم ببناء الثكنات اللازمة لهم في اسوان . وبما أن بناء هذه الثكنات واعدادها يستغرق وقتا طويلا ، فقد ارسل محمد علي خمسمائة خيمة لايوائهم الى أن تجهز لهم الثكنات (٣) . الا أنه نسبة لعصيان أهالي صوليجه وجامليجه وايبصاره ورعايا بعض الجزر الأخرى في بلاد الاناضول فقد أصبح من الصعب استيراد الأخشاب من هناك الى مصر « على الوجه الذي كان يرد عليه سابقا (٤) » وبالتالي أصبح من العسير على الباشا اعداد الكميات اللازمة من الاخشاب لبناء تلك الثكنات . لذلك قرر عاهل مصر الالتجاء نحو دنقلا بلحلب الاخشاب من هناك فارسل «خمسة عشر نجارا ومائتا بلطه (٥)» الى حاكم دنقلا وامره ببذل كل جهده لترغيب اهالي دنقلا لقطع اكبر كمية ممكنة من الأخشاب (٦) وارسالها بالنيل الى اسوان حيث عين هناك احمد باشا متصرف جرجا مسئول عنها . هذا وقد ارسل محمد علي من جانبه الاسطوانات اللازمين لبناء تلك الثكنات وحث

-
- (١) دفتر ١٠ معيه تركي ، ترجمة المكاتبه ١٤٧ بتاريخ ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٢٣٧ .
(٢) دفتر ٩ معيه تركي ، ترجمة المكاتبه رقم ٣٠٧ ص ١٠٠ بتاريخ ٢ جمادى الاولى سنة ١٢٣٧ .
(٣) دفتر ٦ معيه تركي ، ترجمة المكاتبه رقم ٧٦٨ ص ٣١١ بتاريخ ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٣٦ .
(٤) دفتر ١٠ معيه تركي ، ترجمة المكاتبه رقم ١١ بتاريخ ١٢ محرم سنة ١٢٣٧ .
(٥) دفتر ١٠ معيه تركي ، ترجمة المكاتبه رقم ١٠ ص ٥ بتاريخ ١٢ محرم سنة ١٢٣٧ .
(٦) بقطع تلك الأخشاب ويبيعها الحكومة أتيت لأهالي دنقلا وسيلة جديدة لكسب عيشهم .
دفتر ١٠ معيه تركي ، ترجمة المكاتبه رقم ١١ بتاريخ ١٢ محرم سنة ١٢٣٧ .

محمد بك يبذل كل جهده لاتمامها فى اقرب فرصة ممكنة (١) .

وقد عمل محمد على على تهيئة الجو الصالح للمجندين الجدد وتوفير كافة احتياجاتهم حتى يعملوا بكل اخلاص وتفان . فعندما اقتنع بأن قماش البغته المستورد من اسبوط ردى «غير موافق للمعدل (٢)» ولا يصلح لصناعة قمصان الجنود أمر بالكف عن صنعها منه وارسل الى حاكم الاقاليم الوسطى ، خليل بك ، ليعد الف مقطع او اكثر من قماش الزعبوط المنسوج من الخيط المغزول من الصوف الابيض وارسالها الى محمد بك ليصنع منها قمصان الجنود (٣) بطريقة توافق قوامهم وابدانهم (٤) . وعندما علم الباشا أن القمصان الحجازية التى صنعت بمعرفة الكتبخدا سليمان بك لاتساعد الجنود على التدريب لضيق اكمامها وافق على اقتراح محمد بك بصنع نوع آخر أجود وانسب تاركا له حرية اختيار ذلك النوع الحديد (٥) . ولتوفير الاحذية اللازمة للمجندين الجدد اصدر الباشا اوامره الى البك الكتبخدا بتعيين «اسطى» وعدد من المساعدين لصنعها (٦) .

ولتوفير الطعام الكافى للمجندين الجدد امر الباشا متصرف جرجا بتشغيل جميع الافران لاعداد البقسماط اللازم لهم (٧) على أن يعطوا لحما وارزا مرتين فى الاسبوع ، ويرتب لكل واحد منهم ثمانية قروش شهريا (٨) . وقد اهتم الباشا ايضا بصحتهم فعين ، الدكتور بوسب بمرتب شهرى قدره الف قرش لتطعيمهم ضد الجسدري ، كما أنه عين عددا آخر من الاطباء

-
- (١) دفتر رقم ٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ١٦ ص ٥ بتاريخ ٦ محرم سنة ١٢٣٦ .
(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ١٢٣ بتاريخ ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٣٧ .
(٣) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٢٦٨ بتاريخ ٨ رمضان سنة ١٢٣٧ .
(٤) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ١٧٤ بتاريخ ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٢٣٧ .
(٥) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ١٠٦ بتاريخ ٢٨ محرم سنة ١٢٣٧ .
(٦) دفتر ٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٥٦٢ بتاريخ ١٧ شوال سنة ١٢٣٦ .
(٧) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ١٢٥ بتاريخ ٨ جمادى الاولى سنة ١٢٣٩ .
(٨) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ١٧٤ بتاريخ ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٢٣٧ .

كالدكتور دوساب ووستن لمعالجتهم من كافة الامراض الأخرى (١).
ولتوفير الدواء اللازم في معسكر اسوان اصدر الباشا توجيهاته الى جواني
رئيس الاطباء باعداد جميع الادوية اللازمة وارسالها الى هناك (٢) .

المجهودات التي بذلها المسؤولون في السودان لجلب العبيد :

والآن وبعد أن عرفنا أن جلب العبيد كان اهم اسباب الفتح جميعا
وبعد أن رأينا مدى حرص محمد علي على وصول اكبر قدر منهم سالمين الى
معسكر اسوان ، لابد لنا من اعطاء صورة سريعة للمجهودات التي بذلت
لتحقيق هذه الغاية .

اهتمت الحكومة باعداد الغزوات التي درج حكمدارو وموظفو الباشا
على ارسالها لصيد الزنوج السودانيين وتجهيزها تجهيزا تاما . وقد ذكر الرحالة
« بالم » أن الحملة المجهزة الواحدة كانت تتكون عادة من الف الى الفين من
القوات المنظمة ومن اربعمائة الى ثمانمائة من المغاربة المسلحين بالبنادق
والمسدسات مع ثلاثمائة الى الف من الاهالي المشاة المزودين بالسهام والدروع
وثلاثمائة الى خمسمائة آخرين مسلحين وراكبين على ظهور دوابهم (٣) .

على أن الحكومة كانت ترسل هذه الغزوات سنويا وفي فصل الجفاف
من الابيض والخرطوم وسنار الى ثلاث مناطق رئيسية : جبال النوبة جنوبي
كردفان واوطان الشلك على ضفاف النيل الابيض وجبال القونج (٤) . وقد
زعم الاستاذ محمد فؤاد شكرى أن انتشار الرقيق في السودان قبل
الفتح المصرى ادى الى انتشار الفوضى في ربوعه (٥) ، غير أنني ارى أن

(١) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٣٦٠ ص ١١٤ بتاريخ ٦ جمادى الآخر سنة
١٢٣٧ .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٢٠٤ بتاريخ ١٥ رجب سنة ١٢٣٧ .

(3) Pallme : Travelsin Kordofan, P. 309

(4) Shukry : Khedive Ismail P. 74.

(٥) شكرى : الحكم المصرى ، ص ١٢ - ١٣ .

هذه التجارة كانت معروفة آنذاك في حدود ضيقة ومشروعة ، لها نظمها وقوانينها . فهي اذا لم تكن سببا لاضطراب الامن بل أن السبب الرئيسى لذلك هو تلك الغزوات المسلحة التى ارسلها محمد على لاصطياد الرقيق .

ومنذ اوائل الفتح ظهر اهتمام المسئولين فى السودان يجلب العبيد من السودان . فما أن استتب الامن فى سنار حتى ارسل اسماعيل باشا سرية قوية الى جبل تاجي قرب سنار بقيادة قوجه احمد اغا(١) عادت بالف وتسعمائة من الزنوج ارسلها اسماعيل الى مصر مع سليم اغا(٢) . وبعد هزيمة المقدوم مسلم فى كردفان استولى الدفتردار منه على الف ومائتى عبد وجاريه وأرسل منهم ثمانمائة الى دنقلا ليرسلوا من هناك الى مصر(٣) . الا أن الباشا لم يقتنع بتلك المجهودات التى قام بها ابنه اسماعيل وصهره الدفتردار ، فارسل ابنه ابراهيم باشا للاتفاق مع اخيه فى احسن الطرق فى ارسال الغزوات وجلب المردان الصالحين للعسكرية الى مصر . ولثقة الباشا فى ابنه قاهر الوهايين جعله المسئول الاول عن ادارة البلاد وتنظيم الغزوات وطلب من ابنه اسماعيل اطاعته بقوله : «وايذل كل سعى وجد فى اتباع راي حضرة ولدنا صاحب العطوفه ابراهيم باشا والى جده خصوصا فى امر جلب ماهو مأمول جلبيه من السودانين على الوجه المطلوب(٤) . وما أن وصل ابراهيم باشا الى سنار فى ٢٥ محرم ١٢٣٧ (٥) ٢٣ أكتوبر سنة ١٨٢١ ، حتى اتفق مع اخيه للقيام بحملتين قويتين ، الاولى بقيادة ابراهيم لتتجه نحو بلاد الدنكا والبحر الابيض ، والثانية بقيادة اسماعيل لتتجه نحو جبال الصعيد . امل الاخوان فى جمع عشرة الاف من العبيد وأرسلهم الى مصر فورا ، على أن يستمر الغزو لجمع

- (١) شبيكه : السودان فى قرن ، ص ٢٨ .
(٢) دفتر ٦ معه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٦٤٧ ، بتاريخ ١٤ ذى القعدة سنة ١٢٣٦ .
(٣) دفتر ١٠ معه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٤٩ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .
(٤) دفتر ١٠ معه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٣٩ ص ٢٥ بتاريخ ٤ ربيع الأول ١٢٣٧ .
(٥) دفتر ١٠ معه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٥٦ ص ٣٥ بتاريخ ٢٣ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .

اربعين الفا. الا أن أمالهما ذهبت ادراج الرياح، اذ اشتدت العله وسط الجزيرة على ابراهيم فعاد الى مصر دون ان يحقق أى نجاح يذكر (١). كما فشل اسماعيل فى مهمته اذ لم يأت بأكثر من ٤٧٧ زنجى يصلح للجندية، ومابقى من النساء والاطفال (٢)، وقد اضطر اسماعيل للعودة الى سنار على اثر الثورة التى اندلعت هناك احتجاجا على الضرائب الباهظة التى فرضها المباشر حنا الطويل.

وبالرغم من هذا فشل الذريع أستمر المسؤولون تحت الحاح محمد على فى مجهوداتهم لارسال العبيد الى مصر، فارسل اسماعيل فى اواخر سنة ١٢٣٧ « ١٨٢٢ » تسعمائة عبدا اصحاء اشداء على حساب الفرده (٣). وبعد مقتل اسماعيل (٤) واصل الدفردار تلك المجهودات وبلغ مجموع العبيد الذين ارسلهم الى دنقلا ليرسلوا من هناك لمصر منذ جمادى الاول سنة ١٢٣٩ « يناير سنة ١٨٢٤ » حتى شوال سنة ١٢٣٩ « مايو ١٨٢٤ » اربعة الآف عبد (٥).

(١) ذكر هل (Hill : Egypt in the Sudan, P. 48) أن ابراهيم إضطر للعودة إلى مصر لإصابته بداء المستتاريا . الا أننا بالرجوع إلى الوثائق نعرف انه أصيب بالناصور . دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ١٢٥ بتاريخ ١٤ جمادى الاولى سنة ١٢٣٧ .

(٢) شيبكه : السودان فى قرن ص ٣١ .

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٣٢٥ بتاريخ ١٠ ذو القعدة سنة ١٢٣٧ .

(٤) يدعى الاستاذ الشاطر البصلى أن المماليك هم الذين دبروا مقتل إسماعيل زاعما إن استخدام خطة الغدر التى دبرت لإغتياله لم يكن معروفا فى السودان آنذاك، كما أن المماليك هم أصحاب المصلحه الحقيقية لإغتياله نسبة للعداء المستحكم بينهم وبين محمد على .

البصلى : معالم تاريخ ، ص ١٣٤ .

رغم ان الوثائق لا تنير الطريق أمامنا فى هذا الموضوع الهام فهى تركنا وقد غادر إسماعيل ود مدنى وتنتقل بنا فجأة إلى حملات الدفردار الإنتقامية ، فقد أكد لنا الكثير من الرحالة الذين زاروا السودان فى عهد محمد على أن اسماعيل قتل بمؤامرة دبرها نمر زعيم الجعليين .

(٥) دفتر ١٤ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٤٢٤ بتاريخ ١٧ شوال سنة ١٢٣٩ .

وقد شهد عهد الحكمدار خورشيد اهتماما ملحوظا بامر تنظيم الغزوات وارسالها لقنص الرقيق . فعندما استلم مقاليد الحكم فى سنة ١٨٢٦ ارسل غزوة لبلاد الشلك . كما قاد فى نفس السنة حملة صغيرة أخرى سارت على النيل الأزرق حتى وصلت جهات «ود العباس» وعادت الى الخرطوم بعد أن استولى خورشيد على كمية من العبيد باعها نيابة عن الحكومة (١) . وفى سنة ١٨٢٧م قاد خورشيد حملة أخرى الى بلاد الدنكا على ضفاف النيل الأبيض ، واستطاع بمساعدة الشيخ سليمان ابي روف ، من شيوخ عربان رفاعه ، الوصول حتى نهر سوباط ، وعاد من هناك بعد غياب ثلاثة اشهر ، كان نتيجتها اعتقال خمسمائة من زنوج الدينكا (٢) . وفى سنة ١٨٢٨ قاد خورشيد غزوة أخرى نحو بلاد الاتقنا بلحب العبيد من هناك (٣) . كما شهد عام ١٨٣٠ حملة أخرى قادها خورشيد الى بلاد الشلك وعاد من هناك بمائتين من الأسرى (٤) . وفيما بين عامى ١٨٣١ و ١٨٣٢ قاد خورشيد اكبر قوة تستعمل فى الغزوات حتى ذلك الوقت . ستة آلاف جندي ، نحو بلاد التاكة بهدف الحصول على كميات ضخمة من الماشية والعبيد . إلا أن تلك الحملة تعرضت لخسارات فادحة اذ فقدت الف وخمسمائة من رجالها ورجع خورشيد ببقية جنوده دون أن يحقق آماله (٥) . وفى سنة ١٨٣٢ غزا خورشيد بلاد فازوغلى غزوة ناجحة جلب بعدها اعدادا كبيرة من الرقيق (٦) .

وقد أعد رسم بك حاكم كردفان فى عهد الحكمدار خورشيد بعض

(1) Hill : On the Frontiers, P. 7.

(٢) المصدر السابق ، ص ٤ - ٥ .

(3) Hill : Egypt in the Sudan, P. 63.

(4) Hill : On the Frontiers, PP. 12-13.

السبب الرسمى الذى برر به خورشيد هذا الهجوم على بلاد الشلك هو معاينة قبائلها لا اعتداءاتها المتكررة على العرب الذين سكنوا بالقرب منهم .

Hill : Egypt in the Sudan, P. 63.

(5) Hill : On the Frontiers, p. 13.

(٦) المصدر السابق ، ص ٧ .

الغزوات لصيد العبيد . ففى الخامس من شهر شعبان سنة ١٢٤٥ . « ٣٠ يناير سنة ١٨٣٠ » قاد حملة لغزو الزنوج فى جبالهم بالقرب من كردفان . بعد قتال عنيف بين الجانبين استمر لمدة سبعة ايام استطاع رستم بلك الانتصار على الالهالى فغنم اموالهم واملاكهم واسر منهم الفا واربعمئة اسيرا اختار منهم « الفا من صغيرى السن المقتدرين وأرسلهم مع مصطفى اغا بيكباشى الاورطه السادسة الى المحروسة . . (١) » . وقاد رستم ايضا فى سنة ١٢٤٨ « ١٨٣٢ - ١٨٣٣ » حملة أخرى الى جبال الزنوج فتكت بهم واسر منهم الفا وخمسمائة عبد (٢) .

الا أننا اذا القينا نظرة فاحصة على الوثائق لرأينا أن اهتمام الباشا بامر الرقيق قد قل كثيرا بعد عهد حكمدارية خورشيد . فعندما زار السودان سنة ١٨٣٩ لم يرد بهذه الزيارة تطوير وسائل قنص الرقيق وحث المستولين على جلب أكبر قدر منهم وإنما زاره لتفقد اعمال التنقيب عن الذهب فى فازوغلى . ثم أن معظم الرسائل التى ارسلها للحكمداريين وغيرهم لم تعط اهتماما كبيرا ، كما كان الحال فى اوائل عهده ، بمسألة العبيد ، وإنما حثهم فيها ، خاصة فى اواخر عهده ، على الاهتمام بحاصلات السودان ومتوجاته كالصمغ والماشية وارسالها الى مصر . فالباشا وجه المنظم احمد باشا المنكلى ببذل كل جهده بارسال اكبر كمية من الماشية بقوله : « . . . وأن تبدى أمر هذه الماشية على سائر الامور وإياك التهاون فيه . . . (٣) » . وعندما علم أن الماشية السودانية تصل لمصر ضعيفة هزيلة لأن مدير بربر لا يهتم بتجهيز العلف لها ، كتب اليه لافتا نظره للاهتمام بهذا الامر وحثه من الاهمال فيه بقوله : « والحذر أن اسمع عنك أن المواشى تمر من مديريتك فى محطاتها من غير علف (٤) » .

-
- (١) الوقائع المصرية ، عدد رقم ٩١ بتاريخ الثلاثاء ١٥ محرم سنة ١٢٤٦ .
(٢) الوقائع المصرية ، عدد رقم ٣٨٨ بتاريخ السبت ٣ محرم سنة ١٢٤٨ .
(٣) دفتر رقم ٣٧٨ معيه تركى ، وثيقة رقم ٢١٢ بتاريخ ١١ رمضان سنة ١٢٦٠ .
(٤) دفتر رقم ٤٠٨ صادر ديوان المعيه ، ترجمة المكاتب التركية رقم ٣٩٩ بتاريخ ٨ ربيع الأول سنة ١٢٦٣ .

وقد اهتم الباشا ايضا باستيراد الصمغ خاصة من كردفان ، فارسل الرسالة
تلى الأخرى للمسئولين هناك للاهتمام بأمره . ففى رسالة وجهها لمدير
كردفان سنة ١٢٦٢ «١٨٤٥-١٨٤٦» قال له : «واجهم الصمغ بكثرة
فى هذه السنة وارسله متابعاً^(١)» . وعندما علم ان الصمغ يهرب بلجئات
سواكن ومصوع كتب الى حكمدار السودان قائلاً : «بما أنه بلغ سمو
الخدوى^(٢) أن الصمغ يهرب بلجئات سواكن ومصوع فقد كتبنا لكم
بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٢٦٢ بان تصادروا الصمغ المهرب والدابة التى
تحمله . . . وأن تعنوا كل العناية بعدم تهريب الصمغ^(٣)» .

لمعرفة اسباب هذا التحول فى سياسة محمد على لابد لنا من دراسة
الاعراض التى اراد الباشا استخدام اولئك السود فيها والنجاح الذى احرزه
فى هذا الشأن . هذا ما سأحاوله فى الفصل القادم .

(١) دفتر ٣٩٣ صادر ديوان المعية ، وثيقة رقم ٦٦٤ بتاريخ ١٧ ربيع الآخر سنة ١٢٦٢ .
(٢) بالرغم من ان لقب خديوى لم يعط رسمياً الا لاسماعيل وأحفاده الا أنه أطلق أحياناً على
محمد على فى المكاتبات الرسمية .
(٣) دفتر رقم ٤٢٣ صادر المعية السنية ، ترجمة المكاتب التركية رقم ١٦٧٤ بتاريخ ٢٢
صفر سنة ١٢٦٢ .

الفصل الثالث

الاعراض التي استخدم فيها العيد
المجلوبون من السودان

الأغراض التى استخدم فيها العبيد المجلوبون من السودان

تجنيد الزنوج السودانيين فى جيش محمد على

اقتنع محمد على منذ استيلائه على حكم مصر بضرورة تكوين جيش نظامى حديث يحمى به مركزه فى الداخل ويبنى به الامبراطورية التى حلم بها. وقد كان الجيش اهم مشاريع محمد على جميعا، اذ أن معظم المنشآت التى انشأها هدفت لخدمة الجيش واستكمال حاجاته. فالباشا قد اقام المدارس الملكية والحرية لتخريج الضباط وارسل البعثات الى اوربا لاعداد العلماء والمهندسين والاساتذة ممن يتصلون عن بعد أو قرب بالأداة الحرية» (١).

عندما اقدم محمد على فى سنة ١٨١٩ على تكوين جيشه النظامى، لم يشأ استقدام الضباط والمعلمين اللازمين لتدريبه من تركيا حتى لا يثير شبهات الباب العالى من جهة، ولأن الجيش العثماني لم يكن آنذاك فى حالة تسمح بارسالهم من جهة أخرى. لذلك اتجه الباشا نحو فرنسا التى اراد كثير من ضباطها العمل فى الدول الناهضة، اذ انهم اصبحوا عاطلين بعد هزيمة نابليون سنة ١٨١٥ فى معركة ونزلو الشهيرة. ألحق محمد على بعضهم بخدمته تحت قيادة الكولنيل سيف الذى وفد الى مصر سنة ١٨١٩، والذى كان له الفضل الاول فى معاونة محمد على فى تأسيس الجيش المصرى على النظام الحديث (٢). ولاعداد الضباط الاكفاء للجيش الجديد ارسل الباشا الفا من مماليكه وممالك بعض رجال دولته ليعلمهم الكولنيل سيف فنون الحرب فى اسوان التى اختارها الباشا لتدريب النواة الاولى لجيشه لبعدها عن القاهرة ونخلوها من الملاحى وقربها من السودان وذلك القطر الذى يتظر أن يكون اهم مراكز التجنيد للجيش الجديد» (٣).

(١) الرافى : تاريخ الحركة القومية ، ج ٣ ، ص ٢٥٣ .

(٢) اعتنق سيف الدين الاسلامى وعرف فيما بعد باسم سليمان باشا الفرنساوى .

(٣) شكرى : بناء دولة ، ص ١٥١ .

وعندما اراد الباشا حشد الجنود لجيشه الحديث لم يفكر فى بادئ الامر فى تجنيد المصريين ، اذ أنه ربما اعتقد أنهم لا يصلحون لذلك «لطول ماتقادم عليهم من عصور الاستبداد التى اورثتهم الجبن والكذب والعجز والمذلة (١)». كما أنه خشى أن يؤدى ذلك الى حرمان مصر من قيامهم على الزراعة فتسوء احوال البلاد الاقتصادية . وبما أن المصريين لم يعتادوا التجنيد فى عهد المماليك فيبدو أن الباشا لم يرد أن يفاجئهم به حتى لا يثير هياجهم وتمردهم . وهكذا فقد اتجه الباشا نحو السودان آملا أن يجلب من هناك ما يحتاج اليه من العبيد ليجندهم فى جيشه .

بما أن السودانين عرفوا بالطاعة والصبر والقناعة والبسالة فى القتال ، فقد حاول كثير من الحكام الذين حكموا مصر جلبهم من بلادهم وتجنيدهم فى جيوشهم . فقد كان احمد بن طولون اول من استخدمهم فى الجيش الطولوني حتى أن عددهم بلغ اربعين الفا (٢) ، كما استمر تجنيدهم فى جيش الاخشيديين خاصة فى عهد كافور (٣) وزادت اعدادهم فى عهد الفاطميين لاسيما فى عهد المستنصر بالله (٤) اذ بلغ عددهم خمسين الفا (٥) . وما أن استولى نابليون على حكم مصر حتى فكر فى تجنيدهم فى جيشه ، فأرسل فى سنة ١٧٩٩ خطابا الى السلطان عبد الرحمن سلطان دارفور جاء فيه : « . . . والآن طلبى اليكم أن ترسلوا الى مع اول قافلة الف عبد من الأشداء المتجاوزين

(١) مرى : صفحة من تاريخ ص ٢٩ .

(٢) مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١٣٨ نقلا عن المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ١ ، ص ٩٤ . إهتم ابن طولون بهؤلاء العبيد فاقطعهم إقطاعا خاصا عرف باسمهم وعين حاجبا لصرف جراياتهم (المصدر السابق ص ١٣٨ نقلا عن المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ١ ، ص ٢١٥)

(٣) المصدر السابق ص ١٣٩ نقلا عن المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ١ ، ص ٩٤ .

(٤) شجعت والدته المستنصر ، وهى سودانية الأصل ، إبنها على جلب المزيد من أبناء جلدتها . مسعد : الإسلام والنوبة ص ١٣٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٣٩ نقلا عن المقرئى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٩٤ .

السته عشر من العمر ، اذ مرادى أن ابتاعهم لنفسى (١) . لهذا لم يكن من الشاذ ولا المستغرب أن يتجه عاهل مصر جنوبا لجلب الزنوج السودانين لتجنيدهم فى جيشه .

لقد أمل محمد على فى جمع وتجنيد اعداد كبيرة من السود قدرها «هل» بعشرين الفا (٢) ، بينما رأى مؤلفو كتاب «بناء دولة محمد على» أن العدد الذى اريد تجنيده لم يقل عن ثلاثين الفا أو اربعين (٣) . الا أن الآمال والاحلام شئ ، والحقيقة والواقع شئ آخر . فالباشا قد فشل فى تجنيد تلك الأعداد الضخمة التى طمع فى جلبها من السودان لاسباب متعددة .

أولا : سوء وفساد الإداريين :

بما إن الإدارة القوية الحازمة كانت شرطا رئيسيا لتحقيق أغراض محمد على فى السودان (٤) ، وبما أن مثل هذه الإدارة لن تتحقق الا اذا اوكل أمرها لموظفين أكفاء ، فقد بذل الباشا مجهودا كبيرا لتعيين أشخاص أكفاء للعمل فى السودان . فما أن تم فتح البلاد حتى أرسل الباشا ابنه أبراهيم لمساعدة أخيه فى هذا الشأن ، كما أنه إهتم ، خاصة بعد حملات الدفردار الانتقامية وبعد سياسة التعسف والإرهاب التى أشاعها خلفه عثمان بك (٥) ، بتعيين حكامدارين مخلصين للعمل بالسودان . وعند زيارته للسودان (٦) لاحظ الباشا « أن البلاد ينقصها الكثير من الكتاب الأكفاء الذين فى مقدورهم مواجهة الأمور والأحوال الطارئة ومعالجتها (٧) » فأرسل إلى القاهرة

(١) شقير : ج ٢ ، ص ١٢٣ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 25.

(٣) شكرى : بناء دولة ، ص ١٥٢ .

(٤) شبيكه : السودان فى قرن ص ٣٨ .

(٥) تولى عثمان بك جر كس إدارة إقليم السودان فى الفترة ما بين أكتوبر ١٨٢٤ إلى أبريل ١٨٢٦ .

(٦) انظر ص ١٠٧ - ١١٦ .

(٧) دفتر ٢٨٠ شورى البعثة ملكيه ، وثيقة رقم ٢١ بتاريخ ١١ محرم ١٢٥٥ .

مستعجلا إرسال عدد منهم للخدمة في السودان . ولتنظيم العمل في السودان أصدر مجلس العموم في ٢٢ محرم سنة ١٢٦٤ « ٣٠ ديسمبر ١٨٤٧ » لائحة نصت على أن من يخدم في دنقلا يبقى فيها ثمانى سنوات وفي الخرطوم ست سنوات ، وفي كل من سنار وقازوغلى والتاكة أربع سنوات . ولا يصح لأى موظف مغادرة مقر خدمته الا إذا حضر من يحل محله ، ولا يسمح له بالذهاب إلى مصر أثناء تلك المدة الا بشهادة طبية تمتحن صحتها في القاهرة ويعاقب الطبيب والموظف اذا ثبتت اللباقة الطبية . واذا ألفت الموظف الإقامة في مركز خدمته وطلب البقاء وكانت الشهادة في عمله مرضية فله أن يبقى مدة أخرى (١) .

ولترغيب الموظفين للعمل بالسودان فقد منحهم الباشا بعض الإمتيازات فوافق على زيادة مرتباتهم (٢) وأمر أحيانا بصرفها لهم مقدما من خزينة القاهرة (٣) ، كما أنه أعفاهم من دفع الضرائب (٤) . هذا وقد فرض محمد على رقابة صارمة على سلوك موظفيه ، فكثيرا ما اساء الموظفين الذين أخطأوا وهددهم بالعقاب الصارم اذا تكررت أخطاؤهم ، كما أنه أرسل الجواسيس إلى مختلف أنحاء البلاد لمراقبة سلوكهم ورفع تقارير عنهم إلى الجهات المختصة (٥) . وقد إهتم الباشا بالتحقيق في التهم التى وجهت اليهم فأرسل

(١) محفظه رقم ١٣ أوامر لديوان الجهادية ، ترجمة الوثيقة رقم ٤٤ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٦٤ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 37.

عارض الباشا في بادئ الأمر زيادة تلك المرتبات بحجة ان مستوى المعيشة منخفض في السودان ، الا أنه عاد ووافق على زيادتها .

(٣) دفتر ٢٨٩ شورى المعاونه تركى ، ملخص ترجمة المكاتبه التركيه رقم ٨٧٣ بتاريخ ٢٨ محرم سنة ١٢٥٩ .

(٤) محفظه ١ مجلس ملكية تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١٤٦ ورقة ١٤٦ بتاريخ ١٥ ذى القعدة سنة ١٢٥٠ .

(5) Pallme : Travels in Kordofan, P. 31.

الا أن معظم هؤلاء الجواسيس كانوا في حاجة إلى رقيب عليهم اذ أنهم كثيرا ما إستغلوا سلطاتهم وطالبوا الحكام والموظفين بالهدايا والرشوة والا فربما الحقوا بهم أضرارا بليغة .

المحققين من مصر . وسمح أخيرا لحكمدارى السودان بتكوين لجان للتحقيق (١) . ولردع المخطئين منهم فقد عاقبهم محمد على عقابا صارما إمتد أحيانا إلى السجن أو الفصل النهائى من الخدمة . فقد فصل مثلا مأمور دنقلة فى سنة ١٢٥٠ « ١٨٣٤ - ١٨٣٥ » من منصبه لأنه إرتكب الكثير من الأخطاء والأعمال الرديئة (٢) .

الا أنه يبدو أن معظم المصريين لم يرغبوا فى مغادرة بلادهم للعمل بالسودان (٣) لتعلقهم بديارهم وأهلهم من جهة ولخوفهم من الأمراض المنتشرة فى السودان من جهة أخرى . لذلك فإن بعضا منهم إنتحل الأعدار لتأخير مجيئه للسودان ، فعندما أختير المعلم بشاره فى سنة ١٢٤٥ « ١٨٢٩ - ١٨٣٠ » للعمل فى السودان تهرب من السفر بأن كان « يقدم كل يوم للمجلس تقريرا يتعلل به عن الرواح ويثقل على المجلس بقصد تعويق ذهابه فى الوقت المقرر (٤) » ، وفريق آخر هرب قبل وصوله إلى مكان مأموريته تارة (٥) وبعد وصوله إليها تارة أخرى (٦) .

وهكذا فإن الذين جاءوا للخدمة لم يأتوا عن طيب خاطر وإنما إضطروا للمجيء تحت تهديدات محمد على بترع ميدالياتهم (٧) وفصلهم من خدمة

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 44.

(٢) محفظة رقم ١ مجلس ملكية تركى ، ترجمة الوثيقة ٧٥ بتاريخ ١٧ شعبان سنة ١٢٥٠ .

(٣) هنالك عدد قليل جدا من الموظفين المصريين الذين رغبوا فى العمل فى السودان . فمثلا

من مكاتبه موجهة من الديوان الخديوى إلى مدير كردفان نعرف أن شخصا يسمى دور كل

محمد اغا فصل من الخدمة فى كردفان لمرضه ، الا أنه التمس السماح له بالاستمرار فى

عمله . دفتر ٨٤/٦٣ ديوان الجهادية عربى صادر ، الوثيقة ١٦ ص ١٠٢ بتاريخ ١٠

جمادى الاولى سنة ١٢٦٣ .

(٤) دفتر ٧٥٩ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ٢٣ بتاريخ ١٣ رجب سنة ١٢٤٥ .

(٥) دفتر ١٧/٩٢ ديوان الخديوى عربى واردة ج ١ الوثيقة رقم ٤ ص ١٥٢ بتاريخ ٢٥

صفر سنة ١٢٦٢ .

(٦) دفتر ١٣ ديوان الخديوى عربى واردة ج ٢ ، وثيقة ١٢ ص ٥٠ بتاريخ ١٢ ربيع أول

سنة ١٢٦٤ .

(7) Hill : Egypt in the Sudan, P. 37.

الحكومة فصلا نهائيا . فعندما إعتذر مثلا شخص يدعى عبد الحى أفندى فى سنة ١٢٥٥ « ١٨٣٩ - ١٨٤٠ » عن السفر للخدمة فى السودان أمر الباشا بفصله فورا (١) . لهذا لم يكن غريبا أن يهمل هؤلاء إدارة شئون البلاد ويركزوا كل جهدهم لتحقيق مطامعهم الشخصية وجمع أكبر قدر من المال بطرق ملتوية وأساليب فاسدة . فقد قيل مثلا أن المنكى عاد من السودان بكمية كبيرة من العبيد والأموال والخيول مع ألفى أوقية ذهب (٢) . وكان من الطبيعى فى هذه الأحوال أن ينتشر الفساد والمحسوبية وتختلس أموال الحكومة فى وضوح النهار، حتى أن موسى الكاشف أحد أعضاء مجلس المشورة الذى عقد فى ٨ محرم سنة ١٢٤٢ « ٢ أغسطس سنة ١٨٢٦ » قال : « ... إن فى مقدمة الأكالين هناك هو السر عسكر ثم الكشف ويأتى القائمون فى الصف الثانى ، والمشائخ فى الصف الثالث ، وكل من يليهم أكالون (٣) .

إعتاد أولئك الإداريون بيع رقيقهم للتجار بأثمان أعلى بكثير من ثمن شرائها، حتى أن التجار إشتكوا لمحمد على طالين منه أن يتدخل لحماية مصالحهم، ففى سنة ١٨٣٦ مثلا رفع شيخ يدعى محمد بن الشيخ دياب شيخ خندق عريضة ضد قاسم أغا حاكم دنقلا أدعى فيها أنه « يشتري من الجلايين الرقيق الذى قيمته نحو خمسين فرنسه بعشرين فرنسة ويبيعه للتجار بنحو ثمانين فرنسه » (٤) .

وقد درج كثير من الإداريين وحكام الأقاليم على الإستيلاء على بعض

(١) دفتر ١٦٥ شورى المعاونة وثيقة رقم ٢٢٣ بتاريخ محرم سنة ١٢٥٥ . (التاريخ غير محدد .)

(2) Hill : On the Forntiers, P. 48.

(٣) شكرى : الحكم المصرى ترجمة صورة مجلس المشورة الذى عقد فى ٨ محرم سنة ١٢٤٢

نقلا عن محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة المكاتبه رقم ٢٢ بتاريخ ٨ محرم سنة ١٢٤٢ .

(٤) محفظة رقم ٥ قرارات مجلس الملكية والجهادية ، ترجمة وتلخيص المضبطة رقم ١ بتاريخ

٥ ربيع الآخر سنة ١٢٤٢ ، ترجمة الفقرة ب .

الأسرى الذين قبض عليهم فى غزوات الحكومة وباعوهم لمصلحتهم الخاصة (١). وكثيرا ما استولى الجنود أيضا على بعض الأسرى الذين قبض عليهم فى الغزوات وباعوهم لتجار الرقيق بدلا من تسليمهم لسلطات الحكومة ليرسلو إلى مصر، حتى أن الباشا اضطر إلى إصدار أوامره بمنع التجار من شراء الأسرى من أولئك الجنود و « ضبط الأسرى الموجودين بأيدي الذين لم يمتنعوا منهم (٢) » .

ثانيا : المشاق والمخاطر التى تعرض لها العبيد أثناء رحلتهم إلى مصر :

الرحلة بين مصر والسودان رحلة طويلة شاقة ، تعرض فيها العبيد المرسلون من السودان لمشاق ومتاعب جمة . أدت إلى هلاك الكثيرين منهم قبل وصولهم إلى مصر . فزيادة على مشاق الطريق كإعدام الماء ، خاصة فى زمن الجفاف ، فقد لاقى أولئك العبيد معاملة وحشية لا تليق بالبشر . فالبالغون منهم وضع حول أعناقهم وتد خشبى مدبب واجبروا على إبقائه مشدودا إليها « لا يفارقها نحو شهر أو ستة أسابيع (٣) » ، والأطفال بين سن العاشرة والخامسة عشر قيدوا بقيود قوية لتحول بينهم وبين الفرار (٤) . وقد تعرض العبيد بصفة خاصة لأسوأ أنواع المعاملة من جنود الحكومة لأنهم رغبوا التخلص منهم وخاصة من المسنين وغير الصالحين لأنهم عرفوا أنهم سيجبرون على أخذهم بدلا من متأخرات رواتبهم بأسعار تريد كثيرا عن الأسعار التى سيبيعونها بهم لتجار الرقيق . وقد لاحظ الرحالة بالم أن معاملة تجار الرقيق للعبيد كانت أحسن من معاملة الجنود لهم ، لا لترعة إنسانية سيطرت على أفئدتهم وإنما لأنهم نظروا اليهم كسلعة تجارية يجب المحافظة عليها (٥) .

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 62.

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٢١ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .

(٣) شكرى : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنج ص ٥٥٢ .

(4) Pallme : Travels in Kordofan, P. 321.

(٥) المصدر السابق ، ص ٣٢٠ .

وبما أن أجسام الزنوج ضعيفة لا تتحمل المرض حين يقعون فريسة له (١) ، فقد أدى إنتشار الأمراض المتعددة كالدستاريا والمالاريا وداء الصفرة والأمراض التناسلية وحمى التيفود والطاعون (٢) إلى هلاك كثيرين منهم. فمن حوالى ألفين وأربعمائة عبد وجارية أرسلوا من اسوان للقاهرة فى سنة ١٢٣٩ هـ « ١٨٢٣ - ١٨٢٤ م » وصل منهم ١٢٤٥ فقط ، وهلك الباقون فى الطريق (٣) .

وينجانب كل هذه المتاعب فقد تعرض العبيد المرسلون إلى مصر إلى اعتداءات متكررة من القبائل السودانية تارة ومن الفلاحين فى صعيد مصر تارة أخرى . وفى عام ١٢٣٩ « ١٨٢٣ - ١٨٢٤ » تربض جماعة من البشاريين بألف وثلاثمائة رأس من الرقيق أرسلهم الدفتردار فهجموا عليهم فى جهات بربر واستولوا عليهم بعد أن أحرقوا القوارب التى جاءت بهم إلى هناك (٤) . وفى سنة ١٢٤٢ « ١٨٢٦ - ١٨٢٧ » هجم جماعة من فلاحى قرية الدير بصعيد مصر على بعض العبيد المرسلين إلى مصر والحقوا بهم أضرار بالغة (٥) .

(1) Burckhardt : Travels in Ethiopia, P. 303-4.

(٢) فى أواخر عهد محمد على إنتشر الجدرى فى السودان بصورة ملحوظة حتى أن الباشا أوفد أطباء من مصر ، كما أمر بتعليم بعض المواطنين « فن التطعيم » لتطعيم الأهالى ضد هذا الوباء الخطير . دفتر ٩٣ / ٥٤٩ ديوان الخديوى عريى صادر بـ ٢ ، الوثيقة بدون رقم وبدون تاريخ محدد (سنة ١٢٦٣) .

(٣) دفتر ١٨ معيه تركى ، ملخص ترجمة الوثيقة رقم ٣٧٥ بتاريخ ٣٠ شوال سنة ١٢٣٩ .
(٤) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١٨٥ بتاريخ ١٩ جمادى الثانية سنة ١٢٣٩ .
(٥) دفتر رقم ٧٣٢ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ٣٥٨ بتاريخ غرة ربيع الأول سنة ١٢٤٢ .
بعد التحقيق إتضح « ان البادئين بالفساد » أربعة من شيوخ تلك القرية قاعقلوا وارسلوا إلى القاهرة ليحاكموا هناك .

ثالثا : عدم رغبة الزنوج السودانيين فى مفارقة أوطانهم للالتحاق بجيش محمد علي :

ذكر أحمد باشا مأمور السودان عن شهرى ذى القعدة وذى الحجة سنة ١٢٥٣ « فبراير - مارس سنة ١٨٣٦ » فى تقرير رفعه لمحمد علي أن سكان السودان من بربر للخرطوم طيبو القلوب وهم « بالنسبة لغيرهم محبوبون لأوطانهم متقادون لحكامهم وأنه من الممكن أخذهم للجهادية باللين والرفق وترغيبهم بها يوما بعد يوم (١) » ، وأما أهل البلاد من الخرطوم إلى مدنى فيمكن أخذهم للجهادية باللين والرفق إذا توفرت لهم كل سبل الراحة من مأكول ومشرب الخ « مما سيرغب بعضهم بعضا فيكثر عددهم ومن أجل ذلك سأجمع مقدارا منهم بكل سهولة ، ولا يكون كلفة ولا زحمة من جراء جمعهم بالنسبة للجهات الأخرى (٢) » .

عندما نتحدث عن رغبة السودانيين فى التجنيد لابد أن نفرق بين السودانيين العرب والسودانيين الزنوج . فيما أن « عز الرجل فى عز قبيلته ومجموعته الصغيرة (٣) » وبما أن مطالب العيش كانت بسيطة لا تضطر الإنسان إلى مفارقة قبيلته وأهله وعشيرته فمن الظاهر أن السودانيين العرب ما عدا الشايقية لم يرغبوا فى حياة الجندية لما فيها من متاعب ومخاطر . أما السودانيون الزنوج فقد عرفوا منذ أزمان بعيدة بحبهم للجندية وتفوقهم فيها . إلا أنه مع حب الزنوج السودانيين للجندية فقد كرهوا مفارقة أوطانهم خاصة إلى مصر إذ أنهم كرهوا بياض البشرة بصفة عامة واعتبروه أثرا من آثار المرض وعلامة من علامات الضعف (٤) وكرهوا « أولاد الريف » بصفة

(١) محفظة رقم ٢٦٥ عابدين ، وثيقة رقم ١٨٨ بتاريخ ١٧ ذى الحجة سنة ١٢٥٣ هـ

(٢) الوثيقة السابقة .

(٣) شيبكه : السودان فى قرن ، ص ٧ .

(4) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 338.

عندما كان بركهات مقيما فى شندى كان الاهاى يصيحون فى وجهه بقولهم : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

خاصة لأن الفكرة السائدة بينهم أنهم يأكلون البشر (١) . لهذا فقد قاوم الزنوج الغزوات المسلحة التي أرسلت لصيدهم مقاومة عنيفة بالرغم من عتاها وأسلحتها النارية (٢) . فهاهم زنوج جبل توكام . أحد الجبال من سلسلة جبال تقلى ، قد صدوا جيوش الدفردار التي أرسلت في سنة ١٨٢٤ بقيادة شريف أغا وإضطروهم للإنسحاب (٣) . أما زنوج جبل الداير شمال شرقي الأبيض بمسافة عشرين ميلا تقريبا ، فقد أظهروا شجاعة نادرة وبسالة فائقة في مقاومة الحملات العديدة التي أرسلت لإخضاعهم . (٤)

وعندما ضيقت قوات الحكومة على الزنوج فر بعض منهم إلى الكهوف رغم قلة الماء والطعام فيها ، ومنهم من مات جوعا وإختناقا . وقد فضل بعض منهم الإنتحار على حياة الذل والأسر ، فكثيرا ما شق الرجل إحشاء زوجته وأطفاله وأخيرا قتل نفسه (٥) . وحتى الذين أسروا وضموا للخدمة العسكرية فقد تحينوا الفرص للتحرر والفرار . فعندما سمح سنة ١٢٤٢ « ١٨٢٦ — ١٨٢٧ » لبعض السود من جنود الآلاى السابع بالذهاب إلى دمنهور لزيارة بعض أقاربهم هناك إنتهزوا هذه الفرصة وفروا من الخدمة العسكرية (٦) . وقد أظهر الجنود السود الذين جندوا في جيش محمد على عدم رغبتهم وضعف ولائهم حتى أن الحكومة إضطرت لتجريدتهم من السلاح خلال إقامتهم في الثكنات (٧) .

(١) المصدر السابق ص ٢٩٨ — ٩٩ .

(٢) لاحظ بركهارت خلال زيارته للسودان ان الاسلحة النارية عزيزة نادرة بالرغم من سهولة إستيرادها من مصر وذلك لأن التجار خشوا حملها حتى لا يثيروا جشع الحكام والأمراء فيأخذوها اما بالقوة أو بأسعار زهيدة. المصدر السابق ، ص ٢٨٧ .

(3) Chiros : SNR 29 (1948), An Unpublished Itinerary, P. 64-66.

(4) Petherick : Egypt, the Sudan, P. 276.

(5) Pallme : Travels in Kordofan, P. 315.

(٦) دفتر ١٩ معه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٢٤٧ بتاريخ ٢٥ صفر سنة ١٢٤١ .

(7) JRGS Vol. 5, 1835 : "Extracts from a private Memoranda" P. 42.

رابعاً : ضغط الدول الأوروبية على محمد علي لإيقاف الغزوات والغاء تجارة الرقيق :

عندما نشر الرحالة الذين زاروا السودان وغيره من الأقطار الأفريقية التي إشتهرت بتجارة الرقيق في القرن التاسع عشر الأخبار عن أحوال الرقيق وعن المعاملة القاسية التي تعرضوا لها ، قامت حركة قوية في أوربا تهدف إلى الغاء الرق وتجارة الرقيق . بادرت الحكومة الانجليزية بالاتصال بمحمد علي بهدف الغاء هذه التجارة المشينة ، فاوفدت قنصلها كامبل لمقابلة الباشا والتحدث اليه في هذا الشأن . وفي إجتماع عقد بين كامبل والدكتور « بورنج » مع محمد علي في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٣٧ تحدث الأوربيان عن مآخذ الرق وطلبوا من الباشا أن « يبادر على الفور بإبطال صيد الرقيق في الجنوب من تلقاء نفسه قبل أن يطلبوا ذلك بطريقة رسمية (١) » . وبالرغم من عدم إقتناع محمد علي بإبطال تجارة الرقيق ، إلا أنه إضطر تحت ضغط بريطانيا بوعد الوسولين بالعمل في خطوات وثيدة لالغائها إذ أنه لا يمكن القضاء عليها قضاء مبرما مرة واحدة (٢) .

وفي الواقع أن محمد علي قد اتخذ بعض الخطوات لتحقيق هذا الهدف ، ففي خلال زيارته للسودان أصدر في ديسمبر سنة ١٨٣٨ وهو بالخرطوم « الأوامر الرسمية بإبطال صيد الرقيق وأذاع المنشورات بين الأهالي وخصوصا في جهات فاشتغارو والجالا ودول والكاميل بين لهم جميعا أن الجيش والمدفعية التي تتقدم في بلادهم لاتحمل إلى قراهم وأكواخهم سوى السلام والسكينة (٣) » ، كما أنه أصدر توجيهاته إلى قواد الجيش بأن تختصر الغزوات على إخضاع الخارجين عن سلطان الحكومة وتأديب العصاة فقط وان لا يتعرض الجنود إطلاقا لأسر العبيد (٤) . وفي أثناء زيارته للسودان

(١) شكرى : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنج ، ص ٥٧٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٧٨ .

(٣) شكرى : م ١ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد علي » ، ص ٤٠ .

(4) Shukry : Khedive Ismail, P. 86.

جاءته أنباء تؤكد ان عددا عظيما من السود قد أسر في الجهات القريبة من كردفان فأصدر أوامره « باتشاء مستعمرة منهم على شاطئ النيل الأزرق وأما اذا حالت دون ذلك صعوبات كثيرة فقد أمر بفك أسرهم على شريطة أن يتعهدوا عند حدوث خصومة أو نزاع بأن يعرضوه للفصل فيه على القضاة في القرى وعلى حكمدار السودان نفسه إذا إقتضى الأمر ذلك (١) » . ثم أن الباشا أمر في سنة ١٨٣٩ بإطلاق سراح خمسمائة عبدا إعتقلهم أبو ودان في إحدى غزواته .

هذا لا يعنى أن حظر تجارة الرقيق قد قل بل إنها في الواقع إشتدت وإتسع نطاقها بعد فتح النيل الأبيض للملاحة على أثر رحلات سليم قبودان فقد زاد عدد التجار المشتغلين بها وتوغلت حملاتهم جنوبا في مناطق الرقيق ، كما ان الحكمداريين أنفسهم إستمروا ، بالرغم من أوامر محمد علي بإيقاف الغزو ، في إرسال الغزوات لإصطياد الرقيق « أما لحسابهم الخاص أو لسد بعض نفقات الحكومة والإدارة في السودان » (٢) .

استخدام الزنوج السودانيين في حروب محمد علي الخارجية :

بعد أن منيت قوات السلطان العثماني بهزائم متلاحقة في بلاد الموره وفشلت في إخماد الثورة التي قادها أبناء البلاد لتحرير بلادهم من حكم الأتراك وتحقيق إستغلاهم القومي ، توقع الباشا أن يعهد اليه السلطان « ببعض الخدمات المتعلقة بالدين والدولة (٣) » بأن يأمره بأعداد جيش مصرى لمعاونة جيوش السلطان هناك (٤) . ليعد العدد الكافى من الجنود لهذا الجيش إستنفر

(١) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ « رحلة محمد علي » ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٣٩ بتاريخ ٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .

(٤) « بأشراك جيش محمد علي في حرب اليونان أراد السلطان الاستعانة به لإخماد الثورة هناك وفى نفس الوقت صرف نظر محمد علي عن المضى في تنظيم جيشه ومضاعفة قوته حتى لا يفكر في الانفصال عن الإمبراطورية العثمانية .

الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، ج ٣ ، ص ٢٠١ .

محمد على إبنه إسماعيل وأبراهيم وصهره الدفتردار لبذل أقصى جهدهم لقنص العبيد وإرسالهم إلى أسوان بقوله : « ان الإقدام والعناية فى أمر جلب السودانين المطلوبين بكثرة قد أصبحت (١) فى صورة الفرض بل لعلهما تجاوزا درجة الوجوب .. (٢) » .

عندما تم فى سنة ١٨٢٣ تدريب أول ستة الآيات من الفلاحين المصريين والزنوج السودانين على الأسس الحديثة ، أرسل محمد على أربعة منها ضمن الجيش الذى أرسل بقيادة إبنه إبراهيم باشا لإعانة جيوش السلطان على إخماد الثورة فى بلاد الموره واستتباب الأمن والسلام هناك . هذه الآيات الأربعة كانت تفاصيلها كالآتى : الآلى الثالث بقيادة الأمير لاي خورشيد بك والآلى الرابع بقيادة حسين بك والآلى الخامس بقيادة سليم بك والآلى السادس بقيادة سليمان بك (٣) .

رغم أن الحرب الوهابية إنتهت فى سنة ١٨١٨ بإندحار قوى الوهابيين وإمتداد نفوذ مصر إلى معظم أنحاء الجزيرة العربية ، إلا أن الأحوال لم تستتب نهائيا فى تلك الأصقاع . فقد شهدت الجزيرة العربية من وقت لآخر ثورات قادها الوهابيون ضد الحكم المصرى ، مما إضطرت محمد على فى الأوقات التى اشتد فيها خطر تلك الثورات إلى إرسال مدد من مصر لمساعدة القوات المصرية هناك .

ومن بين الجيوش التى أرسلت إلى الحجاز كانت هناك أحيانا وحدات من الجنود السودانين . فقد أرسل محمد على فى سنة ١٨٢٣ الآلى الثانى من الآيات الست التى تم تدريبها فى أسوان بقيادة الأمير لاي محمد بك لإمداد القوات المصرية فى الحجاز (٤) . وعندما اشتدت معارضة الوهابيين للحكم

(١) أى بعد تطورات الموقف فى اليونان .

(٢) دفتر ١٠ معه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٣٩ بتاريخ ربيع الأول سنة ١٢٢٧ .

(٣) زكى : الجيش المصرى ، ص ٣٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

المصري في سنة ١٨٣٥ أعد الحكمدار خورشيد باشا ألايا من الجنود السودانيين هو ألايا الرابع والعشرين لمساعدة القوات المصرية في الحجاز (١).

إهتم محمد علي بالجنود السودانيين الذين أرسلوا للحجاز سنة ١٨٣٥ فأمر بأعداد كافة لوازمهم من أسلحة وملابس وغيرها ، كما أنه أمر محافظ جده بأعداد السفن اللازمة لترحيلهم من سواكن إلى الحجاز (٢) . وبما أن أولئك الجنود لم يعتادوا أكل الحنطة (القمح) التي ربما إضررت أجسامهم لو اقتاتوا بها ، فقد أمر محمد علي محرم اغا مدير الوجه القبلي بأن يمدهم بسبعة آلاف أردب من النرة البناري (٣) ، كما أصدر توجيهاته إلى مختار بك مدير الوجه البحري لإرسال ستة آلاف أردب أخرى (٤). رغم هذه التوجيهات الصريحة فإن كميات النرة التي وصلت للحجاز من صعيد مصر كانت قليلة جدا ، ولعل هذا يعود إلى إهمال الإداريين وصعوبة المواصلات .

حقا أن محمد علي إهتم بأعداد كل لوازم الجنود السودانيين الذين إشتراكوا في حربي الحجاز والموره ، إلا أن العوامل الطبيعية لعبت دورا كبيرا في هلاك الكثيرين منهم (٥) . فكما توفي عدد كبير من الذين أرسلوا في حرب اليونان لشدة البرد فقد أدى تغير الطقس وإنتشار الأمراض كالحمى

(١) دفتر ٦٧ معيه تركي ، ترجمة الأمر ٥٨٣ بتاريخ ٢٥ رمضان سنة ١٢٥١ .

(٢) دفتر ٦٧ معيه تركي ، ترجمة الأمر ٢٨٦ بتاريخ ٨ شعبان سنة ١٢٥١ .

(٣) دفتر رقم ٦٤ صادر المعيه ، وثيقة رقم ١٥٣ بتاريخ ٢١ رمضان سنة ١٢٥١ .

(٤) دفتر رقم ٥١ صادر المعيه ، وثيقة رقم ٤٢٩ بتاريخ ١٩ ذى الحجة سنة ١٢٥١ .

(٥) كما كان عدم التأقلم على الطقس وإنتشار الأمراض سببا في هلاك كثير من السودانيين الذين إستخدموا في الحجاز وبلاد الموره ، فقد كان أيضا سببا لكثير من الكوارث التي تعرضت لها الاورطة السودانية التي أرسلت في ٨ يناير سنة ١٨٦٣ في عهد سيد باشا وبناء على طلب الإمبراطور نابليون الثالث لتقوم بالخدمة هناك مع جنود المستعمرات الفرنسية . وقد توفي قائد تلك الاورطة جبره الله محمد أفندي لإصابته بالحمى الصفراء . طوسون : بطولة الاورطة السودانية ، ص ٤ - ٩ .

وغيرها إلى هلاك أعداد كبيرة من أولئك الذين أرسلوا للحجاز . ففي
الأورطه الأولى التي أرسلها خورشيد باشا نحو الحجاز مرض ٥٢١ جندي
منها في بربر وتوفي ٥٠٤ أثناء عبورهم للبحر . غضب محمد علي لهذه المأساة
ولتهم خورشيد بالإهمال : إلا أن الأخير وضع كل اللوم على المسؤولين
الذين إختاروا أولئك الجنود مدعيا أنهم إختاروهم من سكان الجبال بدلا
من سكان السهول (١) .

وعندما فشل الباشا في تجنيد السودانين إتجه نحو الفلاحين المصريين
ليحشد منهم الجنود لجيشه الحديث . واجه الباشا صعوبات متعددة في هذا
السبيل إلا أنه في النهاية نجح في ترغيب الفلاحين في حياة الجندية فأقبلوا
عليها إقبالا شديدا (٢) .

الأغراض الأخرى التي إستخدم فيها الزنوج السودانيون :

لا شك أن أعدادا كبيرة من الزنوج الذين جلبوا لمصر لم يصلحوا للخدمة
العسكرية ولذلك رأى محمد علي الإستفادة منهم بطرق ووسائل أخرى .

إستخدامهم في بعض المشاريع الصناعية والزراعية في مصر :

بعد المعارك الدامية التي خاضها الشعب المصري ضد الحملة الفرنسية
وبعد حروب محمد علي الطاحنة ، فقدت مصر الكثير من خيرة أبنائها ،
كما أدى تفشي الأمراض كالحميات والطاعون إلى هلاك آخرين . وبما أن
معظم الذين ماتوا كانوا من الرجال فقد تعرضت البلاد لنقص حاد في الأيدي
العاملة كانت في أمس الحاجة لهم لإستخدامهم في المشاريع الصناعية
والزراعية التي أنشأها محمد علي للسير بمصر قدما في طريق التقدم والرخاء
الإقتصادي (٣) . لذلك الحق محمد علي بعض الزنوج الذين جلبوا لمصر

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 48.

(٢) شكرى : بناء دولة ، ص ١٥٢ .

(3) Shukry : Khedive Ismail, P. 75.

بالمعامل والمصانع التى أنشأها (١) ، كما إنه حث حكمدارى السودان لإرسال الرقيق ذكورا وإناثا « ممن يصلحون لأشغال الجفالك (٢) » .

ولحث أولئك العبيد للعمل بهمة ونشاط فى تلك الأعمال الزراعية ، عمل على إستقرارهم وتوفير كل سبل الراحة لهم . فهو قد عين أحد كشافة جمال الدين أحمد ، لإنشاء قرية لإسكانهم « فى المحل المسمى كوم كام بوها بجوار منفلوط (٣) » ، وأمره بتوفير كافة مستلزماتهم وجلب خمسة أو عشرة أنفار من الفلاحين لتعليمهم « أصول الفلاحة والزراعة (٤) » . ويجانب إنشاء هذه القرية ، فقد عمل الباشا على إسكانهم بالقرى المصرية الأخرى . فهو قد أصدر أوامره إلى عبدى اغا مأمور منفلوط لإيوائهم فى قرية قوبتوجه والسعى لترغيبهم فى الأعمال الزراعية التى أوكلت اليهم (٥) .

إلا أن استخدام العبيد فى الزراعة لم يأت بالفائدة المرجوة منه إذ أن تكاليف إستقرارهم كانت أكبر بكثير مما يتقاضاه الفلاح المصرى . فقد ذكر لنا بورنج فى تقريره أن الاسرة الواحدة موهؤلاء السود كلفت المالك ما يقرب من عشرين جنيها فى العام الواحد (٦) .

العبيد كمصدر دخل لحكومة محمد على :

أما الرقيق من « قبيل النسوة والصبيان » (٧) والذين لا يصلحون للجنديّة والأشغال الأخرى فقد أمر محمد على منذ بداية عهده ببيعهم لتجار

(١) دفتر ديوان الخديوى بلا رقم ، ترجمة الوثيقة رقم ١١ بتاريخ ٢١ جمادى الاولى سنة ١٢٤٥ .

(٢) دفتر ٤١٣ صادر المعية السنية ، ترجمة المكاتبه رقم ٢٥٨٨ بتاريخ ٢٠ ربيع الاخر سنة ١٢٦٣ .

(٣) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ١٥٤ بتاريخ ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٢٣٩ .

(٤) الوثيقة السابقة .

(٥) دفتر ٢٥ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٢٤٤ بدون تاريخ .

(٦) شكرى : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنج ص ٥٦٣ .

(٧) دفتر رقم ٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه التركية رقم ٦٤٧ ص ٢٥٦ بتاريخ ١٤ ذى

القعدة سنة ١٢٣٦ .

الرقيق فى سنار وكردفان أو فى أسوان أو فى وكالة النخاسين بالقاهرة ، حيث كانت تجارة الرقيق تجارة مشروعة منظمة لها دلالون سمح لهم « بأخذ سمسة قدرها ثلاثة قروش عن كل رأس رقيق يباع هناك » (١) .

وقد إتبع هذه التوجيهات معظم المسئولين فى السودان ، فقد باع مثلا رستم بك حاكم كردفان جزءا من العبيد الذين أسرههم سنة ١٢٤٨ هـ ١٨٣٢ - ١٨٣٣ « فى إحدى غزواته لجبال الزنوج بالقرب من كردفان » بمبلغ ثمانية وعشرين ألف ريال فرنساوى قيدها لإيرادا لخزينة كردفان (٢) .

ولكى نأخذ فكرة عن أسعار العبيد يجدر بى أن أذكر قائمة أسعارهم فى مايو سنة ١٨٣٧ كما أوردها بورنج فى تقريره نقلا عن الرحالة هولرويد الغلام المراهق سليم البنية من أربعمئة إلى خمسمئة قرشا .
الغلام العادى من مائة وخمسين إلى ثلاثمئة قرشا .
الذكر من الدينكا من سبعين إلى مائة قرشا .
الولد الحبشى من ستمئة إلى ألف قرشا .
الفتاه فى سن المراهقة من مائتين إلى أربعمئة قرشا .
المرأة من الدينكا من مائة إلى مائتين قرشا .
البنت الحبشية من ستمئة إلى ألف وخمسمئة قرشا (٣) .

وقد كان ثمن الأطفال أقل من ثمن المراهقين ، إلا اذا كانوا قد أمضوا مدة فى البلاد فتعلموا العربية أو الخدمة فى المنازل (٤) . ولما كان الطلب على الغلمان المخصيين كبيرا ليعملوا خدما فى المنازل اذ أنه لا يخشى منهم إنتهاك شرف الحریم ، فقد كانت أسعارهم أعلى بكثير من الذين لم تمارس فيهم هذه العادة الوحشية ، حتى أن سعر الشاب الخصى كاد أن « يساوى

(١) دفتر رقم ٧١ صادر المعية تركى - الوثيقة رقم ٣٨٢ بتاريخ ٢٧ ذو الحجة سنة ١٢٥١ .

(٢) الوقائع المصرية ، العدد ٣٨٨ بتاريخ السبت ٢ محرم سنة ١٢٤٨ .

(٣) شكرى : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنج ، ص ٥٥٧ - ٥٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٥٨ .

ضعف ما يساويه غير الخصى إذا كانا فى سن واحدة وفى ظروف متشابهة (١) .
وبلغ سعر الواحد منهم أحيانا . كما ذكر الرحالة بركهات ، ألف قرش
فى أسبوط (٢) . وقد بوشر خصى العبيد فى كردفان خاصة ، واهم الذين
قاموا به أحد أمراء الفور الذى كان يتر عضو التذكير من نحو مائة وخمسين
غلاما سنويا . كما أن فرنسا يدعى « مارتن » درج على خصى العبيد فى
دقلا . والجدير بالذكر أنه كانت هناك بعض المساوى التى قللت أثمان العبيد
كالشخير بالليل والتبول فى النوم وتحريق الأسنان ، وهى عادة بغیضة يعتقد
أن المصاب بها لا يرجى أن يدين لسيده بمحبة وولاء ، وأى مرض لم يشف
منه العبد تماما كالحكة والحمى (٣) .

لم يعد الإتجار فى الرقيق على حكومة الباشا بفائدة كبيرة ، إذ أن بعض
العبيد المرسلين للبيع هلك فى الطريق وهزل آخرون نتيجة للأمراض ومشاق
الطريق فقلت أثمانهم . وقد ذكر بورنج فى تقريره أن عدد العبيد المرسلين
سنويا إلى مصر تراوح بين عشرة وإثنى عشر ألفا ، إلا أن ما وصل منهم
لم يزد على الثلثين (٤) . ثم أن الباشا قد إحتكر كل التجارة فى السودان ما
عدا تجارة الرقيق وبذلك كثر المشتغلون بها (٥) فاحتظت أسواق القاهرة
بالرقيق المصدر من السودان وبالتالي هبطت أسعارهم هبوطا غير عادى .
وقد زعم أحد تجار الرقيق الذين عاصروا هذه التجارة فى كردفان أن العبد
يكلف التاجر حتى وصوله القاهرة ستة جنيهات إسترليني ، بينما يباع هناك
بأقل من هذا المبلغ (٦) . وعندما إشتد ضغط الدول الاوربية على محمد على

(١) المصدر السابق ، ص ٥٧٥ .

(2) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 295.

(٣) المصدر السابق ص ، ٣٠١ .

(٤) شكرى : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنج ، ص ٥٨٦ .

(5) Shukry : Khedieve Ismail, P. 76.

(٦) شكرى : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنج ، ص ٥٦٢ .

أصدر أوامره فى أغسطس سنة ١٨٤٣ إلى حكامدار السودان بوقف بيع الرقيق قائلا : « ونحن نلفت نظركم إلى وجوب عدم بيع هؤلاء العبيد بأى حال من الأحوال ، وإنما عليكم أن تعملوا على إعادتهم إلى أوطانهم لأن بيعهم يثير ثائرة الأفرنج ويجعلهم يحملون علينا فأياكم وبيعهم ، فلو فعلتم ذلك لما قبلنا منكم أى عذر . وإذا كنتم قد بعتم أحدهم قبل صدور أمرنا هذا عليكم أن تعملوا على إسترداده ولا بد من تعيين عقوبة صارمة لكل من يقدم على بيع أى عبد منهم (١) .

لم يكتف محمد على ببيع الرقيق، بل أنه فرض رسوما على الرقيق المصلى إلى القاهرة دفعت عادة من قبل البائعين . وقد ذكر لنا بورنج فى تقريره نقلا عن الرحالة هو لرويد تفاصيل تلك الرسوم . فالرسوم المقررة على كردفان هى أربعة وخمسين قرشا على كل عبد سواء كان ذكراً أم أنثى أسود اللون أم حبشيا ، وفى الخرطوم بلغت ستين قرشا على كل حسان بارعة الجمال من الزنجيات ، وأربعة وخمسين قرشا على العاديين من العبيد (٢) . وإذا دفعت الرسوم فى كردفان فلن تدفع رسوما إضافية الا إذا سار العبد بطريق الخرطوم ، والا إذا قام التجار بعمليات للبيع ، فعند ذلك تجبى منهم رسوم إضافية قدرها خمسة وعشرون قرشا عن كل عبد . كذلك اذا أرسل العبد من كردفان عن طريق الصحراء النوبية وكورسكو فلن تدفع عليهم رسوم مرة أخرى فى المتمة أو بربر الا اذا بيع جزء منهم ، فعند ذلك يدفع التاجر خمسة وعشرين قرشا عن كل عبد (٣) . ودفع فى أبى حمد رسم قدره قرش ونصف على العبد الواحد فى حين أنه بلغ خمسة عشر قرشا فى دنقلة العرضى وأربعة وثلاثين قرشا فى دارو ، واحد عشر قرشا ونصف فى مصر القديمة ، بينما دفع التجار القادمون من دارفور على الراس الواحد رسما

(١) دفتر ٣٦٩ معيه تركى ، وثيقة رقم ٢٦٥ بتاريخ ٥ رجب سنة ١٢٥٩ .

(٢) شكرى : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنج ، ص ٥٦٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٦٠ .

قدره خمسة وعشرون قرشا في أسيوط ، واحد عشر قرشا ونصف في مصر القديمة . وقد قدر بورنج دخل الحكومة من الرسوم المقررة على الرقيق بعشرة إلى اثني عشرة ألف جنية إسترليني سنويا (١) .

ضاق تجار الرقيق ذرعا بهذه الرسوم خاصة وإنهم أجبروا أحيانا على دفعها في أكثر من مركز واحد . فقد أدلى أحدهم في عريضة رفعها إلى محمد علي في سنة ١٢٥٨ « ١٨٤٢ - ١٨٤٣ » إنه بعد أن دفع خمسة وأربعين قرشا في كردفان عن كل رأس إجبر على دفع خمسة عشر قرشا أخرى في دنقلا ، كما « طولب بدفع الجمر ك حين وصل إلى أسيوط » (٢) ولتفادي هذا العبء الثقيل حاول بعض التجار الهروب برقيقهم ، فمن رسالة من مدير الخرطوم نعرف أن جماعة منهم بينهم شخص يدعى الحاج علي ود ادريس فروا في سنة ١٢٦٣ « ١٨٤٦ - ١٨٤٧ » بخمس وسبعين عبدا دون أن يدفعوا عليهم رسوما ، كما هرب آخرون بمائة وسبعة رأس من الرقيق (٣) .

إعطاء العبيد للجنود مقابل مرتباتهم:

عندما طلب الدفتردار من الباشا في سنة ١٢٣٧ « ١٨٢١ - ١٨٢٢ » مده بكمية من الريالات الفرنسية ليدفع منها مرتبات الجنود ، إعتذر الباشا وأمر الدفتردار بأن يدفع لهم جزءا منها في شكل بفته القطن المستعملة كعملة في ذلك الاقليم ويسلموا بقيتها في مصر (٤) . وهكذا فقد كان من الصعب دفع مرتبات الجند نقدا لقلة العملات النقدية المتداولة في السودان .

(١) المصدر السابق ، ص ٥٥٥ .

(٢) محفظة رقم ١٢ أوامر للمعاونة تركي ، ملخص الوثيقة رقم ٥٠٠ بتاريخ ٢٨ شبان سنة ١٢٥٨ .

(٣) دفتر ١٢٨ / ٣٤٥٩ مديرية بربر والجعلين (عربي) وارد ج ١ ، وثيقة رقم ٧٠ ص ٨٣ بتاريخ ١٥ جماد الاول سنة ١٢٦٣ .

(٤) كل ثلاثة مقاطع من بفته القطن تساوي ريالاً فرنسياً . دفتر ١٠ معيه تركي ، ترجمة الوثيقة رقم ٥٠ بتاريخ ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٣٧ .

بما أن تأخير دفع رواتب الجنود كان سبباً لكثير من الثورات العسكرية (١) ، فقد تحتم على حكومة الباشا أن تفكر في طريقة أخرى لدفعها والا تعرض أمن البلاد وسلامتها لأخطار بالغة . لحل هذا الاشكال وافق محمد علي على إعطاء الجنود « العبيد والجواري بدلا من علوفتهم (٢) » . ولما زاد أحيانا ثمن العبد الواحد على إستحقاق الجندي ، فقد أعطى كل عدد من الجنود كمية من العبيد إقتسموها فيما بينهم . وبينما زعم الرحالة بالم أن الجنود في كردفان أعطوا العبيد بدلا من رواتبهم بواقع ثلاثمائة قرش للرأس الواحد (٣) ، ذكر الحكمدار خورشيد في الجرنال الذي تحدث فيه عن الغزوة التي قادها لإخماد ثورة أهالي عطيش في سنة ١٢٤٥ « ١٨٢٩ - ١٨٣٠ » أنه أعطى بعض الأسرى لجنود الشايقية بواقع خمسة عشر فرانسه لكل عبد (٤) . وقد شاع إستعمال هذه الطريقة الجديدة لدفع مرتبات الجنود ، حتى إنها كثيرا ما تأخرت لحين عودة الغزوات من مناطق العبيد (٥) .

بالرغم من الفوائد التي عادت على الحكومة من هذه الطريقة الجديدة ، إضطرت محمد علي تحت ضغط الدول الاوربية خاصة إنجلترا إلى إلغائها . فبعد حوار طويل مع كامبل قنصل إنجلترا والدكتور بورنج حول موضوع الرق وتجارة الرقيق ، أرسل محمد علي رسالة إلى خورشيد باشا بتاريخ أول ديسمبر سنة ١٨٣٨ جاء فيها : « فإذا كان هذا الأمر صحيحا (٦) »

(١) في أوائل رجب سنة ١٢٣٧ (١٨٢١ - ١٨٢٢) ثار جنود أحد القواد في السودان يدعى حسين اغا اللومكنجه مطالبين بمتأخرات رواتبهم . خوفا من إنتشار الفتنة أمر الدفتردار بصرف مائة قرش لكل واحد منهم ، الا أنه ما أن هدأت الفتنة الا وقبض على الرؤوس التي حركتها وأعطاهم رميا بالرصاص . دفتر ١٤ معيه تركي ، وثيقة رقم ٤٢١ بتاريخ ١٧ شوال سنة ١٢٣٧ .

(٢) دفتر ٢٢١ عابدين (قسم السودان) ترجمة المكاتبه رقم ١٨٤/١٧ مسلسل ١٥ أصل ورقة ١٠٥ ص ٤ بتاريخ ٣ رمضان سنة ١٢٥٣ .

(٣) Pallme : Travels in Kordofan, P. 342.

(٤) الوقائع المصرية ، العدد ١٥٥ بتاريخ الإثنين ٢٩ ذى الحجة سنة ١٢٤٥ .

(٥) Shukry : Khedieve Ismail, P. 75.

(٦) يقصد دفع العبيد للجنود والموظفين بمقابل مرتباتهم .

فليكن معلوما لديكم أنه مخالف لرغباتي ولهذا أمركم أن تكفوا في المستقبل في إعطاء العبيد إلى الضباط والجنود وغيرهم من الموظفين لقاء مرتباتهم (١) « ولعل الباشا قد ضحى كل هذه التضحية حرصا منه على حسن العلاقات مع إنجلترا، فهو قد قال لخورشيد : « .. ولما كان واضحات الأمور مبلغ إستهجان هذا النظام لدى الدول المشار إليها (٢) فقد وجب الغاؤه مراعاة لما إستحكم بيتنا وبين هذه الدولة من روابط الصداقة المتينة .. (٣) » .

بعد الغاء هذا النظام، أمر محمد علي بدفع تلك المرتبات نقدا، فإن لم يتوفر النقد اللازم فعلى الحكمدارين أن يبيعوا العبيد والجواري حتى يتوفر المال ويصرفوا من ثمنها إستحقاقات الجنود والموظفين . بناء على هذه التوجيهات عقد إجتماع في ٢٢ محرم سنة ١٢٥٤ « ١٧ أبريل سنة ١٨٣٨ » بديوان الحكمدارية لمناقشة أحسن السبل لتصريف هؤلاء العبيد . في هذا الإجتماع إقترح الشيخ عبد القادر ود الزين إقتراحا وافق عليه المجتمعون يقضى بتوزيع هؤلاء العبيد والجواري « على المأموريات حسب طاقتها، أعنى أن يوزع على كل مأمورية بمقدار المال الميرى المطلوب منها . ثم أنها عندما تصل المأموريات لا يقتصر .. بيعها على الأهلين وحدهم ، وإنما تباع بمعرفة المأمورين والمشائخ لكل من يطلبونها (٤) » .

(١) دفتر ٢٢١ عابدين (قسم السودان) ، ترجمة المكاتب التركية رقم ١٨٤/١٧ مسلسل ١٥ أصل ورقة ١٠٥ ص ٤ بتاريخ ٣ رمضان سنة ١٢٥٣ .

الا أن بالمرستون لاحظ في رسالة أرسلها إلى كاميل بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٨٣٨ أن « هذا الأمر ما يزال في ظاهره يسمع للضباط في جيش الباشا بأن يحشدوا العبيد أو يقتنصوهم ويبعثوا بهم إلى القاهرة حيث يباعون » .

شكري : بناء دولة ، ترجمة تقرير يورنج ، ص ٥٨٣ .

(٢) يقصد إنجلترا .

(٣) دفتر ٢٢١ عابدين (قسم السودان) ، ترجمة المكاتب التركية رقم ١٨٤/١٧ مسلسل ١٥ أصل ورقة ١٠٥ ص ٤ بتاريخ ٣ رمضان سنة ١٢٥٣ .

(٤) محفظة رقم ٢٦٥ عابدين ملف حكمدار السودان ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٠٦ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٥٤ .

إستخدام الزنوج السودانيين لحفظ الأمن فى السودان وتأدية بعض المهام الأخرى :

عندما دخل الجيش الفائح سنار وإستولى عليها فى الثانى عشر من شهر رمضان سنة ١٢٣٦ (١) « ١٣ يونيو سنة ١٨٢١ » واجهت الحكومة الجديدة مشكلة عاجلة وواجبا رئيسيا هو تدعيم أركان الحكم الجديد وحفظ الأمن فى ربوع البلاد . لم تكن هذه مهمة سهلة يسيرة فى قطر واسع الأرجاء مترامى الأطراف كالسودان إذ أنها تحتاج إلى ما لا يقل عن عشرة آلاف من الجنود المشاة وتسعة آلاف من الخيالة (٢). وبجانب حفظ الأمن كان على هؤلاء الجنود تأدية بعض المهام الأخرى كصيد العبيد و « تحصيل الأموال الميرية » (٣) .

بما أن السودان «قطرا وخيم الهواء لا يصلح لإقامة الجندى التركى (٤)» وبما أن الأتراك ، كما قال محمد على لتصرف جرجا « من بنى جنسنا وكان من الواجب أن يكونوا بحسب الحال والوقت بجانبنا على الدوام وأن يجمعوا ويصانوا من إرسالهم إلى الميادين البعيدة » (٥) ، فقد قرر محمد على إستبدالهم بالفلاحين المصريين وأمر بجمع أربعة آلاف منهم ليجندوا للخدمة بالسودان . وقد عمل عاهل مصر من جانبه على ترغيبهم للعمل فى السودان بتوفير كافة سبل الراحة لهم ومنحهم بعض الإمتيازات . فإذا مات أى فرد من الجنود وصف الضباط خلال عمله بالسودان تاركا وراءه أبناء دون السابعة يعطى لكل منهم « جراية (٦) جندى واحد وخمس بارات يوميا

(١) دفتر ٧ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٢٨٥ ص ١٦٩ بتاريخ ١٤ ذى القعدة سنة ١٢٣٦ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 25.

(٣) دفتر رقم ٧٥٩ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ١٠٩ بتاريخ ٧ ذى الحجة سنة ١٢٤٥ .

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١٤٥ بتاريخ ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٢٣٧ .

(٥) الوثيقة السابقة .

(٦) جراية الجندى بمقدار معلوم من الأكل يعطى له يوميا .

ويعطى لهم قماش لباسين وقميص يوميا (١) « ولعل الباشا قد خص أبناء
العساكر وصف الضباط بهذه الإمتيازات بينما حرم منها أبناء الضباط لأنه
ربما توقع أن أبناء الأولين لن يتركوا وراءهم شيئا يذكر بينما سترك الضباط
لأبنائهم ورتة محترمة .

الا أن الجنود المصريين لم يصلحوا للعمل بالسودان لعدم رغبتهم مفارقة
ديارهم وعشيرتهم ولاصابتهم بالأمراض المنتشرة بالسودان . فبسبب الدسنتاريا
فقد إسماعيل فى سنة واحدة ، حسب تقدير أبراهيم باشا ، حوالى ثلث
رجاله (٢) ، كما هلك بدء الملاريا فى سنة ١٨٢٤ وحدها ، كما ذكر (Hill)
نقلا عن الرحالة (Brocchi) ، أكثر من ثلاثمائة رجل (٣) . لهذا كثيرا ما
تمرد الجنود المصريين على قادتهم ورفضوا الذهاب معهم للسودان . فعندما
عين عثمان بك حاكما على سنار وصدرت له الأوامر بالتوجه صوب مأموريته
هرب بعض عساكره ، (٤) وكذلك رفض بعض جنود محو بك الذهاب
معه إلى سنار عندما عين حاكما عليها ، حتى أن الباشا هددهم وأنذرهم بقوله :
« وحيث أن عملكم هذا يستوجب العقاب فانى بحق رب البيت أعاقبكم عقابا
شديدا واخنقكم كالكلاب ، فأعلموا ذلك وأعملوا بموجبه وأحذروا من البقاء
دقيقة واحدة ، وأرحلوا حالا وأحذروا الندم (٥) » . ولما طال المقام فى سنار
يجنود الحاج أمين اغا ، أحد القواد فى عهد خورشيد ، « سثموا وملوا
وعمدوا إلى القيام بأعمال تتنافى مع الأصول (٦) » مما إضطرت الحكومة
لإستدعائهم وإبدالهم بجنود آخرين من مصر .

(١) دفتر رقم ٦١ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٩١ بتاريخ ١٨ ذى القعدة سنة ١٢٥٠ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan,

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٨ .

(٤) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٢٣٧ بتاريخ ١٥ رمضان سنة ١٢٣٧ .

(٥) دفتر ٢٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ١٠٨ بتاريخ ٩ محرم سنة ١٢٤١ .

(٦) دفتر ٥١ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ١٠٨ بتاريخ ٩ محرم سنة ١٢٤١ .

وقد كانت سياسة الباشا تهدف إلى تقليل عدد الجنود الأتراك والمصريين العاملين في السودان لاحتياجه لهم في حروبه الخارجية خاصة بعد أن فشل في تجنيد السود . فعندما طلب منه الدفتردار في سنة ١٢٣٧ هـ ١٨٢١ - ١٨٢٢ « إمداده ببعض الجنود لإعتذر لاحتياجه لهم آنذاك لحربه في بلاد الموره وقال : « إننا نرى أن المصلحة لا توافق على إرسال جنود اليكم (١) » وقد زاد إحتياج الباشا لهم خاصة بعد أن دخل في حروبه في سوريا وبلاد الأناضول . ثم أن المرتبات والإمتيازات التي منحت لهؤلاء كلفت خزينة البلاد تكاليف باهظة في الوقت الذي كانت سياسة محمد علي تهدف إلى تخفيض المصروفات في السودان حتى يستطيع أن يدير شؤنه بامكانياته دون حاجة إلى العون من مصر (٢) .

ولحفظ الأمن في البلاد وتأدية الخدمات الأخرى مع تخفيض التكاليف في نفس الوقت ، إستخدم الباشا الجنود السودانيين بدلا من الأتراك والمصريين . فما ان هزم الشايقية وتشت شملهم الا والفوا جيشا بزعامه رئيسهم الملك شاويش وانضموا للجيش الفاتح لأنهم ربما كانوا أكثر القبائل السودانية العربية إستعدادا للعمل كجنود مرتزقة تحت أى مخدم (٣) ، ولأنهم رأوا في إنضمامهم فرصة لمواصلة حياة الحرب والقتال التي ألفوها واشتهروا بها طوال تاريخهم الطويل (٤) وتفرغوا لها بإستخدامهم النوبة والرقيق لفلاحة الأرض . ومنذ بداية الفتح أوكلت لهم بعض المهام فادوها على خير وجه . فقد تمكنت جماعة من فرسانهم بقيادة شاويش وبمساعدة أربعمئة فارس من المغاربة من القبض على حسن ود رجب قاتل الوزير الهمجى

(١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١١٧ بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٢٣٧ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 39.

ذهب محمد علي إلى أبعد من هذا إذ أنه أمل أن تدفع كل مديرية تكاليف إدارتها . إلا أن السودان كان لسنين عديدة عالة على الخزينة المصرية .

(3) MacMichael : A History of the Arabs, Vol. 1, P. 213.

(٤) محمد : السودان الشمال ، ص ١٨٧ - ٨٨ .

محمد ود عدلان وتسليمه إلى سلطات الحكومة (١) ، كما تمكنت سرية أخرى من عساكر الشايقية من هزيمة المتمردين في أبى شوكة وقتل حسن ود رجب في ميدان المعركة (٢) . ومع هذا التفانى والإخلاص في خدمة الحكومة فقد كانت تكاليف خيالة الشايقية ، كما شهد بذلك الحكمدار خورشيد باشا . أقل بكثير من تكاليف غيرهم (٣) .

تقديرًا لهذه الخدمات الجليلة التي أداها فرسان الشايقية للحكومة ، أخذ خورشيد كل الأراضي بين الخرطوم وشندى من العبدلاب وغيرهم من القبائل المشتركة في الثورة التي اندلعت ضد الحكومة على أثر مقتل إسماعيل وإستمرت للثلاث سنين بين عامي ١٨٢٢ - ١٨٢٥ « وأعطاهما للشايقية ليزرعوها دون أن يدفعوا عليها ضرائب للحكومة ، كما وافق على إعطائهم العلف لخيولهم (٤) . ولتشجيعهم وترغيبهم في الخدمة العسكرية أعفاهم محمد على من زراعة النيله (٥) ، كما وافق على إقتراح خورشيد « بضم علاوة قدرها خمسة عشر قرشا إلى راتب كل من الفرسان الشايقية .. الذين يتقاضون ستين قرشا في الشهر لتكون هذه العلاوة كمساعدة سنوية لهم في إشتراء الجياد (٦) » .

إلا أن مهمة حفظ الأمن في السودان والدفاع عن حدوده مع تأدية الخدمات الميرية الأخرى كانت مهمة شاقة عسيرة لن يستطيع الشايقية وحدهم تأديتها مهما أخلصوا وتفانوا في خدمة الحكومة . لذلك كان من الطبيعي

(١) شقير : ج ٢ ، ص ٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤ .

(٣) دفتر ٧٨٥ ديوان الخديوى تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٨٢ بتاريخ ٢٠ صفر سنة ١٢٤٨

(4) Hill : On the Frontiers, P. 69.

عندما اعتلى أبو ودان منصب الحكمدارية التي هذه الإمتيازات بما أثار غضب الشايقية فثاروا ضد الحكومة بقيادة أحد ملوكهم ، الملك حمد .

(٥) دفتر رقم ٧٥٢ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ١٤١ بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٤٤

(٦) دفتر رقم ٧٨ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٣٤٥ بتاريخ ١٢ ربيع الآخرة سنة ١٢٥٢ .

بعد أن فشل محمد علي في تجنيد السود في جيشه أن يتجه إلى تكوين قوة منهم لتأدية تلك المهام العاجلة خاصة وأنهم ، كالشايقية ، لن يكلفوا الحكومة تكاليف باهظة .

عندما اكتمل تدريب أول ستة آليات من الفلاحين المصريين والزنوج السودانيين في أسوان أرسل الباشا في ٥ يناير سنة ١٨٢٤ الآلى الأول منها بقيادة عثمان بك إلى سنار وكردفان (١). إلا أن تجنيد الزنوج السودانيين للعمل بالسودان اتخذ شكلا جادا في عهد الحكمدار خورشيد الذي قرر ، بعد مشورة الجناب العالي ، أن يكمل بهم النقص في الأورط الموجودة في سنار وكردفان (٢). وعندما أسر رستم بك ، حاكم كردفان في عهد حكمدارية خورشيد ، أكثر من ألف وخمسمائة من الزنوج في غزوة أرسلها سنة ١٢٤٨ « ١٨٣٢ - ١٨٣٣ » إلى الجبال بالقرب من كردفان « أعطى منهم الأورطة التي في سنار مائتين وثلاثين عبدا ، والأورطة التي في كردفان ستين عبدا لأجل تكميل عدد ما نقص منهما (٣) » . لم يكتف خورشيد باكمال النقص في الأورط المختلفة ، بل أنه عمل على تكوين الآيات كاملة من الزنوج السودانيين فأنشأ مثلا في سنة ١٢٥١ « ١٨٣٥ - ١٨٣٦ » آليا منهم في سنار ، وطلب إمداده بالضباط اللازمين من مصر لتدريب أولئك الجنود (٤) . ومع أن معظم ضباط ذلك الجيش كانوا من الأتراك فقد ترقى بعض السودانيون إلى وظائف عليا كامباشى وشاويش (٥) .

وبجانب المجندين من السود فقد حرصت حكومة الباشا على جمع أعداد أخرى من الزنوج لتأدية بعض الأعمال الحكومية الأخرى في السودان . فقد

(١) زكى : الجيش المصرى ، ص ٣٧ .

(٢) دفتر ٢٦ معه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٢١٢ بتاريخ ١٦ ربيع الثانى سنة ١٢٤٣ .

(٣) الوقائع المصرية ، العدد ٣٨٨ - بتاريخ السبت ٣ منجزم سنة ١٢٤٨ .

(٤) دفتر ٦١ معه تركى ، ترجمة الأمر ١٩٣ بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٥١ .

(5) Hill : Egypt in the Sudan, P. 46.

أوكلت لهم مهمة جمع الصمغ في كردفان (١) ، كما إستخدم بعضهم في أعمال الزراعة والصناعة في السودان كصناعة المراكب . ولما كان التنقيب عن الذهب من أهم الأعمال التي أوكلت لهم ، فقد أصدر الباشا قبيل زيارته للسودان توجيهاته لحكمدار السودان بأعداد عشرة آلاف عبد لإستخدامهم في البحث والتنقيب عن الذهب في جهات فازوغلى (٢) .

بالرغم من المهام الشاقة التي أوكلت لأولئك الزنوج فقد تعرضوا لمعاملة قاسية من جانب الحكومة وأجور زهيدة لا تتناسب مع تلك المجهودات العظيمة التي بذلوها . فقد رأى الرحالة هولورويد في قرية بالقرب من سنار «من ثمانى عشرة إلى عشرين زوجا من العبيد يشتغلون بنشر الخشب ويتقاضون عشرة قروش فى الشهر ، أى شلنين بالاضافة إلى ما يصرف لهم من جراية» (٣) كما أن الأجر الذى تقاضاه الزنوج الذين أوكلت لهم مهمة جمع الصمغ في كردفان لم يتعد خمسة عشر قرشا فقط عن القنطار الواحد (٤) . لذلك لم يكن غريبا أن يهمل هؤلاء الأعمال التي أوكلت لهم وأن يتحينوا الفرص للهروب . فقد هرب مثلا فى سنة ١٢٦١ « ١٨٤٥ » عدد منهم من خدمة الحكومة فى مديرية بربر والجعلين ، فصلرت الأوامر لحكام ومشائخ تلك المديرية للبحث عنهم وإعادتهم إلى أعمالهم (٥) .

لم يكتف هؤلاء بالفرار من الخدمة فحسب ، بل أنهم تمردوا أحيانا على سلطان الحكومة وعرضوا أمن البلاد لأخطار بالغة . ولعل ثورة الجنود السودانيين فى مدنى سنة ١٨٤٤ أكبر دليل على إستيائهم وعدم رغبتهم فى الأعمال التي أوكلت إليهم .

(1) Pallme : Travels in Kordofan, P. 41

(٢) دفتر رقم ٢٢٣ عابدين ، ترجمة الاراده الكريمة رقم ٧/٩ ورقه ٩٨ وجه ثانى بتاريخ ٢ ربيع أول سنة ١٢٥٤ .

(٣) شكرى : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنج ، ص ٥٥٨ .

(4) Pallme : Travels in Kordofan, P. 289.

(٥) دفتر ٤ / ٣٤٤٩ مديرية بربر والجعلين صادر ج ٢ ، وثيقة رقم ٣٢٣ بتاريخ ١٩ محرم سنة ١٢٦١ .

ثورة الجنود السودانيين فى مدنى سنة ١٨٤٤م :

فى رد على سؤال من المنظم أحمد المنكى عن أسباب هذه الثورة أجاب أحد قوادها « جوده » بقوله : « إنهم قاموا بهذا الإضطراب من جراء الجوع وكثرة الأشغال » (١) . ويبدو أنه قد أوكل هؤلاء السود زيادة على أعمالهم العسكرية مهام ضخمة أخرى كجمع العاج والذرة والصمغ للحكومة ، بينما عوملوا معاملة سيئة حتى أن الواحد منهم كان يعاقب عقابا قاسيا لأقل خطأ يرتكبه (٢) . لكل هذا عم التذمر بين صفوفهم فعزموا على القيام بثورة تندلع « فى يوم واحد من أربع جهات (٣) » هى الخرطوم وسنار والكاملين ومدنى (٤) .

الا أن العساكر السود فى مدنى ثاروا قبل الوقت المحدد ، ففى أثناء التدريب العسكرى فى يوم الأحد ٢٧ صفر سنة ١٢٦٠ هـ ١٨ مارس سنة ١٨٤٤ ، وجه الضابط المسئول إهانة بالغة لأحد الجنود على أثر خطأ بسيط ارتكبه . لم يرض ذلك الجندى بالتحقير أمام زملائه فهجم على الضابط وجرحه فى عنقه ، ومن ثم إختل النظام وعم الهرج بين صفوف العساكر البالغ عددهم نحو خمسمائة أو ستمائة « فهجموا على المدرب والضابط وجرحوا أحد الملازمين وجاويشين جروحا بالغة وقطعوا أحد البجاويشية أربا أربا » (٥) كما هجموا على مخزن الجبخانه واستولوا على بعض الأسلحة ، مما أشاع الذعر والفرع بين الأهالى فى المدينة . لم يكتف الثوار بالتمرد فى مدنى ، بل أن بعضهم هرب إلى سنار لمواصلة الثورة هناك (٦) .

(١) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة ٤٠ بتاريخ ٤ ربيع الثانى سنة ١٢٦٠ .

(2) Shukry : Khedieve Ismail, P. 68.

(٣) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٢ بتاريخ ٢٨ صفر سنة ١٢٦٠ .

(4) Shukry : Khedieve Ismail, P. 68.

(٥) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٢ بتاريخ ٢٨ صفر سنة ١٢٦٠ .

(٦) نفس الوثيقة .

غير أن إندلاع الثورة في مدني قبل الموعد المحدد أشاع الفوضى والبلبلة بين صفوف العساكر في مديرية سنار مما مكن الحكومة من القضاء على الثورة. وخوفا من إندلاع الثورة في الخرطوم كتب المنظم أحمد المنكلي إلى شيخ مشايخ مديرية الخرطوم وإلى عموم المشايخ والعمد رسائل حذرهم فيها من تشجيع العساكر أو مساعدتهم على الثورة هناك بقوله : « إنه طالما هذا الإخلال بين العساكر وكثيرا ما إغتصب الجند و عمد بعضهم إلى الفرار فإذا ظهر منكم أى خيانة أو اغواء شيطاني وسلكتكم الطريق الذي يمهّد للعساكر العصيان والفرار فإنني سأسحقكم جميعا عند وصولي (١) » كما كتب محمد أمين مدير الخرطوم لجميع شيوخ العربان يأمرهم بالقاء القبض على الفارين من العساكر، وأرسل الشيخ إدريس ود عدلان خلف الهارين لنفس الغرض (٢). وفي سنار تمكنت قوات الحكومة بقيادة البكباشي رستم أفندي من هزيمة الثوار في معركة حاسمة قتل فيها دفع الله أحد زعمائهم البارزين، واعتقل جوده الذي أرسل إلى مدني حيث اعدم هناك رميا بالرصاص (٣).

وهكذا فقد عزل الثوار في مدني مما سهل على الحكومة مهمة القضاء على البقية الباقية منهم وإعادة الأحوال إلى مجاريها الطبيعية . فعندما زار المنظم أحمد المنكلي مدني لاستطلاع أحوالها بعد هذه الثورة (٤) ، كانت الأحوال قد هدأت تماما فجمع الحكمدار ثمانية وعشرين من قادة تلك الثورة وأمر بعض زملائهم بإطلاق الرصاص عليهم (٥) .

(١) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٦ بتاريخ ١٣ ربيع الأول سنة ١٢٦٠ .

(٢) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٢ بتاريخ ٣٨ صفر سنة ١٢٦٠ .

(٣) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٤٠ بتاريخ ٤ ربيع الثاني سنة ١٢٦٠ .

(٤) جاء المنكلي إلى مدني من بلاد التاكة حيث كان مشغولا بإخماد ثورة قامت هناك ضد الحكومة . بعد أن كبّد ثوار التاكة الحكومة بعض الخسائر وقتلوا بعض عساكرها ، تمكن المنكلي من القضاء عليهم . محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٣ بتاريخ ٤ ربيع الأول سنة ١٢٦٠ .

(٥) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٤٠ بتاريخ ٤ ربيع الثاني سنة ١٢٦٠ .

الفصل الرابع

محمد علي والتنقيب عن المعادن
في السودان

محمد علي والتنقيب عن المعادن في السودان

كانت مصر عندما إستولى عليها محمد علي سنة ١٨٠٥ من أفقر الولايات العثمانية إن لم تكن أفقرها جميعا . غير أن الباشا أمل في تحسين أحوالها والنهوض بها في كافة المجالات ، كما أراد تكوين أسطول بحرى وجيش نظامى لتثبيت أركان حكمه وتوسيع أملاكه . حقا أن احتكار التجارة والضرائب الباهظة المتعددة التى فرضت على المصريين درت على حكومة الباشا دخلا طيبا ، إلا أنه لم يكن كافيا لتنفيذ تلك المشاريع الضخمة . لهذا تحتم على الباشا أن يجد مصادر دخل جديدة فاتجه أولا نحو التنقيب عن المعادن في مصر وخاصة في الصحراء الشرقية .

تحدث المؤرخون العرب عن وجود الزمرد في الجبل الكائن بالقرب من سهل « الشيخ شاذلى » الذى يقع في الطريق من القصير في صعيد مصر إلى سواكن . حاول الباشا الاستفادة من هذا المعدن المزعوم فأرسل في سنة ١٨١٢ جماعة من جنوده مع تاجر إغريقى للبحث والتنقيب عنه ، إلا أنهم عادوا دون أن يحرزوا أى نجاح يذكر . وقد سمع الباشا أيضا بما رواه المؤرخون العرب بوجود الذهب في جبل العلاقى في بلاد النوبة ، فأرسل حسن بك حاكم اسنا مع جماعة من الجنود بصحبة أحد الاغريق للبحث عن ذلك المعدن هناك (١) .

وعندما سمع الباشا بوجود الكبريت الذى كان هاما لصناعة المهمات الحربية (٢) وغيره من المعادن بجهات البحر الأحمر أرسل كاشف اسنا للبحث عنها . كما أرسل بعد فترة وجيزة جماعة من الأوربيين لنفس الغرض . وفي أغسطس سنة ١٨١٦ أرسل الباشا ، بناء على إقتراح القنصل الفرنسى

(1) Douin : Historie pp. 69-70.

(٢) دفتر ٥ معه تركى ، ترجمة الموسم رقم ١١٠ بتاريخ ٤ جمادى الثانية سنة ١٢٣٥ .

دروفتي (Drevetti) ، المسيو فردريك كايو إلى جهات البحر الأحمر للبحث عن الكبريت وغيره من المعادن . وصل كايو إلى جبل زباره ، على بعد خمسة عشر ونصف ميلا من البحر الأحمر ، فوجد بعض قطع الزمرد متناثرة هنا وهناك في الجبل ، ومن هناك سار قاصدا معدن الكبريت فوصل في ١٠ نوفمبر سنة ١٨١٦ إلى منطقته التي عرفت عند عرب العبابده باسم « جبل الكبريت (١) » . عاد كايو إلى القاهرة في ١٠ يناير سنة ١٨١٧ فأرسله الباشا مرة أخرى مصحوبا بجماعة من الاروام والارناوط إلى ذلك الجبل للإستمرار في التنقيب عن المعادن هناك (٢) . غير ان كل هذه المحاولات لم تسفر عن نتيجة حاسمة إذ أن كل ما عاد به كايو إلى القاهرة عشرة أرطال من الزمرد سلمها هدية للباشا . لم يقتنع محمد علي بهذه النتائج فأرسل في سبتمبر سنة ١٨١٨ بلزوني (Belzoni) إلى جهات جبل زباره للتنقيب عن الزمرد وغيره من المعادن (٣) . ولكن كسلفه لم يصل إلى نتائج مشجعة في هذا الشأن .

وفي سنة ١٨١٩ أرسل الباشا العالم الفرنسي إنثيلم سيف (Anthelme - Seve) إلى جهات إسوان للبحث عن الفحم هناك فلم يحصل على كميات كبيرة منه (٤) . وفي نفس العام عين الباشا رستم أفندي ليكون ناظرا على المعادن الكائنة وراء محافظة القصير وأمره بالذهاب إلى الجبال الواقعة على حدود سواكن والتي أمل أن يحصل فيها على عشرة آلاف قنطارا أو أكثر من الرصاص مع ألف قنطار من معدن الكحل (٥) . إلا أن كل المعدن المستخرج لم يتعد « أربعة آلاف قنطار وكسور (٦) » . وقد إهتم عاهل مصر بالبحث عن الكبريت الذي سمع بوجوده في جبل الطور فأرسل في سنة ١٨١٩ الإنجليزى « جوانى

(3) Douin : Historie, pp. 70-71.

(٢) شقير : ج ٣ ، ص ٣ .

(3) Douin : Historie, P. 72.

(٤) المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٥) دفتر هـ معه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٤ بتاريخ ١٨ محرم سنة ١٢٣٥ .

(٦) دفتر هـ معه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٤٧ بتاريخ ٨ ربيع الثانى سنة ١٢٣٥ .

إيشتين « لهذا الغرض ، كما أنه « حرر مرسوما على جميع الموظفين بشأن القيام بالمعاونة والمساعدة في خصوص إخراج ما يوجد في أى محل في محلات الجبل المذكور » (١) .

وما أن وصلت الأنباء إلى الباشا زاعمة وجود المعادن المختلفة في الجبال الواقعة بين النيل والبحر الأحمر خاصة جبل « زيت » حتى أرسل بعثة برئاسة المهندس فورنى (Forni) (٢) تكبدت مشاق مضيئة في سبيل البحث عن هذه المعادن ولكنها فشلت في تحقيق هدفها . ولتوضيح تلك المجهودات الكبيرة التي بذلتها هذه البعثة يجدر بى أن أذكر ما قاله الجناب العالى في رسالة إلى حسن باشا المأمور لجبل زيت : « إنه قد نسفت ثلاثة محلات من المحلات المناسبة في جبل زيت بوضع الألغام فيها ، ولكن حيث نبت المياه منها تركت على حالها وأن موضعا آخر على وشك أن ينسف بوضع اللغم فيه .. » (٣)

وبجانب هذه البعثات التي أرسلت للبحث عن المعادن في مصر وفي الصحراء الشرقية فقد أرسل الباشا بعثتين إلى جزيرة طورسينا وبلاد الشام كلفتا خزينة البلاد مبالغ طائلة وفشلتا في تحقيق أى نتائج تذكر (٤) .

بعد أن منيت كل هذه المحاولات بالفشل التام كان على الباشا أن يفكر ويبحث عن مصدر جديد للمال لتنفيذ تلك المشاريع الضخمة التي شغلت باله وتفكيره . وقد كان من الطبيعي أن يرسل محمد على جيوشه لفتح السودان بعد أن سمع أن « جنوب السودان رماله الذهب ، وأن فيه من الخيرات ما لو استغل لساعد على إيجاد المال اللازم » (٥) . وفي الواقع أن الباشا وحكومته

(١) دفتر ٥ معيه تركى ، ترجمة المرسوم رقم ١١٠ بتاريخ ١٤ جمادى الثاني سنة ١٢٣٥ .

(٢) صرح محمد على « لفورنى » بالذهاب إلى ميلانو « للبحث عن خمسة أو ستة أنفار أساتذة يكونون ملمين بعلم المعادن ويفهمون طبائع الأشياء ويحضرهم معه » .

دفتر ٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه بلا رقم وبتاريخ أول صفر سنة ١٢٣٦ .

(٣) دفتر ٧ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ٩ ص ٥ بتاريخ ١٤ محرم سنة ١٢٣٦ .

(٤) ساماركو ، أنجلو ، تعريب فوزى ، طه : رحلة محمد على للسودان ، ص ٥ .

(٥) شيبكه : السودان في قرن ، ص ١٢ .

منذ أزمان بعيدة تحدث المؤرخون أمثال Herodotus Strabo, Diodorus,

عن توفر الذهب والمعادن الأخرى كالفضة والحديد بكميات كبيرة في جزيرة مروي .

Hoskins : Travels in Ethopia, pp. 325-26.

قد بذلا مجهودات ضخمة للبحث والتنقيب عن الذهب وغيره من المعادن في مناطق السودان المختلفة التي سيطر عليها جيش الفتح .

المحاولات التي قام بها الباشا وحكومته للتنقيب عن الذهب في السودان :

إهتم الباشا بالبحث عن الذهب في منطقتين رئيسيتين هما حول جهات فازوغلي وفي جبل شيون الواقع جنوبي كردفان . ومن الظاهر أن معظم مجهودات محمد علي ورجال حكومته تركزت حول التنقيب عن هذا المعدن النفيس في جهات فازوغلي . فما أن تمت السيطرة على سنار حتى ذهب إسماعيل باشا إلى فازوغلي التي وصلها في ٧ ربيع الآخر سنة ١٢٣٧ « ١ يناير سنة ١٨٢٢ » ، وبقي هناك حوالي ثلاث عشر يوما ، سار بعدها إلى جهات القماميل في منطقة جبال بني شنقول ، مصطحبا معه المعدن المسمى « فليود » وبعض اللغمجيه بهدف مشاهدة مناجم الذهب التي سمع بوجودها هناك . شاهد إسماعيل « الآبار (١) » التي حفرها الأهالي هناك وملا جوربين من ترابها وأرسله إلى الباشا في مصر لمعرفة نوع الذهب الذي يحتويانه ودرجة جودته .

وعندما وصل هذان الجوربان إلى الباشا قويت آماله في الحصول على الذهب في تلك المنطقة فقرر استدعاء أوربي عاقل نابغ « في العلم ملما بطبائع المعادن (٢) » وأرساله بعد فصل الخريف مباشرة إلى إسماعيل ليطوف معه تلك البلاد ويتردد ، كما قال الباشا في رسالة لابنه « على المواقع التي اطلعتم عليها وأحاط بها علمكم ، فيعاين المواضع التي يرجى وجود المعدن فيها ويتبين من حقيقة الحال بمقتضى صنعته . ثم يقر ما وجد إن وجد شيئا ، وما لم يجده فيقول الكلمة القاطعة » (٣) . إلا أن إسماعيل اضطر للعودة إلى سنار

(١) دفتر ١٠ معيه تركي ، ترجمة المكاتبه رقم ٢٤٠ بتاريخ ٧ شعبان سنة ١٢٣٧ . قصد بالا بار ، كما قال مترجم هذه الوثيقة ، مناجم الذهب هناك .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركي ، ترجمة المكاتبه رقم ٢٤٥ بتاريخ ٧ شعبان سنة ١٢٣٧ .

(٣) الوثيقة السابقة .

على أثر الأنباء التي وصلتته باندلاع الثورة هناك لإحتجاجا على الضرائب الباهظة التي فرضها حنا الطويل على الأهالي فوصلها في ٤ يناير سنة ١٨٢٣ .

لم يؤد إندلاع الثورة السودانية على أثر مقتل إسماعيل في ١٠ أكتوبر ١٨٢٤ إلى زعزعة سلطان الحكومة فحسب ، بل أنه هدد سلامة الطريق إلى مناطق الذهب في جهات فازوغلي وغيرها . وللإنتقام من قتلة إسماعيل ولتثبيت سلطان الحكومة وتأمين الطرق إلى مناطق الذهب أرسلت حملات الدفردار الإنتقامية التي استطاعت أن تخمد الثورة في البلاد وتعيد الأمن والنظام في ربوعها . وما أن أخذت تلك الثورة إلا وأرسل الباشا في سنة ١٨٢٥ المستر « بروكي » مع درويش اغا ، المشرف أو الناظر على المعادن في فازوغلي (١) ، للبحث والتنقيب عن المعادن عامة والذهب خاصة في منطقة فازوغلي . إنجه بروكي نحو مكان مأموريته بعد وفاة مأمور سنار عثمان بك جركس « ١٨٢٤ - ١٨٢٦ » إلا أن خلفه محو بك لم تهتم بأمره إلى أن توفي بالخرطوم سنة ١٨٢٩ قبل أن ينجز المهمة التي أوكلت إليه (٢) .

وقد إهتم الحكمدار خورشيد باشا « ١٨٢٦ - ١٨٣٨ » بأمر الذهب إهتماما بالغاً ، ففي مجلس المشورة ، الذي عقد في ١٢ أغسطس سنة ١٨٢٦ فور وصوله إلى سنار مع مأموري المصالح لمناقشة شئون البلاد ، تعهد أن يذهب بنفسه أو يرسل عيسى اغا قبل حلول موسم الأمطار إلى جبال بني شنقول للبحث والتنقيب عن الذهب هناك (٣) . ويبدو أن خورشيد قد إضطرب لإلغاء هذه الرحلة بعد الإشاعات التي وصلتته زاعمة أن الأحباش دبوا مؤامرة بالإتفاق مع بعض القبائل السودانية والفارين من جيروت حكومة محمد علي هدفت إلى طرد الأتراك من الجزيرة وسنار وإعادة السلطة هناك لأهل البلاد الذين حكموا تلك الجهات من قبل (٤) . وقد قيل إن الخطة التي أعدت لتنفيذ

(١) شكرى : الحكم المصرى ، ص ٣٣٤ .

(٢) ساماركو : رحلة محمد علي ، ص ٥ .

(٣) شكرى : الحكم المصرى ، ص ٣٣٤ .

(٤) محفظة ٢٦٢ عابدين ، ترجمة الوثيقة بدون رقم بتاريخ ٢٣ صفر سنة ١٢٥٣ .

هذه المؤامرة هي أن تنزل القبائل السودانية من الجبال وتنتظر بالولاء للحكومة إلى أن تجد فرصة مناسبة تنقلب فيها عليها . إنزعج خورشيد لهذه الأنباء حتى أنه اضطر لتأجيل سفره الذي سمح له به الباشا إلى القاهرة للعلاج من علة الناسور ، كما إتصل بمحمد علي الذي أرسل له فرقة من الجنود المصريين بقيادة أحمد أبو ودان لتعمل جنبا إلى جنب مع قوات الحكومة لإخماد أى فتنة . غير أن القبائل السودانية لم تنزل من الجبال إذ ربما كانت هذه الأنباء إشاعات مبالغاً فيها أو ربما خافت القبائل بعد أن سمعت باستعدادات الحكومة الضخمة (١) .

ولكى لا يتسرب الذهب السنارى إلى جهات أخرى ، إقترح خورشيد على الجناب العالى أن يرسل إليه ألفى كيس (٢) لشراء ذلك الذهب بواقع ثلاثمائة وخمسين قرشا للوقية الواحدة (٣) . حل ذلك الذهب فى دار سك النقود فى مصر فاتضح أن كل إثنين وعشرين درهما وربيع منه تخرج تسعة دراهم ونصف من الذهب الصافى (٤) . عندئذ قبل الباشا إقترح الحكمदार إلا أنه أرسل له ألف كيس فقط « نظرا لما تقتضى به الضرورة الآن من عدم إرسال ذلك المبلغ كله (٥) » .

ولإختبار معادن الذهب فى جهات فازوغلى وبنى شنقول إختبارا علميا دقيقا ، أرسل الباشا فى سنة ١٨٣٧ بعثتين برئاسة مصطفى بك مأمور جزيرة سنار مع ألف عسكري لحراستهم فى الطريق وأثناء عمليات البحث عن الذهب هناك (٦) : الأولى بقيادة المهندس روسيجير (Russeger) والثانية

(١) شيكة : السودان فى قرن ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) الكيس يساوى خمسة الاف قرش .

(٣) دفتر رقم ٦٣ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة ٢٣٩ بتاريخ ٦ رمضان سنة ١٢٥١ .

(٤) الوثيقة السابقة .

(٥) دفتر ٦٧ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٥٨٨ بتاريخ ٢٦ رمضان سنة ١٢٥١ .

(٦) الطهطاوى : مناهج الالباب ، ص ٢٥١ .

بقيادة مهندسه الخاص بوريانى (Piedmontese Boreani) (١) . لم يتمكن
الحكمدار خورشيد من الذهاب مع هاتين البعثتين لإنشغاله آنذاك بإخماد الفتن
والمؤامرت ضد الحكومة فى شرق السودان .

غادرت البعثتان سنار فى غرة محرم سنة ١٢٥٣ (٢) ٧ أبريل سنة
١٨٣٧ ، وعادتا إلى الخرطوم بعد مضى ستة أشهر (٣) قضاهما المهندسون
والخبراء فى البحث عن الذهب فى جهات متعددة فى تلك المناطق النائية مثل
خور تمت ، على مسافة ساعة ونصف من جبل فازوغلى وخور بابيه وخور
الطريق وخور أبو حجار وجبل قسان وجبل غبيش فى جهات بنى شنقول
وجبات قماميل وجبل فاز تقرو وجبل قاسمة وجبل فادور وغيرها (٤) .
والجدير بالذكر أن خلافا حادا نشب بين البعثتين مما عطل العمل وإضطر
الباشا فى النهاية إلى إصدار أوامره بأن تعمل كل واحدة منهما على حدة
منفصلة إنفصالا تاما عن الأخرى (٥) .

وبعد إختبار وفحص بعض القطع الذهبية التى عثرت عليها البعثتان
فى طريق عودتهما إلى الخرطوم ، رفع كل من روسيجير وبوريانى تقريراً
للباشا عن نتائج إبحاثه وملاحظاته . ففى التقرير الذى رفعه بوريانى أوضح
عدم جدوى البحث عن الذهب فى تلك المناطق بقوله : « إن التبر المستخرج
من الستة عشر قنطاراً من التراب الذى أخذ من موضع المعدن الكائن بجبل
فازنقروا وغربل وغسل بمعرفة خمسة عشر جندياً فى ثلاث ساعات يكون
بصفة معدل ثمانية قناطير وعمل سبعة أنفار والنصف فى ثلاث ساعات

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 66.

(٢) محفظة رقم ٢٦٥ عابدين ، ملف حكمدار السودان ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٨
بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٢٥٤ .

(٣) الطهطاوى : مناهج الألباب ، ص ٢٥٤ .

(٤) محفظة رقم ٢٦٥ عابدين ، ملف حكمدار السودان ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٨
بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٢٥٤ .

(5) Hill : Egypt in the Sudan, P. 66.

وصافي الذهب السنارى الحاصل من هذه القناطير الثمانية بعد الغسل والتصفية والإذابة خمس عشرة حبه بحساب القيراط والوقية والحبة الجارية الإستعمال فى الوزن القديم وباعتبار الوزن السودانى . وعليه فيكون ما ينتجه النفر الواحد من سكان البلد الموجودين فى يوم واحد بشرط أن يعمل عشر ساعات فيه من الذهب ستة حبات وثلاثي الحبه . وبما أن وقية الذهب تساوى ثلاثمائة وخمسين قرشا فى بلاد السودان فيكون ثمن الحبه من الذهب ٤٣ باره و ٧ مائقر ، وعليه فيكون قيمة ستة حبات وثلاث الحبه الحاصلة من المعدل المذكور ٧ قروش و ١١ باره (١) و ٦ مائقر وثلاث المائقر ، وعلى هذا الحساب إذا اشتغل شخص فى إستخراج الذهب فيساوى قيمة ما يستخرج فى اليوم ٧ قروش و ١١ باره و ٦ مائقر وثلاث المائقر (٢) . أما عن الذهب فى جهات قماميل فقد قال بوريانى عنه : « إن التبر المستخرج من ستة عشر قنطارا من التراب الذى أخذ من موضع كائن بجبل قشيش من جبال قماميل وغربل وغسل بمعرفة عشرين جنديا فى ثلاث ساعات يكون بصفة معدل ثمانية قناطير من التراب وعمل عشر جنود فى ثلاث ساعات وصافي الذهب السنارى المستخرج من هذه القناطير الثمانية بعد الغسل والتصفية والإذابة ثلاثة عشر حبه بحساب القيراط والوقية والحبة الجارية الإستعمال فى الوزن القديم وباعتبار الوزن السودانى . وعليه فيكون ما ينتجه النفر الواحد من أهالى البلد الموجودين فى اليوم الواحد بشرط أن يعمل عشر ساعات فيه من الذهب أربع حبات وثلاث الحبه . وبما أن وقية الذهب تساوى ثلاثمائة وخمسين قرشا فى بلاد السودان فيكون ثمن الحبه من الذهب ٤٣ باره و ٧ مائقر ، وعليه فيكون ثمن الأربع حبات والثلاث الظاهرة من المعدل أربعة قروش و ٢٩ باره و ١٥ مائقر وثلاث المائقر . وعلى هذا الحساب فإذا اشتغل شخص فى عملية

(١) الباره اسم تركى أطلق على العملة المصرية « نصف فضه » وتساوى $\frac{1}{4}$ من القرش .

شكرى : بناء دولة ، ص ١٨٤ .

(٢) محفظة رقم ٢٦٥ عابدين ، ملف حكمدار السودان : ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٨

بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٢٥٤ .

إستخراج الذهب لتتج فى اليوم الواحد من الذهب السنارى ما يساوى أربعة قروش و ٢٩ باره و $\frac{1}{4}$ مانتقر وثلث المانتقر (١) . وأما المهندس روسيجير فقد كان متفائلا فى تقريره إذ أنه أكد « أن الشخص الواحد ينظف كل يوم ثلثمائة وخمسين أقه من الرمل ، فيتحصل منها ذهب قيمته من ثمانين قرشا إلى مائة قرش (٢) » . وقد زعم رفاعه بك الطهطاوى أن الباشا قد سر من تقرير روسيجير بينما غضب غاية الغضب على بوريانى لتقريره المتشائم . ورغم أن بوريانى ما زال مقتنعا بعدم جدوى البحث عن الذهب فقد إضطر — تفاديا لغضب الباشا — إلى تغيير رأيه زاعما أن طريقة التحليل بالزبيق التى إتبعها روسيجير أحدث طريقة ، وبالتالي فإن نتائجه أحسن وأكثر دقة ، كما إدعى أن العامل الواحد فى التنقيب عن الذهب يمكنه أن يتحصل على ما قيمته أربعين قرشا يوميا (٣) .

لا شك أن الاختلاف بين التقريرين لإختلاف كبير واضح يبعث على الشك وعدم الطمأنينة ، ولذلك قرر الباشا أن يذهب بنفسه إلى جهات فازوغلى وبنى شقول لمعرفة حقيقة المعادن هناك . قبل التوجه فى هذه الرحلة المشهورة إستدعى محمد على إلى القاهرة مصطفى بك المشرف على شئون المعدن هناك والحكمدار خورشيد باشا (٤) ، كما أنه أمر بوريانى — الذى شغل آنذاك منصب « مدير دار السلاح » بيولاى — بالعودة فورا إلى مناجم الذهب والا فصله من خدمة الحكومة (٥) .

أما العمال اللازمون للتنقيب عن الذهب خلال بقاء الباشا فى تلك الجهات ، فقد صدرت الأوامر للحكمдар أبو ودان بأعداد عشرة آلاف

(١) الوثيقة السابقة .

(٢) الطهطاوى : مناهج الأبواب ، ص ٢٥٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٥ - ٥٦ .

(٤) شيكه : السودان فى قرن ، ص ٤٥ .

(5) Hill : Egypt in the Sudan, P. 67.

منهم عن طريق الغزو أو الشراء مع المؤونة اللازمة لهم^(١). غير أن أبى ودان أوضح لمحمد على صعوبة الحصول على هذا العدد الضخم من العمال لعدم توفره بالشراء، إذ أنه لا يوجد عند الأهالي من جهة، ولأن الحصول عليه يحتاج إلى مقدار كبير من النقود من جهة أخرى. لذلك اقترح استخدام عمال بالاجر للتقيب عن الذهب، خاصة وأن الشيخ إدريس، من كبار المشايخ القاطنين بأطراف معدن الذهب، تعهد بتجهيز أربعة آلاف منهم، كما أنه وعد بالاتصال بسكان جبل بنى شنقول والقماميل الخارجين عن سلطان الحكومة وإقناعهم — لما بينه وبينهم من صداقة — للدخول فى طاعة الحكومة والعمل فى التقيب عن الذهب مقابل إجرة ترتب لهم^(٢).

ولإعداد المال اللازم لتغطية تكاليف هذه الرحلة صدرت الأوامر لبعض مديري المديرية المصرية بأعداد كمية من المال وتسليمها للبasha عند مروره بمديرياتهم فى طريقه إلى السودان. فقد طلب مثلاً من مديري النصف الأول والثانى والوسطى بأعداد « ألفين وخمسمائة كيس أو أكثر »^(٣)، كما كلف مدير أسبوط بأعداد « خمسة آلاف كيس من النقود أو أكثر »^(٤).

(١) دفتر رقم ٢٢٣ عابدين، ترجمة الإرادة الكريمة رقم $\frac{4}{7}$ ورقة ٩٨ وجه ثانى بتاريخ ٢ ربيع الآخر سنة ١٢٥٤.

(٢) محفظه رقم ٢٦٥ عابدين، ترجمة الوثيقة رقم $\frac{44}{199}$ أصل بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٥٤.

(٣) دفتر ١٦١ ديوان شورى المعاونه، وثيقة رقم ٦٣٠ بتاريخ ٢٣ رجب سنة ١٢٥٤.

(٤) دفتر ١٦١ ديوان شورى المعاونه، وثيقة رقم ٦٣١ بتاريخ ٢٣ رجب سنة ١٢٥٤.

رحلة محمد علي للسودان

١٥ أكتوبر سنة ١٨٣٨ - ١٥ مارس سنة ١٨٣٩

بعد أن تمت كافة الإستعدادات غادر الجناب العالي القاهرة في ٢٩ رجب سنة ١٢٥٤ (١) « ١٥ أكتوبر سنة ١٨٣٨ » متوجها جنوبا نحو السودان بعد أن ترك عباس باشا بن طوسن لينوب عنه في إدارة مصر (٢) . وقد تألفت حاشية الباشا في هذه الرحلة من أمير اللواء يعقوب بك والأمير لاي حيطاني بك طبيب الباشا الخاص والقائم مقام عارف بك مع تسعة من الضباط من مختلف الرتب وقنصل اليونان العام « توسيجيه » (٣) ، كما صاحبه أيضاً ثلاثة من المهندسين الفرنسيين دارنو (D'Arnaud) ولامبرت (Lambert) وليفبره (Lefebvre) (٤) وكذلك الصيدلي أحمد يوسف الجشنجي (٥) .

لم يكن مشروع محمد علي للقيام بهذه الرحلة ، كما قال أنجلو ساماركو ، « قد نبت فجأة ، ولم يكن أبن يومه ، بل أن فكرة القيام برحلة إلى السودان كانت تجول في خاطره من وقت بعيد » (٦) . ولكن ماهي الأسباب التي دفعته إلى إهمال نصيحة الكثير من أصدقائه والإصرار على زيارة السودان في ذلك الوقت الذي ضعف فيه وتقدمت سنه ؟ للإجابة على هذا السؤال لا بد لنا ان نتعرض لإحوال مصر الداخلية ولعلاقاتها الخارجية آنذاك .

تدهور الموقف الإقتصادي آنذاك في مصر تدهورا خطيرا ، فالأموال

- (١) شكرى : مكأ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد علي » ، ص ١٤٦ .
- (٢) شيبكه : السودان في قرن ، ص ٤٥ .
- (٣) شكرى : مكأ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد علي » ، ص ٤٦ .
- (٤) المسيو ليفبره مهندس مشهور ببراءته في علم المعادن ، وقد سبق ان استخدمه محمد علي في مدرسة المعادن المصرية . الطهطاوى : مناهج الالباب ، ص ٢٥٦ .
- (٥) شكرى : مكأ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، ص ٣٩ .
- (٦) ساماركو : رحلة محمد علي ، ص ١ - ٢ .

الموجودة في سنة ١٨٣٨ في خزينة الدولة لم تكف لصرف مرتبات الموظفين ورجال الجيش والبحرية (١) ، بل أنه حتى شهر سبتمبر سنة ١٨٣٨ كانت مرتبات رجال الجيش والبحرية قد تأخرت لمدة خمسة عشر شهرا (٢) . في هذه الظروف المالية السيئة كان على الباشا أن يدفع « ويركو الاستانة » (٣) عدا الهدايا التي كان عليه أن يرسلها للسلطان العثماني ورجاله في الآستانه، أو عند حضورهم لمصر في مهام رسمية أو بغرض السياحة. لتغطية ذلك العجز المالي الخطير في خزينة البلاد وللتقيام بهذه الإلتزامات الضخمة مع الإستمرار في حركة التقدم والإصلاح في مصر ، كان الباشا في حاجة ملحة للمال .

أما في المجال الخارجي فبالرغم من أن محمد علي إستطاع أن ينفرد بحكم مصر ويستولي على السلطة الفعلية فيها ، إلا أنه ما زال يحكم بأسم السلطان العثماني . ويبدو أن الباشا لم يقتنع بهذه التبعية وأراد إقامة حكم مستقل إستقلالا تاما عن الإمبراطورية العثمانية . لتحقيق هذا الهدف كان لا بد له أن يتمرد على السلطان ويدخل معه في صراع حاد ومنازعات عنيفة . وفي الواقع ان بوادر هذا التمرد قد ظهرت بعد واقعة نافارين الشهيرة سنة ١٨٢٧ (٤) . فبينما أصرت تركيا على رفض مطالب الدول المتحالفة ،

(١) المصدر السابق ، ص ٥ .

(2) Shukry : Khedive Ismail, pp. 81-82.

(٣) هو المبلغ الذي كان على الحكومة المصرية أن تدفعه للسلطان العثماني. وقد قدر هذا المبلغ في مايو ١٨٤١ بثمانية ألف كيس اي ٤٠٠ ألف جنيه. شكري، بناء دولة محمد علي، ص ٧٩.

(٤) بعد أن فشلت كل الحملات التي أرسلها السلطان العثماني لإخماد الثورة التي قام بها اليونانيون لتحرير بلادهم من حكم الأتراك وتحقيق إستقلالهم القومي ، لجأ السلطان إلى محمد علي وأمره بإرسال جيش لإخماد تلك الثورة . إلا أنه نتيجة لتدخل الدول الأوربية لمساعدة الثوار ، إنتهت تلك الحرب بهزيمة فادحة لمحمد علي ، فقد فيها أسطوله في معركة نافارين الشهيرة. هذا وقد رأى عاهل مصر أن الوقت مناسب للتمرد على السلطان فقام تركيا العسكرية ضعفت آنذاك لأن السلطان محمود الثاني بدأ في الخلاص من الجنود الانكشاريين بهدف تكوين جيش نظامي حديث ، كما أن كل من إنجلترا وفرنسا كانتا حريصتين على التعاون مع محمد علي لتحقيق أغراضهما في مصر .

Marlowe : Anglo-Egyptian Relations, P. 39.

لم يتابع محمد على السلطان فى عناده ورأى أن مواصلة القتال فى تلك الحرب لن يفيد مصر . بل سيعود عليها بالخسائر الفادحة ، خاصة بعد أن فقدت أسطولها « وإنقطعت مواصلاتها البحرية مع جيوشها فى بلاد اليونان (١) » . لذلك إتفق مع الحلفاء ووافق على وقف القتال وجلاء الجيش المصرى من بلاد الموره .

وقد اشتد الصراع بين السلطان ووالى مصر عندما أرسل الأخير جيشا بقيادة ابنه إبراهيم لغزو سوريا . ومن الظاهر ان الباشا لم يهدف بهذه الحملة الاستيلاء على سوريا فحسب بل أنه ربما أراد أن يجعلها منفذا لاحتلال القسطنطينية نفسها (٢) وبالتالي الاستيلاء على الامبراطورية العثمانية كلها . لذلك فإن الجيوش المصرية لم تكتف باحتلال سوريا ، بل أنها زحفت نحو آسيا الصغرى ، فهزمت الأتراك فى قونية ، وتقدمت غربا حتى وصلت بروسا (٣) ، وبذلك أصبحت القسطنطينية نفسها فى خطر داهم (٤) . وخوفا من تهديد سلامة تركيا وإثارة المسألة التركية التى ربما أدت إلى تهديد السلام فى أوروبا نفسها تدخلت الدول الأوروبية لوقف تقدم الجيوش المصرية وأجبرت الباشا فى سنة ١٨٣٣ على قبول صلح كوتاهيه الذى تخلى بمقتضاه السلطان لمحمد على عن سوريا وإقليم ادرنة مع تثبيتته على مصر وجزيرة كريت والحجاز مقابل أن يجلو الجيش المصرى عن باقى بلاد الأناضول (٥) .

تجدد الصراع بين الطرفين مرة أخرى فى سنة ١٨٣٨ عندما رفض محمد على ، بتحريض من فرنسا ، دفع الجزية المفروضة على الولايات التى

(١) الرافعى ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ .

(٢) مرى : صفحة من تاريخ ، ص ٥١ .

(3) Marlowe : Anglo-Egyptian Relations, P. 40.

(٤) اغتر إبراهيم باشا بالا نتصارات التى حققها فاقترح مهاجمة القسطنطينية نفسها ليفرض على السلطان الاعتراف باستقلال مصر . الا أن محمد على خشى تدخل الدول الأوروبية ، كما تدخلت من قبل فى حرب الموره ، فأثر التريث وأمر ابنه بان لا يهاجم القسطنطينية .

(٥) الرافعى : ج ٣ ، ص ٢٧٦ .

أعطيت له بعد الحرب السورية الأولى . لم يقبل السلطان هذا التحدى : فأرسل جيشا بقيادة حافظ باشا لمحاربة جيوش محمد على فى سوريا ، إلا أن ذلك الجيش تعرض فى مايو سنة ١٨٣٩ لهزيمة فادحة . لم تن هذه الهزيمة عزم السلطان على إخضاع محمد على ، فأرسل أسطولا بقيادة القبطان أحمد فوزى باشا . واجه ذلك الأسطول نفس مصير الجيش العثمانى ، فتشتت شمله فى الإسكندرية ، وتمكن محمد على من الإستيلاء عليه (١) .

فى ذلك الطرف العصيب إتضح للباشا أن الدول الأوربية تعارض خطته الرامية إلى الاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية ، ورأى أن لا سبيل لتحقيق هذا الهدف إلا بأحد طريقين : إما باغراء السلطان ورجاله بالهدايا والرشوة لمنحه هذا الاستقلال أو الإستمرار فى حروبه ضد الإمبراطورية العثمانية وإعلان إستقلاله بالقوة . وفى كلتا الحالتين كان الباشا محتاجا للمال والمال الوفير .

وهكذا يبدو أن الهدف الرئيسى لرحلة مجمد على للسودان كان مشاهدة مناجم الذهب فى فازوغلى على يجد منها ما يعالج به الأزمة المالية الطاحنة فى بلاده وما يحقق به أملا طالما راود نفسه ؛ ألا وهو إعلان إستقلاله التام عن السلطان العثمانى . وقد كان الباشا عظيم الأمل فى الحصول على ذلك المعدن النفيس خاصة بعد أن عثر المعدّنون على قدر منه « يصح إتخاذه دليلا على وجود مناجم الذهب بجوار فاشنغارو (٢) » .

ومما قاله الباشا للقنصل الروسى « الكونت ميدم » فى ٦ أغسطس سنة ١٨٣٨ قبل توجهه فى هذه الرحلة ، يظهر أن الهدف الرئيسى وراء هذه الرحلة هو البحث عن الذهب . فهو قد قال له « إذا ما رجعت من فازوغلى بمركب محمل بالذهب فسوف اقضى كل منازعاتى وفق رغائى دون معونة أحد ، لأنه إذا وجد المال لا يعدم الإنسان الأصدقاء والجيوش التى تسهل

(1) Marlowe : Anglo-Egyptian Relations, P. 44.

(٢) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ . « رحلة محمد على » ، ص ٤٦ .

الإتفاق (١) . ويدعم هذا رأى الرسائل التى أرسلها بعض قناصل الدول إلى حكوماتهم شارحين أسباب هذه الرحلة ، ففي ١٢ أغسطس سنة ١٨٣٨ كتب القنصل الفرنسى فى مصر كوشيليه (Cochelet) إلى حكومته قائلا : « ومن المنتظر فضلا عن ذلك أن يعود الباشا من رحلته هذه بعد غياب خمسة أو ثمانية شهور ، وعندئذ سوف يكون مستعدا لمواجهة الدول فيسألها إذا كانت لا تزال ممتنعة عن الموافقة على إعلان إستقلاله . ويرجو الباشا من هذه الرحلة العثور على الذهب وذلك حتى يعرض على تركيا مبلغا ضخما من المال تستعوض به عما كان يدفعه لها من جزية سنوية ، وحتى يستميل لمؤازرته كبار السياسيين فى أوروبا . وأما إذا قوبلت إقتراحات الباشا بتهديدات جديدة فإنه سوف يعلن إستقلاله ويجمع جيشه ويقف فى إنتظار العدو بقدم ثابتة ويخوض غمار حرب كبيرة فاما أن يتنصر وأما أن تكون خاتمة حياته ، على حد قوله ، خليفة بتلك البداية المجيدة التى كانت من نصيبه عند قدومه إلى مصر (٢) . وقد أيد هذه الأقوال القنصل النمساوى لاورين (Laurin) فى رسالة بعثها إلى حكومته فى ٧ يناير سنة ١٨٣٩ جاء فيها : « إنه إذا إستطاع محمد على أن يعثر على ذلك الذهب الكثير الذى توقع وجوده بالسودان ، فإنه سوف يتمكن من تحقيق آماله السياسية عن طريق المفاوضة . وأما إذا صادفه الفشل فانه سوف يتخذ موقفا دفاعيا ويتحسين الفرص للانقضاض على جيوش السلطان (٣) . »

وقد بعث محمد على نفسه رسالة إلى الحكمدار أحمد باشا أبو ودان بتاريخ ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٢٥٤ (٢٥ يونيو سنة ١٨٣٨) أوضح فيها أن الذهب هو الهدف الرئيسى وراء هذه الرحلة ، فهو قد قال له : « ولما كان تحقيق هذه المصلحة الخيرية (٤) وفقا للمطلوب هو أقصى أملى فلكى يشرع

(١) شكرى : بناء دولة ، ص ٧٥٤ .

(٢) شكرى : م ك أ ، ١٩٤٦ ، ٨ ، « رحلة محمد على » ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٤) يقصد التنقيب عن الذهب .

فيها من الآن من جميع نواحيها حتى لا يضاع الوقت حين الشروع في العمل بأن يقال بقي الشيء الفلاني ولم يتم الأمر العلاني عقدت اليه على السفر إلى هناك بنفسى (١) .

وبجانب ذلك الهدف الرئيسى فقد كان لهذه الرحلة أهدافا أخرى متعددة. فالباشا ربما أراد كشف منابع النيل في ذلك الوقت الذى زاد إهتمام الدول الأوربية بها زيادة ملحوظة (٢) . وبهذه الرحلة أراد الباشا خدمة أغراض تجارية . فقد كان لسياسة الاحتكار التى إتبعها فى السودان عواقب سيئة إذ أن كثيرا من البضائع السودانية هربت من سنار وشرقى السودان إلى ساحل البحر الأحمر عبر الحبشة لتؤخذ من هناك إلى الجزيرة العربية ، بدلا من أن ترسل عبر النيل أو بالطرق الصحراوية إلى مصر كما كان الحال قبل ذلك . لهذا فقد أراد محمد على برحلته هذه جذب التجارة السودانية إلى مصر من جهة ، وتقوية العلاقات التجارية مع الحبشة من جهة أخرى (٣) . ولعل الباشا أراد بهذه الرحلة أيضا أن يكون بعيدا عن مسرح الحوادث السياسية فى ذلك الوقت الذى إشتدت فيه الأزمة السياسية حتى « لا يستطيع إنسان أن يدعى أنه سيكون البادىء بالعدوان (٤) » . ولا شك أن هذه الرحلة ستبيح للباشا فرصة نادرة لمشاهدة السودان بنفسه والتعرف على أحواله والعمل على تطوير إدارته وتحسين زراعته بادخال المحاصيل الجديدة والطرق الزراعية الحديثة (٥) .

(١) دفتر رقم ٢٢٣ عابدين ، ترجمة الازادة الكريمة رقم ٩ ٧ ورقة ٩٨ وجه ثانى بتاريخ ٢٠ ربيع الاخر سنة ١٢٥٤ .

(٢) أنظر ص ٣٩ - ٤٠

(3) Shukry : Khedieve Ismail, pp. 82-3.

(٤) شكرى : بناء دولة ، ص ٧٥٤ .

(٥) يدعى « دودويل » ان الهدف الرئيسى وراء هذه الرحلة هو توسيع الاراضى الزراعية وتطوير الزراعة فى السودان .

Dodwell : The Founder, P. 54.

هذا - فى إعتقادى - كان هدفا ثانويا لم يلتفت اليه الباشا بصورة جدية الا عندما فشل فى البحث عن الذهب .

فى رأى الأستاذ شكرى أن السودان كان فى « حالة خلو » عندما زحفت الجيوش المصرية عليه إذ لم يوجد فيه آنذاك دولة تستمتع بكل أسباب السيادة فى أرجائه (١) . ولذلك فعندما قضى الباشا على فلول الهمج الذين إغتصبوا السلطة من ملوك القونج ، وضم إلى ممتلكاته إقليم كردفان الذى كان مثارا للتزاع أجيالا عديدة بين سنار ودارفور وأقام دولة مرهوبة الجانب ، أصبح له . فى رأى شكرى ، « ان يستمتع بكل ما يخوله سلطانه من حقوق السيادة على هذه الأراضى (٢) » وهكذا فقد كان فى رأى إستاذنا أن أحد أهداف رحلة الباشا إلى السودان هو « إذاعة نظرية الخلو والاستناد عليها فى صون وحدة وادى النيل أى بقاء شطريه مصر والسودان فى نظام سياسى واحد (٣) » .

إلا أنه لا بد لى أن أتعرض بالنقد والتحليل لنظرية الخلو هذه التى إبتدعها الدكتور شكرى . فالسودان لم يكن فى حالة خلو عندما زحفت عليه جيوش الفتح إذ كان سلطان سنار هو الحاكم الرسمى الذى تمتع بالسيادة القانونية الكاملة هناك . ثم أن محمد على نفسه كان تابعا للسلطان العثمانى وان فتح السودان تم باسم خليفة المسلمين ، وبهذا فقد أصبح بعد إستيلاء جيوش الفتح عليه تحت سيادة الإمبراطور العثمانى لا تحت سيادة والى مصر . وأكبر دليل على هذا هو أن سلطان سنار عندما تنازل عن السيادة فى السودان فعل ذلك للسلطان العثمانى لا لمحمد على . إذا فليس لمحمد على أى حق قانونى فى السيادة على السودان .

نتائج الرحلة :

ما أن وصل ركب الجنباب العالى بعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة المضنية إلى فازوغلى فى ٢٨ شوال سنة ١٢٥٤ (٤) « ١٤ يناير سنة ١٨٣٩ » ونزل

(١) شكرى : مصر والسيادة ، ص ١٨ .

(٢) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد على » ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٣) شكرى : مصر والسودان ، ص ١٣ .

(٤) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد على » ، ص ٥٢ .

فى قرية فامكه على ميمنة النيل الأزرق ، الا وبدأ مجهودات كبيرة فى البحث والتنقيب عن الذهب . فمن قرية فامكه أرسل ثلاثة من المعدنين هم بوريانى الإيطالى ولمير وأحمد يوسف الجشنجى إلى جهات فاشنغارو وبنى شتقول للتنقيب عن الذهب هناك (١) . قام هؤلاء بعدة تجارب وأبحاث أعلنوا بعدها أنهم عثروا على دليل « يثبت وجود هذا المعدن (٢) » . عندئذ قرر الباشا الانتقال بنفسه إلى تلك الجهات لمراقبة سير عمليات التنقيب هناك .

أجرى المعدنون عدة تجارب فى مناطق مختلفة للبحث عن الذهب . الا أن نتائج إبحاثهم كانت مخيبة للآمال . لذلك جمع الباشا كل المهندسين للتشاور معهم فاستقر رأى على « عمل تجربة جديدة بطريقة أخرى مفيدة وهى أن يجمع الرمل من جميع المحلات بمقادير متناسبة ويعلم كمية ما يخرج منها (٣) » . تنفيذا لهذه الخطة الجديدة جمع العالم بوريانى عشرين قنطارا من رمال التبر من الأماكن المشهورة بوفرة الذهب فيها ، غير أن المتحصل منها لم يزد على « تسعة وأربعين قمحه من الذهب » (٤) . كون الباشا لجنة لإعداد تقرير شامل عن الأعمال التى قامت بها تلك البعثة ، وقد بين ذلك التقرير بصورة واضحة جلية فشل البعثة فى تحقيق هدفها الرئيسى فقد جاء فيه : « إنه لإستثمار المناجم بواسطة الغسل الإعتيادى لا يستطيع العامل أن يحصل على ثلاثة قروش عن عمله فى اليوم (٥) » .

وهكذا فقد فشل الباشا فى الحصول على الذهب من جهات فازوغلى فتحطمت آماله وأحلامه وغادرتلك الأصقاع فى ١٨ ذى القعدة سنة ١٢٥٤ (٦) « أول فبراير سنة ١٨٣٩ » متوجها نحو بلاده .

(١) المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

(٣) الطهطاوى : مناهج الالباب ، ص ٢٥٨ .

(٤) ساماركو : رحلة محمد على ، ص ١١ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١١ .

(٦) شكرى : مكأ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد على » ، ص ٥٦ .

وبينما فشلت رحلة الباشا للسودان فى تحقيق أهم أهدافها . فقد أحرز بعض النجاح فى ميادين أخرى . ففى أثناء هذه الرحلة : كما أوضحت من قبل (١) ، صدرت الأوامر الرسمية بالغاء الرق وتجارة الرقيق . وفى ميدان التجارة رأى الباشا الخراب الذى سببته سياسة الإحتكار لتجارة السودان خاصة تجارة الصمغ فى كردفان فاقتنع بسوئها وأمر بالغائها (٢) . وقد نجح الباشا فى تدعيم وتطوير العلاقات التجارية مع الحبشة ، فوافق على الإتفاقيات التجارية التى وصل اليها الحكمدار أبو ودان فى أواخر سنة ١٨٣٨ والتى نصت على السماح للقوافل التجارية بدخول الأقاليم الحبشية دون أن تدفع أى ضرائب على البضائع المصدرة من السودان ، على أن يكون لقوافل الأحباش نفس هذه الإمتيازات فى الأقاليم السودانية (٣) ، كما أنه أمر بارسال بعثة من السودان لتدعيم وتحسين روابط الصداقة مع إمبراطور الحبشة (٤) . وفى مجال العلوم حققت هذه الرحلة نصرا كبيرا عندما أمر الباشا عند مروره بالخرطوم فى طريق عودته إلى مصر بارسال البكباشى سليم قبودان لإكتشاف منابع النيل الأبيض . حقا أن سليم لم ينجح بعد رحلاته الثلاث فى إكتشاف منابع النيل الأبيض الا أنه وفق فى تبديد الكثير من الآراء الخاطئة عنها (٥) .

وفى خلال إقامته بالسودان عمل الباشا على تطوير إدارة البلاد فاستدعى من مصر عددا من الكتاب الأكفاء ، كما أنه قابل الكثير من زعماء البلاد وشيوخها مقابلة حسنة وأنعم عليهم فيها بكساوى الشرف وطلب منهم أن يرسلو أبناءهم إلى مصر ليتعلموا فى مدارسها « القراءة والكتابة والعلوم المفيدة حتى إذا أتموا علومهم أرجعهم الباشا إلى بلادهم بعد سنوات قليلة » (٦) . وفى خلال زيارته للسودان إقتنع الباشا إقتناعا تاما بخصوبة أراضيه فأصدر

(١) أنظر ص ٧٥ - ٧٦ .

(٢) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد على » ص ٤٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(٤) ساماركو : رحلة محمد على ، ص ١١ .

(٥) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد على » ، ص ٥٥ .

أوامره بزيادة الجهد لتطوير الزراعة في ربوعه بتشجيع الأهالي وترغيبهم في
فلاحة أراضيهم وإدخال طرق الزراعة الحديثة : كما أنه أرسل الخبراء
الزراعيين من مصر لتعليم الأهالي « طرق زراعة الأرض ونشر ما كان لديهم
من معلومات عن الزراعة عموما بين ظهرائهم (١) » . وفي مجال العمران
كان من نتائج هذه الرحلة إنشاء مدينة « محمد علي » قرب فازوغلي . ولكي
يكون ذلك المكان « جديرا بحمل هذا الاسم الكريم ويكون أعظم بلاد
السودان (٢) » ، أمر الباشا بإنشاء البيوت الكثيرة وفتح الطرق والأزقة
وبناء قصر ومخازن وثكنة ومستشفى وغرس الحدائق والبساتين هناك (٣) .

(١) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(٢) محفظة رقم ١٢٣ عابدين ، ملف متفرقات دوسيه بلون تاريخ محدد (سنة ١٢٥٤) .

(٣) الوثيقة السابقة .

التنقيب عن الذهب في جهات فازوغلى بعد رحلة محمد علي :

رغم فشل كل تلك المحاولات للبحث عن الذهب في جهات فازوغلى ، رأى المهندس ليفره « أن لا يقطع الرجاء بالكلية عن ربح هذه المعادن (١) » إذ أن المهندسين الذين كلفوا بذلك ، بما فيهم هو شخصيا ، ليسوا ذوي خبرة تامة ودراية كافية بعلم المعادن . لهذا فقد زعم أنه لو ترك هذا الأمر لمهندسين أكثر خبرة وكفاءة لربما توصلوا إلى نتائج أحسن (٢) . ويبدو أن الباشا لم يقطع الأمل نهائيا في العثور على الذهب في تلك الأصقاع ، إذ أنه عندما غادرها إلى بلاده لم يأمر بوقف عمليات التنقيب بل ترك وراءه عشرين من المعدنين ليتابعوا الأبحاث والتجارب (٣) .

ولتشجيع الحكمدار أبو ودان للإهتمام بشئون المعدن ، وعده الباشا « بأن يمدّه بكل معونة صادقة وأن يبذل كل ما لديه من جهد حتى يأتي هذا العمل ثمرته المنشودة (٤) » . كما أنه أكد له بأنه « سوف لا يتأخر في العام التالي عن المجيء إلى نجدته إذا حدث أن جددت عقبات غير متوقعة في طريقه (٥) » . وفي الحقيقة أن التنقيب عن الذهب استمر خلال بقية عهد الحكمدار أبو ودان ، إلا أن نتائج الأبحاث كانت كسابقتها مخيبة للآمال . فمن تقرير رفع إلى الجنباب العالي من فازوغلى بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٥٩ « ١٧ أبريل سنة ١٨٤٣ » عن سير عمليات التنقيب هناك إتضح

(١) الطهطاوى : مناهج الالباب ، ص ٦٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٠ - ٦١ .

(٣) شكرى : مجلة كلية الآداب ، العدد الثامن ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد علي » ص ٥٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

جليليا فشل المعدنين في الحصول على الذهب . فمثلا بعد تجارب ومجهود شاق إستمر لبضع شهور في البحث عنه في خور يسمى « خور رونده » . على بعد تسعة عشر ساعة ونصف من مدينة محمد علي . كان كل ما حصل عليه أربعين أوقية من الذهب فقط (١) .

وعندما أرسل أحمد المنكلي إلى السودان في سنة ١٨٤٣ ، صدرت له الأوامر بأن يتوجه إلى مناطق الذهب في جهات فازوغلي فور إنتهائه من الغاء النظام المركزي وإدخال اللامركزية في السودان (٢) . وبالفعل ذهب « المنظم » إلى هناك على رأس قوة حربية وأجرى ما بين عامي ١٨٤٣ - ١٨٤٤ عدة تجارب للبحث عن الذهب في الجبال هناك كجبل كورنك رريه وجبل جرور على بعد ساعتين شرقي جبل دول وجبل دول نفسه الذي يقع على حافة بلاد بنى شنقول (٣) . لم يكن التقرير الذي رفعه المنكلي إلى الباشا عن نتائج أبحاثه مشجعا إذ أنه أوضح أن كميات الذهب الموجودة هناك قليلة ، ولكن الباشا أرسل خيرا من القاهرة ليتحقق من النتائج التي توصل اليها المنكلي (٤) .

(١) محفظة رقم ١٩ بحر برا ، وثيقة رقم ٢٣ بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٥٩ .
(٢) خوفا من أن يستولى على ادارة السودان حكام قوى قد تحدثه نفسه ، كما اشيع عن أبى ودان ، بالا انفصال عن مصر والاستقلال بالسودان ، قرر محمد علي الغاء النظام المركزي وإدخال النظام اللامركزي في السودان وعهد بهذه المهمة إلى « المنظم » أحمد المنكلي . بهذا النظام الجديد الغيت وظيفة الحكمدار وقسمت البلاد إلى عدة مديريات ترجع كل مديرية منها في شؤونها إلى مصر رأسا على أن يتعاون المديرون فيما بينهم لتحقيق المصلحة العامة .
الا أن النظام اللامركزي فشل في تحسين وتطوير ادارة السودان فعاد محمد علي إلى المركزية مرة أخرى وعين خالد باشا خسرو في سنة ١٨٤٥ حكاما على السودان .
شبيكه : السودان في قرن ص ٤٧ - ٥١ .

(٣) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة ٦٠ بتاريخ ٧ محرم سنة ١٢٦١ .

(4) Hill : Egypt in the Sudan, P. 81.

أما المنكلى فقد عاد من جبل دول تاركا جماعة من جنوده هناك بعد أن أعد لهم ما يكفيهم من المؤنة والذخيرة لمدة عام كامل (١) .

وفي عهد الحكمدار خالد خسرو « ١٨٤٥ - ١٨٤٩ » تجدد الإهتمام مرة أخرى بالذهب فى فازوغلى وجهات بنى شتقول . فقد عرف خالد من الشيخ إدريس عدلان ، شيخ قبائل العربان القاطنة بجهات جبل دول ، عن وجود تبر فى المناطق الكائنة بالقرب من جبل دول كجبل قماميل وجبل فاروغة وخور قرنقروا وجبل قسان « مشابه للتبر الذى عثر عليه فى جبل دول (٢) » . إهتم الحكمدار بهذا الأمر فقاد فى سنة ١٢٦٣ (١٨٤٦ - ١٨٤٧) حملة للتنقيب عن ذلك المعدن هناك ، كما سار بحملة أخرى سنة ١٢٦٤ « ١٨٤٧ - ١٨٤٨ » إلى جبل قسان لنفس الغرض (٣) . ولمساعدة خالد فى هذه المهمة الشاقة أرسل الجناب العالى له مهندسا روسيا يدعى كوفاليفسكى Kovalevsky وستمائة جملا محملة بالآلات للبحث عن ذلك المعدن النفيس (٤) . قضى هذا المهندس مدة وجيزة فى مناطق الذهب عاد بعدها إلى القاهرة بعد أن ترك توصياته باستعمال الآلات الجديدة فى التنقيب عن الذهب . ويبدو أن المسئولين هناك عادوا مرة أخرى إلى طرق الأهالى البدائية وبالتالي فقد كانت كميات الذهب التى عثر عليها قليلة جدا لا تتناسب مع الجهود التى بذلت للبحث عنها (٥) . ولتوضيح فشل محاولات خالد خسرو فى البحث عن الذهب يجدر بى أن أذكر القائمتين التاليتين :

كميات الذهب التبر المتحصل عليها بمديرية فازوغلى لإبتداء من ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٦٣ « ٥ مارس سنة ١٨٤٧ » حتى ٤ ربيع الثانى سنة

(١) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٦٠ بتاريخ ٧ محرم سنة ١٢٦١ .

(٢) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٧٤ بتاريخ ٩ صفر سنة ١٢٦٢ .

(٣) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٩٥ بتاريخ ٣ ربيع الثانى سنة ١٢٦٤ .

(4) Hill : Egypt in the Sudan, P. 83.

(٥) المصدر السابق ، ص ٨٣ .

١٢٦٣ هـ ٢٢ مارس سنة ١٨٤٧ م (١) .

| عدد حبة | |
|---------|--|
| ٥٢ | متحصل من جزيرة الدوم |
| ١٨٨ | متحصل من جزيرة خورا مالى |
| ٢٨٣ | متحصل من جزيرة ارندوا |
| ٣٨ | متحصل من خور قانقروا عملية يوم |
| ٢٣ | متحصل من جبل فالقه |
| ١٠٨ | متحصل من خور قانقروا ثانى مرة بعد الرجوع من فالقه |
| ٤٣٧٣ | أربعمائة وسبع وثلاثون وثلاثا وربع حبه لا غير (٢) . |

بيان الذهب التبر المتحصل من جهات فازوغلى إبتداء من ١٥ ربيع
الثانى سنة ١٢٦٣ هـ « ٢ أبريل سنة ١٨٤٧ م » حتى ١٣ جمادى الاولى سنة ١٢٦٣ هـ
« ٢٩ أبريل سنة ١٨٤٧ م » (٣) .

| عدد حبة | |
|---------|---------------------------|
| ١٣٠ | متحصل من جبل السوده |
| ٢٩ | متحصل من جبل فخرنه |
| ١٠٢ | متحصل من جبل قسان |
| ١٤٩ | متحصل من جبل دول |
| ٤١٠ | أربعمائة وعشر حبات لا غير |

(١) محفظة ١٩ بحر برا تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٨٦ بتاريخ ١٥ جماد أول سنة ١٢٦٣ .
(٢) هكذا وردت فى الوثيقة السابقة .
(٣) الوثيقة السابقة .

التنقيب عن الذهب فى جبل شيبون

إشتهر جبل شيبون ، الذى يقع على بعد إثنى عشر ميلا غرب قرية هيان . بتوفر معدن الذهب فيه . وقد زعم توفره هناك الكثير من الأوربيين الذين زاروا تلك الجهات كبروان Browne وبالم Pallme وبتريك Petherick وروسيجير Russegger (١). وعندما زار الإيطالى نيقولا (٢) جهات جبل شيبون أدعى أنه رأى بعينه قطع الذهب متناثرة هنا وهناك ، وأن التجار يتاجرون فيه بطريقة سرية « باستبداله ببعض أشياء يحتاج لها أهالى تلك الجهات (٣) » . وقد كان على زعيم جبل شيبون عندما دخلت بلاده تحت حكم مملكة تولى (٤) أن يرسل سنويا كمية من الذهب إلى حاكم تولى (٥) . وربما كان إستخراج الذهب من جهات جبل شيبون سببا للتنازع بين إقليم تولى والإدارة المصرية فى كردفان (٦) . وقد إشتغل بعض الزنوج بالتنقيب عن الذهب هناك ولكنهم لم يعرفوا قيمته وبالتالى لم يعيروه إهتماما كبيرا بينما عرف الدناقلة ، الذين هاجروا إلى تلك الجهات بغرض التجارة منذ وقت

(1) Bell : SNR Vol. 20. (1937), "Shaibun Gold", pp. 129-30.

(٢) المستر نيقولا مواطن إيطالى تجول فى مصر والسودان وزار الخرطوم وسنار وفازوغل وجبل دول ، كما أنه زار كردفان عدة مرات وتجول فى جهات جبل شيبون . قابل هذا الأوربى الحكمدار خالد خسرو وتحدث إليه عن نتائج رحلاته .

محفظه ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٧٣ بتاريخ ٩ صفر سنة ١٢٦٢ .

(٣) الوثيقة السابقة .

(٤) نشأت مملكة تولى منذ حوالى منتصف القرن السادس عشر فى المرتفعات التى عرفت باسم تولى شمال شرقى جبال النوبة فى الركن الغربى من إقليم كردفان . وقد إحتفظت هذه المملكة بامتقلالها إلى ما بعد الفتح المصرى لكردفان سنة ١٨٢١ بعدة سنوات .

مقار : أحوال السودان الإقتصادية ، ص ٢ .

(5) Bell : SNR Vol. 20 (1937), "Shaibun Gold," P. 128.

(٦) مقار : أحوال السودان الإقتصادية ، ص ٤ .

طويل ، أهمية ذلك المعدن فاهتموا بتنقيبه وجنوا من وراء ذلك أرباحا طائلة (١) .

وقد كان من الطبيعي عندما علم محمد علي من الدفتر دار بوجود معدن الذهب في جبل شيون أن يصدر اليه أوامره العاجلة بأن يهتم بالتنقيب عنه ليعرف ما إذا كان هذا الذهب الحاصل ظاهرا من بطن الجبل في حالة منجم أم ناتجا من غير ذلك كجمعه وتكوينه من فيض ماء السيل عند نزول مياه الأمطار في الجبال التي وراء هذا الجبل وإتيانها منها إلى ولايتنا هذه . فاذا ظهر في بطن الجبل فنطلب أن ننظروا في شأنه وتبتوا في أمره بحسن تدبيركم وأن تعلمونا بالكيفية (٢) .

من الظاهر أن الباشا وحكومته ركزوا معظم جهودهم في البحث عن الذهب في جهات فازوغلي، ولم يعطوا إهتماما كبيرا للتنقيب عنه في جهات جبل شيون إلا في عهد خالد خسرو عندما إتضح جليا فشل كل المحاولات والتجارب المتعددة في البحث عنه في فازوغلي ومنطقة بنى شنقول . وقد قويت آمال خالد في الحصول على الذهب من جهات شيون عندما عرض عليه المستر نيقولا السالف الذكر ثلاث حلقات منه حصل عليها من تلك الجهات فإذا هي — كما جاء في محادثة له مع الأوربي المذكور ، « أحسن ذهب موضوع بين أيدي الناس للتداول وهو جيد مقبول ولونه مطابق ولينه موافق حتى أنني ما رأيت مثله بين جميع الذهب المتداول ولا رأيت مثل لينه (٣) » .

بذل الحكمدار خالد مجهودات كبيرة للبحث عن الذهب في تلك الجهات، فعين حسن حيدر باشا مستولا عن عمليات تنقيبه وطلب منه إعداد

(1) Pallme : Travels in Kordofan, pp. 160-61.

(٢) دفتر ١٠ معيه تركي ، ترجمة المكاتبه رقم ٤٨ بتاريخ ٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .

(٣) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٧٣ بتاريخ ٩ صفر سنة ١٢٦٢ .

ميزانية تمكنه من الإستمرار فى عمليات بحثه وإرسالها للقاهرة للموافقة عليها^(١).
ولكن رغم كل هذه المجهودات كانت النتائج مخيبة للآمال .

على أن محاولات الباشا ورجال حكومته للحصول على الذهب من
منطقتى فازوغلى وجبل شيبون لم تنته بالفشل التام فحسب بل أنها عادت على
الحكومة بالخسارة الفادحة . فقد أنفقت الحكومة مبالغ طائلة لتجهيز الآلات
اللازمة وترحيلها إلى تلك المناطق النائية ولإعداد المهندسين والعمال للبحث
عن ذلك المعدن دون أن تحصل على كميات من الذهب تغطى هذه التكاليف
الباهظة . ولكى تأخذ فكرة عن ضخامة تلك التكاليف يجدر بى أن أذكر
قائمة « الأنفار » والآلات التى اقترح إرسالها إلى فازوغلى المهندس محمد
أبراهيم أفندى الذى إنتدبه خالد خسرو للتنقيب عن الذهب هناك . بعد فحص
عينات الذهب التى قدمها هذا المهندس عند عودته من مأموريته ، وافق
مجلس العموم فى ٧ رمضان سنة ١٢٦٣ « ١٩ أغسطس سنة ١٨٤٧ » على
إرسال معظم هذه القائمة ظنا منه « أن القوائد من ذلك الذهب واضحة وأنها
قابلة للتشغيل »^(٢) .

عدد بيان الأنفار والآلات لتشغيل المعدن بالسودان :

| | |
|----|-------------------------|
| ١٠ | نجار « اوسطه » |
| ٥ | صبيان النجار |
| ٨ | حداد لزوم تشغيل العربات |
| ٤ | حداد دقى |
| ٢ | أوسطه لعمل عربيات |
| ٢ | صبيان « الأوسطه » |
| ٢ | نشارين خشب |

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 83.

(٢) محفظة رقم ٣ أوامر للجهادية ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٥٥ مسلسل بتاريخ ٧ رمضان
سنة ١٢٦٣ .

| | |
|---|------|
| صبيان | ٣٠ |
| براد | ٢ |
| بنائين أوسطه | ٢ |
| عرييات حمارى للتراب | ١٠٠ |
| عرييات يد | ١٠٠ |
| حديد صاج عريض حسب المطلوب | ١٠٠ |
| موازين ذهب صغيرة بسنج من نصف حبه إلى نصف رطل | ٥ |
| شرحه : أكبر مما ذكر مثله من درهم إلى رطل | ١٠ |
| حديد لإحتياج الذهب حسب المطلوب | ٥ |
| أمشاط حديد حسب المطلوب | ١٠٠٠ |
| ناظر مهمات أما يوزباشى أو صاغول يكتب ويحسب ويستلم المحصول | ١ |
| مخزنجى | ١ |
| قبانى لزوم تقبين المهمات وغيرها | ١ |
| لأجل المهمات والأنفار الشغالين | ٢ |
| حكيم وأجزاجى | ٢ |

بعد هذه الخسائر الفادحة التى تعرضت لها الحكومة لم يكن غريبا أن يقف العمل فى معدن الذهب فى عهد خليفة محمد على الوالى عباس باشا الأول « ١٨٤٩ - ١٨٥٤ » (١) .

ولعل السبب الرئيسى لهذا الفشل الذريع هو عدم وجود الذهب بتلك الكميات الكبيرة التى تحدثت عنها التقارير المضللة التى وصلت إلى محمد على . حقا أنه قد وجد شيئا منه فى جهتي فازوغلى وجبل شيبون إلا أنه لم يكن بالكثرة والوفرة التى صورته بها الأنباء التى وصلت للبasha فى مصر . وقد شعر

(١) شيبكه : السودان فى قرن ، ص ٥٧ .

بعض المسئولين بهذه الحقيقة وإعترفوا بعدم جدوى البحث عن الذهب . ففي خلال مناقشات مجلس المشورة الذي عقده خورشيد في ٨ محرم سنة ١٢٥٤ « ٢ غسطس ١٨٢٦ » ، قال كل من حنا الطويل وحسن أغا أن لا فائدة ترجى من وراء التنقيب عن الذهب ، كما قال مصطفى أفندى « فلو أنهم بدلا من أن يذهبوا إلى المنجم مع خمسمائة جندي زرعوا الأراضي للحصول على طعامهم وشرابهم وعمرروا البلاد لكان خيرا لهم ولكان ذلك أحسن منجم » (١) .

ثم أن الطريقة التي إستعملها خبراء ومهندسو الباشا في البحث عن الذهب كانت طريقة بدائية عقيمة . فقد إستخدم العمال الزنوج في حفر الأرض التي اشيع وجود الذهب فيها ومن ثم غربلة التبر مستخدمين غرايل كبيرة (٢) . ولا شك أن مثل هذه الطريقة البدائية لن تعود بفائدة كبيرة ولن يتحصل عن طريقها الا على كميات قليلة جدا من الذهب .

وربما كان العداء السافر الذي لاقته بعثات التنقيب من الأهالي في مناطق الذهب سببا آخر لفشل الباشا في الحصول على الذهب في السودان . فعندما وصلت بعثتي روسيجير وبورياني إلى جهات بني شنقول ، احتشد الأهالي قاصدين حرب وقتال هؤلاء الأجانب . وبالفعل فقد دارت عدة معارك بين الجانبين أظهر فيها الأهالي قوة وشجاعة نادرة ، إلا أنهم لم يستطيعوا الصمود أمام المدافع والأسلحة النارية ، فقتل وجرح منهم الكثيرون مما إضطرتهم في النهاية إلى الانسحاب (٣) . وقد إمتنع الأهالي عن التعاون مع البعثة التي تركها محمد علي بعد رحلته للإستمرار في التنقيب عن الذهب ورفضوا إرشادها إلى مناطق الذهب ، كما أنهم غافلوا رجالها أحيانا وهجموا

(١) شكرى : الحكم المصرى في السودان ، ص ٣٣٥ .

(٢) روى لي المرحوم الشيخ الخليفة الحسن من أهالي الدويم أنه شاهد الزنوج في جهات بني شنقول يستخدمون هذه الطريقة البدائية في التنقيب عن الذهب عند زيارته لتلك الجهات سنة ١٣٠٩ (١٨٩١ - ١٨٩٢) بقصد التجارة .

(٣) محفظة رقم ٢٦٥ عابدين ، ملف حكمدار السودان ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٨ بتاريخ ٢٢ محرم ١٢٥٤ .

عليهم في معسكراتهم (١) . أما الأهالي حول جبل دول فكثيرا ما أظهروا عداوتهم لبعثات الحكومة حتى أن قوات الحكومة اضطرت أحيانا لمهاجمتهم (٢) . بل أنه على الرغم من ولاء « كومه » ملك جبل دول وأتباعه للحكومة . فقد رأى اللواء سليم مدير سنار وفازوغلى عدم تكليفهم بتوريد الذهب خوفاً من أن يقطعوا ، كما قال المدير المذكور في رسالة بعثها إلى الجناب العالى « صلة إختلاطهم بنا نهائيا » (٣) . وفى خلال محاولات المنكلى للبحث عن الذهب فى جبل « جرور » ، ثار الأهالي وأظهروا عداوتهم مما اضطرت المنكلى لإرسال جماعة من جنوده هزمت فى بادىء الأمر الا أنها تمكنت أخيرا من إخضاع الثوار لسلطان الحكومة (٤) .

وبما أن المصريين كرهوا العمل بالسودان عامة وبالجهات النائية منه كجبل شيبون وجهات فازوغلى خاصة التى تهرب بعضهم من العمل فيها بدعوى المرض وفر آخرون فى الطريق قبل الوصول اليها (٥) ، فلم يكن من المتوقع أن يخلص الذين إندبوا للعمل فى التنقيب عن الذهب . فقد كان خير الدين بك الذى عين لإدارة المعدن فى جهات فازوغلى بعد عودة الباشا منها راغبا عن العمل هناك ، ولذلك لم يخلص فى المهمة التى أوكلت اليه ولم يتفان فى اداء واجبه بل أنه رفض التعاون مع المهندسين والمعدنجيه الأفرنج وجاهر بعداوتهم لظنه أنهم سبب طول غيابه عن بلاده (٦) . ولم يجد هؤلاء المهندسون أيضا المعاونة والمؤازرة من العساكر المسئولين عن حراستهم إذ أنهم ربما إعتقدوا أن بقاءهم فى تلك الأماكن ليس الا رمزا وأن أعمالهم

(١) الطهطاوى : مناهج الالباب ، ص ٢٦١ .

(٢) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة ٦٨ بتاريخ ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٦١ .

(٣) الوثيقة السابقة .

(٤) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٦٠ بتاريخ ٧ محرم سنة ١٢٦١ .

(٥) دفتر ٩٢ / ٥١٧ ديوان الخديوى عربى وارد ج ١ ، الوثيقة رقم ٤ ص ١٥٢ بتاريخ

٢٥ صفر سنة ١٢٦١ .

(٦) الطهطاوى : مناهج الالباب ، ص ٢٦٠ .

لسيت الا أعمالا صوريه فقط (١) . ثم أن كثيرا من عرب الشايقية والزنوج السودانيين الذين كلفوا بالعمل فى التنقيب عن الذهب أظهروا عدم رغبتهم فى هذه الخدمة وفر بعضهم للخلاص منها . ففى عام ١٢٦١ « ١٨٤٥ » مثلا هرب من العمل بجبل دول ثلاثة أنفار من الشايقية فصدرت الأوامر لمدير دنقلا وبربر بالبحث عنهم فى مديريته (٢) .

وفى كثير من الأحيان تعرضت البعثات التى كلفت بالتنقيب عن الذهب فى السودان إلى نقص حاد فى المؤن والزاد وذلك لهروب الأهالى من بلادهم ورفضهم إمداد تلك البعثات بما تحتاج اليه من المؤن من جهة (٣) وللآفات المختلفة كالجراد التى تعرضت لها مناطق الذهب من جهة أخرى . فلاحداد الضرر اللازمة للعساكر الذين قرر المنكلى بقاءهم للتنقيب عن الذهب فى جبل دول ، اضطرت المنظم إلى غزو جبال « برته » حيث أحضر من هناك ألف أردب ذره ، كما أنه أخذ تعهدا من ادريس ودعلان شيخ جبال الفونج وأبو روف شيخ رفاعة الهوى بنقل الذرة اللازمة لهم . أما المهمات الأخرى كالسمن والأرز والملح والبقسمات فقد طلبها المنكلى لهم من الخرطوم (٤) . وعندما تأخر مدير الخرطوم فى إرسال تلك المهمات أمره محمد على بالإسراع بها وهدده ان تباطأ فى هذه المهمة بقوله : « أيها الخنزير أن عملك هذا غباوة وقلة أدب . أن أحمد باشا لا يطلب منك أن تعمل من أجله أى شىء وإنما نحن أصحاب المصلحة فى هذا الأمر وسواه لا أحمد باشا . أعلم أننا أوفدنا اليك القواسى حسين المنلا فإذا كنت بحكم قلة أدبك لم ترسل هذه المواد والأشياء حتى الآن عليك بإرسالها فى الحال وأوفنى مع القواسى بخبر إرسالها والافتأكد إننا سنحققك هناك وإياك ثم إياك معاندة أمر

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(٢) دفتر ١ / ٢٤٥٣ مديرية بربر والجميلين عربى وارد ، الأمر ٣٧٣ ص ٢٦ بتاريخ ٤ جماد الثانى سنة ١٢٦١ .

(٣) الطهطاوى : مناهج الالباب ، ص ٢٥٣ .

(٤) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٦٢ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٦١ .

أحمد باشا فلا بد من إطاعة أوامره جميعا » (١) . وقد تعرضت بعثات محمد على أيضا لنقص حاد في الذخيرة مما كان له أسوأ الأثر في تفشى الخوف والقلق بين صفوف رجالها حتى أن كثيرين منهم تمنوا الرجوع إلى بلادهم (٢) وعدم ملاءمة الطقس في مناطق الذهب لرجال البعثات التي كلفت بالبحث عنه وإنتشار الأمراض المتعددة كان من أهم الصعوبات التي واجهت تلك البعثات وعطلت أعمالها . فبسبب الملاريا مثلا فقدت البعثة التي تركها محمد على عقب زيارته للسودان رجلا من أهم رجالها وخيرا من خيرة خبرائها هو المسيو ليفبره (٣) .

(١) دفتر ٣٧٨ معه تركى ، ترجمة الوثيقة ١٠٢٣ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٦١ .

(٢) الطهطاوى : مناهج الالباب ، ص ٢٥٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

التنقيب عن المعادن الأخرى في السودان في عهد محمد علي

إشتهرت كردفان بوفرة معدن الحديد الذي إستفاد منه الأهالي في صنع أدواتهم المنزلية وآلاتهم الزراعية ولصنع رؤوس الرماح على الرغم من الطرق البدائية التي إتبعوها لصهره (١) . ولقد كان من الطبيعي عندما سمع الباشا بوجود « مناجم الحديد بوفرة وجسامة في كردفان وإن النوع الجيد من الحديد يستخرج من هنالك (٢) » أن يصدر أوامره العاجلة إلى الدفتردار بأن يتحقق من الأماكن « التي يوجد فيها جوهر المعدن المذكور قويا وبمقادير وافيه مباركة (٣) » وأن يدبر ويهيئ « الأسباب اللازمة التي تستوجبها سهولة إستخراجه وصوغه (٤) » . ومن ناحيته فقد تعهد الباشا بإرسال العمال المتخصصين الحاذقين المهرة إلى كردفان لبناء الأفران اللازمة هناك لإذابة وصب ذلك المعدن (٥) .

ولاشك أن محمد علي كان محققا في كل هذا الإهتمام باستخراج الحديد من كردفان لإنعدامه في مصر التي إستوردت كل الكميات التي إحتاجت لها منه من الخارج . ويبدو أن الباشا كان متفائلا غاية التفاؤل في الحصول على كميات وافرة من ذلك المعدن ، حتى أنه عندما علم بوجوده في كردفان أمر الدفتردار بإرسال خمسمائة قنطار منه إلى مصر (٦) .

وقد قويت آمال الباشا بصفة خاصة في الحصول على ذلك المعدن

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 57.

(٢) دفتر ١٠ معه تركي ، ترجمة المكاتب رقم ٢٤ بتاريخ ٣ صفر سنة ١٢٣٧ .

(٣) الوثيقة السابقة .

(٤) الوثيقة السابقة .

(٥) الوثيقة السابقة .

(6) Hill : Egypt in the Sudan, P. 57.

عندما علم أن الحكمدار خورشيد نجح في سنة ١٨٢٨ - ١٨٢٩ في صنع المسامير منه ، فأرسل بعثة للبحث عنه في كردفان مكونة من ثمانية مهندسين بريطانيين وبعض الصناع المصريين من حدادين وفرانين برئاسة المعاون أحمد أفندي يوسف الذي عين ناظرا لمصنع الحديد المؤمل لإنشاؤه هناك . وعلى الرغم من أن الباشا خصص بعض أطباء الجيش لمعالجة أفراد تلك البعثة ، إلا أن المهندسين الأوربيين لم يتحملوا طقس تلك البلاد فمات منهم ستة مرة واحدة (١) . ولا شك أن فقدهم كان ضربة قاضية على البعثة عطل أعمالها وكان من أهم أسباب فشلها . ولما كان من الصعب استمرار العمل بالمهندسين اللذين تبقياً ، فقد أصدر الباشا أوامره إلى أحمد أفندي يوسف بارجاعهما إلى القاهرة مع « جميع الآلات والأدوات وسائر المهمات التي أرسلت إلى ذلك الطرف قبلا من مصر » (٢) .

بعد أن منيت تلك البعثة بالفشل التام الذريع ، لم نسمع عن أى محاولات لاستغلال معدن الحديد في كردفان إلا في سنة ١٨٣٨ عندما أرسل روسيجير على رأس بعثة رسمية إلى كردفان ، كما أرسل لامبرت في سنة ١٨٣٩ لنفس الغرض (٣) . وفي سنة ١٨٤٧ أرسلت الحكومة المصرية القائمقام يوسف أفندي من ضباط الجهادية مع المهندس «قولونل» للبحث عن الحديد في كردفان (٤) . وعندما فشل الرحالة جون بريك في التنقيب عن الفحم في صعيد مصر وبعض جبال البحر الأحمر في الصحراء الشرقية ، أرسله محمد علي سنة ١٨٤٧ إلى كردفان للتنقيب عن الحديد وإستخراجه بالوسائل الحديثة . وبالفعل سافر ذلك الرحالة إلى كردفان وبدأ في المهمة التي أوكلت إليه ،

(١) دفتر ٣٨ صادر المعية السنية . ملخص الوثيقة التركية رقم ٣١٥ بتاريخ ٢٣ ربيع الأول سنة ١٢٤٥ .

(٢) دفتر رقم ٧٥٧ ديوان الخديوى تركى ، وثيقة رقم ٣٠٥ بتاريخ ١١ رجب سنة ١٢٤٦ .
(3) Hill : Egypt in the Sudan, P. 57.

(٤) دفتر ١٩/٣١ معية سنية عربى صادر ، الأمر الكريم رقم ٣٠٤ ص ٣٤ بتاريخ ٧ صفر سنة ١٢٦٤ .

غير أنه ترك خدمة الحكومة واشتغل بالتجارة بعد وفاه محمد علي سنة ١٨٤٩ (١) . وفي عام ١٨٤٨ أرسل إبراهيم أفندي مع مهندس إنجليزي وإثنين من اللغمجية للكشف عن معدن الحديد في كردفان (٢) ، إلا أن الأوامر صدرت لهم بوقف العمل والعودة فوراً إلى القاهرة عندما إتضح أن الحديد المتحصل عليه لم يغط تكاليف إستخراجه (٣) .

وهكذا فشل الباشا في الحصول على الذهب من السودان فقد فشل أيضاً في استغلال حديد كردفان وذلك لعدم توفر الخبراء والفنيين ولصعوبة المواصلات مما جعل تكاليف إستخراجه أكثر من قيمة الكميات القليلة التي حصل عليها منه .

النحاس : إشتهرت المنطقة في جنوب دارفور المعروفة باسم « حفرة النحاس » بوفرة معدن النحاس فيها . وبما أنها كانت خارجة عن نفوذ حكومة محمد علي وواقعة بالقرب من ممتلكات سلطان دارفور ، فقد أرسل الباشا أحمد بك ، أحد مماليكه ، إلى دارفور للإتفاق مع سلطانها في إستخراج ذلك المعدن من هناك (٤) . إلا أن الباشا لم ينجح في الحصول على النحاس من تلك المنطقة .

وفي خلال إقامة الباشا في الخرطوم في طريقه إلى فازوغلي سمع عن وجود الفضة والنحاس في جبل مويه ، ثمانية فراسخ جنوبى غرب سنار ، فأرسل المعدنجى المسيو ليفيره لإختبار تلك المعادن هناك ، وأمر كل من بورياني ودارنو للحاق به ولكنهم عادوا جميعاً دون أن يجدوا أى أثر لها (٥) .

(١) مقار : الرحالة جون بتريك ، ص ٢ .

(٢) دفتر ١٤ / ٢٥ معيه سنه عربى وارد ، وثيقة رقم ٣٤١ ص ٦٤ بتاريخ ٥ ذى القعدة سنة ١٢٦٤ .

(٣) دفتر رقم ٢٢/٣٧ ديوان المعيه السنه عربى صادر ، الوثيقة رقم ٢ ص ٧٩ بتاريخ ٢٤ ذى القعدة سنة ١٢٦٤ .

(٤) دفتر صادر المعيه رقم ٦٠ ، وثيقة رقم ٢١١ بتاريخ غرة رجب سنة ١٢٣٧ .

(٥) الطهطارى : مناقب البابا ، ص ٢٥٦ - ٥٧ .

الرخام : حاول المسؤولون فى السودان إستخراج الرخام من منطقة
وادی حلفا (١) ومن جهات بربر التى قيل إنها « غنية بالرخام من النوع
الأجود ذى اللون الأبيض الناصع (٢) » ، الا أن هذه المحاولات لم تأت
بفائدة كبيرة .

(١) دفتر ٥٧ معیه ترکی ، ترجمة الأمر ١٧٨ بتاريخ ٢١ صفر سنة ١٢٥٠ .
(٢) دفتر ٦٢ معیه ترکی ، ترجمة الأمر رقم ٨٨ بتاريخ ١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٥٠ هـ .

الفصل الخامس

محمد علي والتجارة في واردات السودان

محمد على والتجارة في واردات السودان

الزراعة :

لم يهتم السودانيون بتطوير الزراعة قبل الفتح المصرى لقلة إحتياجاتهم التى تمكنوا من الحصول عليها بقليل من الجهد من جهة ، ولإنشغالهم بالحروب والمنازعات القبلية من جهة أخرى (١) . وقد كان من الطبيعى عندما إستولى محمد على على شئون السودان أن يبذل مجهودا كبيرا لتطوير الزراعة ، إذ أن إستغلال منتجات السودان الزراعية كان أحد أسباب فتحه للبلاد .

فعندما استتب الأمن والنظام وعادت الأحوال إلى مجاريها الطبيعية بعد حملات الدفتردار الإنتقامية ، بدأ الباشا فى إتخاذ خطوات جادة لتطوير الزراعة وتحسين المنتجات الزراعية فى السودان ، فأرسل مع خورشيد اغا ما ينوف على المائة من الفلاحين والخوليه المصريين ليوزعوا على الجهات المختلفة ، وليدخلوا وسائل الزراعة الحديثة ، ويعلموا الأهالى أحسن الطرق وأنفعها لتطوير الزراعة فى ربوع البلاد (٢) . ويجانب هؤلاء الخبراء الذين أمر الباشا بارسالهم ، فقد تطوع بعض الفلاحين المصريين بالذهاب إلى السودان للعمل على تطوير الزراعة هناك . فبعد أن تأكد خمسة من شيوخ صعيد مصر ، الشيخ منصور والشيخ أحمد عامر والشيخ الرفاعى والشيخ سيد محمد من المنصوره والشيخ عبد الله قرطام من القليوبيه ، من خصوبة الأراضى فى إقليم بربر بحيث « أن أراضى الإقليم المذكور لا تقاس على سائر الأقاليم أحسن من غيرها بحيث أن فدانا منها ينتج نيله أكثر مما تنتجه أربعة أفدنة من أطيان مصر ، وأنه إذا أنشئت هناك قناطر وجسور يودى ذلك بدون تضرر

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 49.

(٢) شبيكه : السودان فى قرن ، ص ٤٠ .

إلى حصول منافع جمة من زراعة الأصناف (١) ، طلبوا السماح لهم بالذهاب إلى هناك للمساهمة فى تطوير الزراعة . ولعل هؤلاء قد أرادوا الحضور إلى السودان على نفقتهم الخاصة لا حبا فيه وفى أهله وإنما ليتفادوا الضرائب فى مصر ، ولذلك فإن الباشا لم يسمح لهم بمغادرة مصر إلا بعد إجراء تحقيق دقيق يعرف بمقتضاه « مقدار الأقطان التى عليهم زراعتها ومقدار الأصناف التى يزرعونها وهل فى ذممهم بواقي مطلوبات إمبرية أو أخرى أم لا وإذا كانت فى ذممهم بواقي فما مقدارها » (٢) .

وقد إستعملت حكومة الباشا فى السودان فى بعض الأحيان القوة لإرغام الأهالى على الإهتمام بفلاحة الأرض . فعندما فر أهالى قرية « العوضيه » إلى الجبال تاركين أراضيهم هجم عليهم عثمان بك جركس فهزمهم هزيمة نكراء اضطروا بعدها إلى التزول من جبالهم ولم يتركهم الا بعد أن تعهدوا « بإقامة السواقي وإصلاح الأراضي (٣) » ، كما أجبر المزارعون فى سنة ١٨٢٦ على زراعة النيل على شواطئ النيل . وقد استثنى الشايقية الذين زرعوا أراضي الجعليين فى شندى والبدلاب فى الحلفاية من هذا القرار لأنهم كثيرا ما تركوا أراضيهم وذهبوا بعيدا عن النيل فى غزوات لصيد العبيد أو لحفظ الأمن (٤) .

وبجانب التحسين والتوسع فى زراعة المحاصيل الزراعية المعروفة فى السودان كالقمح والذره والشعير ، فقد إهتمت حكومة الباشا بإدخال محاصيل جديدة فى السودان . فعندما ازداد الطلب على النيله لإستعمالها فى صباغة الملابس وفى صناعة المنسوجات أدخلت حكومة الباشا زراعتها سنة ١٨٢٦ على شواطئ النيل (٥) ، كما أدخلت زراعة الأفيون . وفى دنقلا أدخلت

(١) دفتر ٧٦٠ ديوان الخديوى ، ترجمة القرار ٣٧٦ بتاريخ ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٤٥ .

(٢) الوثيقة السابقة .

(٣) دفتر رقم ١٦ معه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٤٢٠ بتاريخ ١٣ ربيع الاخر سنة ١٢٤٠
(4) Hill: Egypt in the Sudan, P. 55.

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٤ - ٥٥ .

زراعة قصب السكر (١) والأرز والقنب والتوت (٢) . وقد أدخل المصريون أيضا زراعة أنواع مختلفة من الفواكه كالليمون والعنب والتين وأرسلت أول أنواع منها في سنة ١٨٣٣ بناء على طلب الحكمدار خورشيد (٣) .

لتأمين الإنتاج الزراعي رأى خورشيد ضرورة اعتماد الزراعة في السودان على الري المستديم لا على الأمطار كما كان معروفا آنذاك ، وإقترح إنشاء سواقي عسلى نمط السواقي المصرية لري الزراعة في إقليمى بربر والجعلين (٤) . وقد وافق الباشا على هذا الاقتراح فأرسل في سنة ١٨٢٦ «نجارين وبنائين وحافري الآبار لتعليم الأهالى صناعة إنشاء السواقي (٥)» . وقد إهتم عاهل مصر أيضا بحضر الترع والجسور فأرسل مثلا في سنة ١٨٣٠ مهندسين وألف فأس لشق القنوات وتنظيفها في مديرية بربر والجعلين (٦) .

وللمحافظة على محاصيل البلاد إهتمت الحكومة بمحاربة الآفات التى تعرضت لها الزراعة كالجراد الذى كثيرا ما أثر على الإنتاج الزراعى في السودان فهلك مثلا في سنة ١٢٤٣ و ١٨٢٧ - ١٨٢٨ ، كل محصول النبارى في مائة وخمسين ساقية في قسم سكوت والمحس التابع لدنقلا (٧) . وعندما علم ديوان الخديوى بخطر الجراد في بربر أصدر أوامره إلى حاكم قنا واسنا بأن يحذر المسئولين في وادى حلفا من هذا الخطر ليعملوا على محاربته بوضع بعض الجنود الباشبوزق جنوبى المدينة ليخيفوه فيغير إتجاهه. أما إذا وصل الجراد إلى محطات الجنود فما عليهم الا أن يحفروا حفرا في

(١) دفتر ٧٦٠ ديوان الخديوى ، ترجمة القرار رقم ٣٨٠ بتاريخ ٤ جماد أول سنة ١٢٤٥ .

(٢) الوقائع المصرية ، العدد ١٣١ بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٢٤٥ .

(٣) Hill: Egypt in the Sudan, P. 53-54.

(٤) دفتر ٢٠ معيه تركى ، ملخص ترجمة الأمر رقم ٤٢١ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٤٢ .

(٥) دفتر ٢٦ معيه تركى ، ملخص المكاتب التركية رقم ١٠٠ بتاريخ ١٩ رجب سنة ١٢٤٢ .

(٦) الوقائع المصرية ، العدد ١٣٢ بتاريخ ٢٧ رجب سنة ١٢٤٦ .

(٧) دفتر رقم ٧٤٣ ديوان الخديوى تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١١٩ بتاريخ ١٢ رجب

سنة ١٢٤٣ .

طريقه ويحرقوها مما سيؤدي إلى القضاء على هذا الخطر (١) . وفي كردفان صدرت الأوامر لعساكر الحكومة هناك « بأن يبادروا بمعاونة الأهليين في الهجوم على الجراد وإبادته كلما أحسوا مجيئه وان يبذلوا جهدهم لحفظ المديرية وصيانتها من الضرر (٢) » .

المواشى :

لم يكن من المستغرب أن يهتم الباشا بالماشية السودانية إذ أن مصر كانت فى أمس الحاجة للثيران السودانية للإستعانة بها فى الزراعة « كتدوير السواقي (٣) » وحرث الأرض ولإستخدامها كقوة محركة رخيصة التكاليف (٤) . وقد إستعان بها الباشا أيضاً فى بعض الإصلاحات الداخلية الأخرى ، فهو قد أمر ناظر المواشى بارسال أربعة وعشرين رأساً منها لإستخدامها فى « تجربة الماكينة الخاصة بالطين فى ترعة المحمودية (٥) » . أما الجمال السودانية فقد ازدادت حاجة الباشا لها أثناء حروبه الصحراوية ضد الوهابيين فى الجزيرة العربية لنقل المؤن والعنادر لجنوده هناك (٦) ، كما إحتاج أيضاً للخيول السودانية لإستخدامها فى سلاح الفرسان .

هذا وقد حصل الباشا ورجاله على الماشية السودانية بثلاث طرق أولها الغزوات التى أرسلت لصيد العبيد فى فازوغلى وجبال النوبة (٧) ولإخضاع القبائل المتمردة على الحكومة . فبعد غزوة ناجحة أرسلها إسماعيل باشا لإخضاع قبيلة الشكرية ، تعهد زعمائها بدفع ستة آلاف جمل وخمسمائة

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 55.

(٢) مقار : الرحالة بالم ، ص ٦١ - نقلا عن دفتر ٣٩٩ صادر ديوان الملكيه . وثيقة رقم ٦٢ بتاريخ ٢٤ رمضان سنة ١٢٦١ .

(٣) دفتر ٨٩ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ١٤٦ بتاريخ ١٦ صفر سنة ١٢٥٣ .

(4) Hill: Egypt in the Sudan, 55.

(٥) دفتر ٣٩ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٩٧ بتاريخ ٢٠٦ رجب سنة ١٢٤٤ .

(٦) دفتر ٥٨ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٢٢٦ بتاريخ ٢٥ ربيع الآخر سنة ١٢٤٩ .

(7) Hill : Egypt in the Sudan, P. 55.

شاة للحكومة (١) . وعندما تمرد سكان المناطق القريبة من الزيداب وإحتموا بالجبال ، وجه عثمان بك جر كس ، الذى كان سائرا آنذاك فى طريقه من مصر إلى سنار ، حملة عليهم لإجبرهم بعدها على النزول من الجبال وإستولى بعض ماشيتهم (٢) ، كما غزا مصطفى اغا فى سنة ١٨٢٨ جماعة من عربان كردفان وإستولى على كمية من أبقارهم (٣) .

وقد حصل الباشا على بعض الماشية السودانية بشرائها من أصحابها . فمن إستعراض بعض الرسائل التى بعثها لموظفيه يتضح لنا أنه درج على إرسال بعض رجاله من مصر إلى سنار وكردفان خصيصا لشراء الماشية السودانية . ففى رسالة الى مدير أسيوط قال الباشا : « سيسافر حامل أمرى القواسى إسماعيل الاردنلى إلى سنار لإشتراء المواشى ومعه القواسى محمد فاذا وصلا اليكم فاصرفوا لهما مبلغ مائة وخمسين كيسا من خزينة مديرية أسيوط وخذوا منهما إيصالا جريا على الأصول (٤) » . وفى نفس الرسالة أمر المدير المذكور بصرف مائة وخمسين كيسا لدرويش اغا الكللى ومبلغ آخر غير محدد لعارف محمد أفندى المنتدبين لشراء المواشى السودانية (٥) .

وبجانب الرجال الذين أرسلهم الباشا بنفسه فقد حرص أيضا على الإتصال بشيوخ مصر ليرسلوا من جانبهم رجالا يثقون فيهم لشراء المواشى من سنار وكردفان وإرسالها لمصر لتباع هناك للحكومة وغيرها بأى ثمن يريدون بيعها به . وبالفعل فقد وجه الباشا كل من حسين اغا مدير نصف الوجه القبلى ومحرم اغا مدير الوجه القبلى الشمالى بالاتصال بالشيوخ فى هذا

-
- (١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٤٧ بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١٢٣٧ .
(٢) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٤٢٠ بتاريخ ١٣ ربيع الآخر سنة ١٢٤٠ .
(٣) دفتر رقم ٢٦ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٢٧٣ بتاريخ ٢٠ رمضان سنة ١٢٤٣ .
(٤) دفتر رقم ٨٠ معيه تركى ، ملخص الوثيقة رقم ٦٨٠ بتاريخ ٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٥٢ .
(٥) نفس الوثيقة .

الصدد ومدهم بالمال إن احتاجوا اليه على أن يخصم ما أخذوه من « أصل الثمن عند بيع الجمال للحكومة (١) » ، كما أمر المسئولين في مصر والسودان بتقديم كل المساعدات اللازمة لاؤلئك الرجال الموقدين إلى سنار وكردفان في هذه المهمة الهامة العاجلة (٢) . ولتسهيل مهمتهم هناك طلب الباشا من المسئولين جمع كل الحيوانات المراد بيعها مهما كان عددها في منطقة واحدة (٣) .

وقد حققت هذه الإتصالات التي قام بها المديران المذكوران بعض النجاح إذ التزم الشيوخ بارسال بعض رجالهم لشراء الماشية من سنار وكردفان ، فارسلوا مثلا في سنة ١٨٣٣ وفدا برأس مال قدره مائة وأربعة وستين ألفا وخمسمائة قرش دفع الشيوخ منها خمسة وثمانون ألفا وخمسمائة قرش والباقي دفعته الحكومة (٤) .

ويجانب الغزو والشراء فقد أخذت الحكومة في بعض الأحيان الماشية من الأهالي بدلا عن الضرائب إذا عجزوا عن دفعها نقدا باعتبار قيمة الثور الكبير خمسة وثلاثين قرشا (٥) . فقد كان على البقارة مثلا أن يدفعوا ضريبة مقدارها إثني عشر ألف ثور (٦) .

وقد ظهر إهتمام الباشا باستيراد أكبر قدر من الماشية السودانية من الرسائل التي بعث بها إلى المسئولين في السودان . فهو قد طلب من الدفتردار إرسال ألفي جمل ومائتي جاموسة إلى حاكم دنقلا ليقوم بدوره بإرسالها إلى اسوان (٧) ، كما أنه أمر في سنة ١٨٢٦ كل من سليمان بك المعين

(١) دفتر ٥٨٠ معيه تركي . ترجمة الأمر ٢٠٩ بتاريخ ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٢٤٩ .

(٢) الوثيقة السابقة .

(٣) دفتر ٨٠٨ معيه تركي ، ترجمة الأمر ٢١٣ بتاريخ ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٢٤٩ .

(٤) الوثيقة السابقة .

(5) Pallme : Travels in Kordofan, P. 37.

(٦) المصدر السابق ، ص ١١٨ .

(٧) دفتر ١٠ معيه تركي ، ترجمة الوثيقة رقم ١٨١ بتاريخ ٩ شوال سنة ١٢٣٧ .

على كردفان ومحو بك والحكمدار خورشيد بارسال أربعة آلاف ثور (١) .
وأربعة الاف جمل (٢) وخمسة وعشرين ألف راس من الماشية على التوالي .
غير أن خورشيد إعتذر عن إرسال هذه الكمية من المواشى إذ أن أخذها من
الأهالى سيضطربهم إلى ترك أراضيهم مما سيؤثر على إقتصاديات البلاد ، كما
أن الحكومة لم تعد المحطات ولم تجهز العلف اللازم لها خلال رحلتها الطويلة (٣) .
ولتميز مواشى الحكومة عن غيرها ولضمان عدم التلاعب فيها ، أرسل الباشا
خمسة وعشرين ختما كل واحد منها بحجم الريال الفرنسى خمسة عشر
منها لرستم باشا حاكم كردفان والعشرة الباقية لخورشيد باشا ليختتموا بها
الحيوانات المرسلة من مناطقهم إلى مصر .

وقد إتخذ الباشا عدة تدابير للاعتناء بالمواشى خلال رحلتها الطويلة
إلى مصر فهو قد أرسل الرسالة تلو الأخرى للمستولين فى السودان يحثهم
فيها على إعداد العلف اللازم لها كالتبن والبوص (٤) . فقد كلف قاسم اغا
حاكم دنقلا « بترتيب ذرة كافية للحيوانات التى تقرر إحضارها من كردفان
بواسطة الأمير لاي الأول سليمان بك والإعتناء بعدم هلاكهم وإيصالهم سالمين
من دنقله إلى وادى حلفا (٥) » . وصدرت الأوامر لحاكم بربر « بصرف
العليق اللازم للأبقار الواردة من طرف الأمير لاي سليمان بك بواسطة قاسم
اغا إلى حاكم دنقله والعناية بها لوصولها سالمة (٦) » . وفوق هذا كله فقد

(١) دفتر ٢٠ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٣٨١ بتاريخ ٢١ شوال سنة ١٢٤١ .

(٢) دفتر ٢٤ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٣١٢ بتاريخ ٢٨ شوال سنة ١٢٤١ .

(٣) Hill : Egypt in the Sudan, P. 56.

(٤) درج بغضن المستولين على شراء العلف اللازم لتلك المواشى من شيوخ وأهالى البلاد ،
فمن رسالة إلى مختار بك نعرف أن محرم اغا إتصل بحكام أخطاط قسم حلفا « واتفق
معهم على أن يكون ثمن حملة التبن باعتماد أنها مائتا أقة أربعة قروش ونصف وحملة
البوص بقرشين ونصف . »

دفتر ٧١ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٤٦ بتاريخ ١٩ ذى الحجة سنة ١٢٥١ .

(٥) دفتر ٢٤ معيه تركى ، ملخص ترجمة الوثيقة رقم ٢٨٦ بتاريخ ٢٢ شوال سنة ١٢٤٤ .

(٦) دفتر ٢٠ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٣٩٠ بتاريخ ٢٢ شوال سنة ١٢٤٤ .

حث الباشا المسئولين على إرسال المواشى فى فصل الخريف حتى يضمن وجود العلف الكافى لها (١) .

ولضمان سلامة تلك المواشى وتقادى هلاكها فى الطريق ، أمر الباشا أيضا بأن تسير لمدة ثلاث ساعات أو أربع على الأكثر فى اليوم الواحد وأن ترسل على دفعات متعددة تتكون الواحدة منها من حوالى مائتين وخمسين رأسا فقط ، وتبعث كل واحدة منها قبل الأخرى بيومين لكى « لا يزدحم بعضها على بعض حتى لا يصيبها أذى ونصب من جراء ذلك » (٢) . أما المواشى التى تعرضت لأظلافها للهلاك خلال هذه الرحلة الطويلة فقد أمر الباشا بكسوها بأكياس خاصة صنعت من « الليف » (٣) .

لم يكتف الباشا بالأوامر التى أصدرها للمسئولين للعناية بتلك المواشى بل أنه عين مأمورا مستقلا ليكون مسئولاً عن الإشراف عليها والعناية بها حتى تصل إلى مصر (٤) ، وليراقب الموظفين المكلفين باحضارها ويرسل تقارير منتظمة عن المقصرين والمهملين منهم ليعاقبوا عقابا رادعا (٥) . وقد إهتم الباشا أيضا بصحة تلك المواشى فأرسل الأطباء البطريين إلى المناطق التى جلبت منها للكشف عليها والتأكد من سلامة صحتها على أن يرجعوا منها فورا « مالا يصلح للأغراض التى تجلب من أجلها » (٦) ، كما طلب من الدكتور « آمون » وضع اسس ثابتة للمحافظة على صحتها (٧) . ولضمان سلامتها

(١) دفتر ٧٤ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٣١٢ بتاريخ ٢٨ شوال سنة ١٢٤١ .

(٢) دفتر رقم ٧٤٣ خديوى تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٩٤ بتاريخ ٢٠ جمادى الآخر سنة ١٢٤٣ .

(٣) دفتر ٨٤ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٠٩ بتاريخ ١٤ صفر سنة ١٢٥٣ .

(٤) دفتر ٧٤٤ ديوان الخديوى تركى ، ترجمة الأمر ٢١٤ بتاريخ ٢٦ ذى القعدة سنة ١٢٤٣ .
فى سنة ١٨٢٨ حين على اغا ليكون مسئولاً عن تلك المواشى .

(٥) دفتر ٦٨ معيه تركى ، ترجمة الأمر ١٦٠ بتاريخ ٦ جمادى الآخر سنة ١٢٥١ .

(٦) دفتر ٧٩ معيه تركى ، ترجمة الامر ٧٧٧ بتاريخ ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٥٢ .

(٧) دفتر ٨٩ معيه تركى ، ترجمة الأمر ١٤٦ بتاريخ ١٦ صفر سنة ١٢٥٣ .

أعدت حكومة الباشا خمسا وتسعين محطة مبتدئة بالترعة الخضراء على النيل الأبيض ومنتھية بأسوان (١) .

وكما إهتم الباشا بتلك المواشى خلال رحلتها لمصر ، فقد حرص أيضا على الإعتناء بها عند وصولها هناك . فهو قد أمر محمد أفندى مأمور اسنا بترتيب العلف الكافى لها (٢) كما وجه مختار بك مدير الوسطى والوجه القبلى بامدادها بعشرين ألف أردب ذرة (٣) . وعندما علم الباشا ان كثيرا من الأبل تموت بعد وصولها إلى مصر لعدم ملائمة الجو لها ، أصدر أوامره إلى مختار بك باختيار رعاة من مواطنى مديريته ليرعوها هناك حتى تتأقلم على الجو الجديد وبالتالي تقل نسبة هلاكها (٤) . وقد أمر الباشا كافة مديرى الوجه القبلى أن يعزلوا المواشى الضعيفة التى تمر بمديرياتهم « عن قطعها ويسلموها إلى شيخ المنطقة التى هى فيها أو ناظر القسم للاعتناء بها لإعتناء تاما حتى تتحسن حالتها وتسترد نشاطها وقوتها وتصبح قادرة على المشى وعندئذ يرسلوها إلى محلها ثانية (٥) » . ولتشجيع المسئولين بالمحافظة على الإبل خاصة ، خصص الباشا شيئا من النقود لكل من أتى بجمل سليم الجسم إلى مصر (٦) .

إلا أنه على الرغم من كل هذه الترتيبات التى إتخذها الباشا فقد تعرضت كثيرا من الماشية السودانية إلى الهلاك فى مصر . وبرزت عدواها إلى مواشى مصر نفسها مما إضطر الباشا فى سنة ١٨٤٦ إلى عرض الأمر على مجلس مكون من عدد من الأطباء البيطريين لإتخاذ قرار مناسب فاستقر رأيهم على الآتى :

-
- (١) شيبكه : السودان فى قرن ، ص ٥٠ .
 - (٢) دفتر ٢٤ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٢٧٩ بتاريخ ٢٢ شوال سنة ١٢٤١ .
 - (٣) دفتر ٧١ معيه تركى ، وثيقة رقم ٣٣٤ بتاريخ ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٥١ .
 - (٤) دفتر ٧٨ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٣٥١ بتاريخ ١٢ ربيع ١٢٥٢ .
 - (٥) دفتر ٨٥ معيه تركى ، ترجمة الامر رقم ١١٠ بتاريخ ٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٥٢ .
 - (٦) دفتر ٧١ معيه تركى ، وثيقة رقم ٨٥٠ بتاريخ ٢٥ ربيع الاول سنة ١٢٥٢ .

« عند ورود كل فرقة من مواشى بلاد السودان من الآن فصاعدا تبقى بالمحال المناسبة لها فيما بين اسنا واسوان بمعرفة البياطرة حتى تستريح مدة ، والفرقة التى ترد أولا تربط اماما والفرقة الثانية التى تعقبها فى المجىء تربط خلفها وكذا كل فرقة ترد عقب أختها تربط بعدها بحيث لا تزدحم ولا تجتمع بالكلية فى مكان واحد بل تربط متباعدة بعضها عن بعض حسب ما تقتضيه أصول الكرنيتين وترك بهذا الوجه مدة ستة أشهر وتلاحظ وتنظر مأكولاتها ومشروباتها بالدقة اللازمة والحيوانات التى ترد فى وقت الشتاء تنزل هناك حتى ينتضى موسم الشتاء وتساق وقت الصيف وسوقها يكون بالتدريج فرقة بعد أخرى ليكون إرسالها إلى هنا على نمط الأصول (١) ».

منتجات الماشية :

لقد كانت مصر فى حاجة شديدة إلى جلود الماشية بكل أنواعها لاستخدامها فى بعض المهمات الحربية كصنع الأحذية للعساكر (٢) . لهذا فقد أصدر الباشا أوامره المشددة إلى المسئولين فى السودان بشراء أكبر كمية منها وإرسالها فوراً إلى مصر ، فطلب مثلاً من الحكمدار خورشيد إرسال أربعين أو خمسين ألف جلد سنوياً . وعندما علمت حكومة الباشا أن كثيراً من الجلود المستوردة من السودان قد تعفن نسبة لعدم توفر « المواد الدباغية » كالملاح الأبيض والجير الجيد ولقلة معرفة الأهلى بنظام تمليحها ، قررت تجميعها كلها فى ثلاث أو خمس مراكز ، وأرسلت عدداً من الصناع الماهرين لدبغها على أن يصحب كل واحد منهم « عشرين أو ثلاثين شخصاً من

(١) الوقائع المصرية ، العدد ١٢٧ بتاريخ الأحد ٢٣ شعبان سنة ١٢٦٢ .

(٢) دفتر رقم ٤٧ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ١٤ بتاريخ ١٦ شوال سنة ١٢٤٨ .

الأهلين ليتعلموا صناعة التمليح (١) . ولما علم الباشا فى سنة ١٨٣٢ أن بعضا من الجلود تلفت لإهمال مأمور سنار إذ أنه أرسلها « طرية دون أن تجفف » (٢) ، أمر بعزله وإرساله إلى مصر ليحاكم بالنفى إلى أبى قير ليكون عظة وعبرة لغيره .

وقد إعتنى الباشا بصوف الماشية المستورد من السودان لتجربته فى صناعة الجوخ (٣) وفى نسج العباءات والأحزمة فى مصر (٤) . فعندما إتضح للباشا أن صوف الغنم السودانية قصير لا يصلح للانتفاع به ، أمر بإرسال مائة وخمسين كبشا من الأقاليم القبلية والوسطى إلى الحكمدار خورشيد باشا لتحسين نسلها حتى تنجب ذرية طويلة الصوف (٥) . ولقص صوف الماشية قصا جيدا أرسل الباشا إلى خورشيد ثلاثة من « جزازى شعور الماشية البارعين » (٦) مع مائة وخمسين مقصا .

بعد أن رأينا حرص الباشا الشديد على الحصول على أكبر كمية من واردات السودان ومنتجاته ، لا بد لنا أن نتساءل عن الطريقة التى إتبعها الباشا للحصول عليها . وهذا سيقودنا إلى مناقشة سياسة الاحتكار التى إتبعها الباشا فى السودان كما إتبعها من قبل فى مصر .

(١) دفتر رقم ٧٠٤٢ ديوان الخديوى تركى ، ترجمة الأمر ١٨٥ بتاريخ ٢٧ ربيع الأول سنة ١٢٤٣ .

بما أن الصناع المصريين الذين أرسلوا لديغ الجلود السودانية قد كلفوا الباشا تكاليف كبيرة دون أن يأتوا بفائدة تذكر ، فقد قرر إرجاعهم إلى مصر والاكتفاء بالصناعة المحلية من الجلود المدبوغة لسد احتياجات الجند .

شكرى : الحكم المصرى فى السودان ، ترجمة صورة مجلس المشورة ، ص ٣٣٣ .

(٢) دفتر رقم ٥٤ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٧٤ بتاريخ ١١ رجب سنة ١٢٤٨ .

(٣) دفتر ٦٢ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ١٧٨ بتاريخ ١٥ جمادى الاولى سنة ١٢٥٠ .

(٤) دفتر ٦٦ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٤٤٧ بتاريخ ٧ جمادى الاولى سنة ١٢٥١ .

(٥) دفتر ٦٧ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٤٩٤ بتاريخ ٧ رمضان سنة ١٢٥١ .

(٦) دفتر ٥٧ معيه تركى ، ترجمة الأمر ١٥٦ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٥٠ .

قضت سياسة الامبراطور العثماني بحرية التجارة في كل أجزاء
إمبراطوريته، كما عارضت الدول الأوروبية خاصة إنجلترا سياسة محمد علي
الإحتكارية معتمدة في ذلك على المادة الثالثة والخمسين من قانون الإمتيازات
الأجنبية التي خولت للأجانب في كل إجراء الإمبراطورية العثمانية « الحق
في جلب المتاجر وشراء ما يريدون من السلع وتصديره دون أن يمنعهم أحد
من ذلك أو يتعرض لهم بسوء يعطل نشاطهم التجاري (١) » .

الا أن محمد علي أصر على إحتكار معظم منتجات السودان ووارداته
فأمر في سنة ١٨٢٤ عثمان بك جركس باحتكار تجارة سن الفيل وريش
النعام والصمغ ، كما إتفردت الحكومة بشراء الجلود والسنامكي وغيرها
من منتجات البلاد (٢) . وقد كانت الحجة التي برر بها الباشا هذه السياسة
هي أن الحكومة زرعت في السودان أراضي واسعة لم يكن لها مالك من قبل
وبذلك صارت هذه الأراضي وما تنتجه ملكا للدولة (٣) . أما الصمغ فقد
إحتكره الباشا زاعماً أنه نبت في الأراضي بالطبيعة دون أن تعمل فيه يد
الإنسان شيء يذكر (٤) .

لضمان نجاح هذه السياسة الإحتكارية فرضت الحكومة ضرائب
باهظة على نقل المحصولات من مكان لآخر حتى يصعب على أصحابها
ترحيلها فيضطروا لبيعها لو كلاء الحكومة بأسعار زهيدة تحددها الحكومة (٥) .

(١) شكرى : بناء دولة ، ص ٥٨ .

(٢) سمح محمد علي لأحد التجار الفرنسيين ، فيسير Vaissiere ، بأن يشتري بماله الخاص
ما قيمته عشرة آلاف ريال من سن الفيل والريش والصمغ في كردفان لانه ، كما قال
الباشا في رسالة إلى سليمان بك قائمقام الا لاي الاول ومأمور كردفان ، « رافق عطوفة
نجلنا الباشا في زحفه على الدرعية وهو يعد من المعارف القدماء » .

دفتري ١٦ معيه تركي ، ترجمة الوثيقة رقم ١٥٤ بتاريخ ٢٧ رمضان سنة ١٢٥٤ .

(٣) شكرى : بناء دولة ، ص ٦١ .

(٤) شيبكه : السودان في قرن ، ص ٤٩ .

(٥) شكرى : بناء دولة ، ص ٥٥ .

تذمر الا هالي من هذه السياسة الإحتكارية وامتنعوا أحيانا من إحضار منتجاتهم إلى الأسواق .

وقد إهتم الباشا بالحصول عليها فهو قد حث خورشيد باشا على عدم التردد فى طلب المال من مصر لشراؤها ، كما أرسل فى سنة ١٨٢٨ إلى قاسم اغا حاكم دنقلا مبلغ خمسة عشر ألف فرانسه لشراء الصمغ من مديريته (١) . وقد أرسل الباشا أحيانا وكلاء مزودين بالمال الكافى لشراء المنتجات السودانية . وفى سنة ١٨٢٥ مثلا أرسل « إثنين من الجلالة لمشتري الصمغ والريش وأرسل معهما ألف كيس نقدية إلى حاكم سنار وطلب كشوف بالأشياء التى تشتري مبينا بها الوزن والكمية والعدد وإرسال المشتري إلى على كاشف ناظر إسوان (٢) . وبجانب هؤلاء الوكلاء فقد بعث الباشا فى بعض الأوقات القوافل المحملة بالبضائع المصرية لتباع فى السودان وتشتري الواردات السودانية بأثمانها كما حدث فى سنة ١٨٢٩ عندما أرسل كلا من الحاج سليمان وعلى القراشى مزودين بالمنسوجات والروائع لبيعها فى السودان وشراء الصمغ وسن الفيل وريش النعام من هناك (٣) . وقد تسهلت مهمة أولئك الوكلاء وإستطاعوا الإتصال بصغار التجار فى المدن الكبيرة عن طريق « سر التجار » (٤) .

ترحيل منتجات السودان الى مصر :

خضعت البلاد بعد الفتح المصرى لقوة سياسية موحدة ، فهدأت الأحوال إلى حد كبير وقل الخطر على المسافرين وعلى القوافل التجارية . وقد شهد بذلك قنصل فرنسا فى مصر الكونت « بنديتى » الذى ذكر المؤرخ عبد الله حسين أنه قال : « إن الأهالى والأجانب على السواء يستطيعون السير فى أى بلد من البلاد التى يحكمها محمد على فى وادى النيل إلى أقاصى السودان ... فالسودان قد سادته الأمن كما ساد غيره وقد إستطاع الرحالة بالمر أن يجتاز

(١) دفتر ٢٦ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٢٥٠ بتاريخ ٢٦ رجب سنة ١٢٤٣ .

(٢) دفتر ٢٠ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٣١ بتاريخ ٢٨ شوال سنة ١٢٤٠ .

(٣) دفتر ٧٥٨ ديوان الخديوى ، ترجمة القرار ٤٦ بتاريخ ١٦ جمادى الاول سنة ١٢٤٥ .

(4) Hill : Egypt in the Sudan, P. 49.

من التقاليد التجارية التى كانت وما زالت معروفة فى السودان وجود مجتمع تجارى فى كل المدن الكبيرة بزعامة تاجر محترم اعطى لقب « سر التجار » .

كردفان مع خادم واحد» (١). هذا لا يعنى أن الأمن قد استتب نهائيا فى البلاد، إذ أن المنازعات القبليه إندلعت من وقت لآخر، كما أن القوافل التجارية تعرضت أحيانا لخطر اللصوص وقطاع الطرق .

وبينما ساعد هدوء الأحوال على إزدهار التجارة بين مصر والسودان بعد الفتح المصرى . فقد عمل الباشا وحكومته على تطوير المواصلات البرية والنيلية مع السودان حتى يسهل نقل وارداته دون أن يصيبها أى تلف إلى مصر .

سلكت القوافل التجارية التى كانت منذ وقت بعيد أهم وسيلة لنقل التجارة بين مصر والسودان طريقين رئيسيين : طريق بدأ من سنار فشندى وبربر ثم إنخرق صحراء العتمور حتى وصل إلى مصر ، وطريق آخر بدأ من سنار أو شندى أو بربر إلى سواكن على البحر الأحمر ومنها إلى مصر (٢). وقد تبادلت مصر التجارة مع دارفور عن طريق درب الأربعين المشهور الذى استخدم منذ أيام قدماء المصريين (٣) . ولنقل واردات السودان عن طريق القوافل ، إهتم الباشا وحكومته بتوفير الجمال اللازمة لها أما بشرائها أو بتأجيرها من أصحابها. وقد صرف على شرائها معظم دخل الحكومة فى دنقلا (٤) . وعندما علم الديوان الخديوى أن كميات كبيرة من الصمغ وسن الفيل والعاج (٥) قد تأخر نقلها فى سنار لعدم وجود المال الكافى لإعداد الجمال ، أمر بارسال المبالغ التالية للحكمдар خورشيد ليدفع منها أجور

(١) حسين : تاريخ السودان ، ج ١ ص ٩٢ .

(٢) شيكه : السودان فى قرن ، ص ٧ .

(3) Arkell, A History of the Sudan, P. 214.

(4) Hoskins : Travels in Ethiopia, P. 178.

(٥) دفتر ٧٥١ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ٤٧ بتاريخ غرة ذى الحجة سنة ١٢٤٥ . فى هذه المكاتبه قال خورشيد للديوان الخديوى « إنه موجود حتى اليوم من الصمغ الحاصل من ولاية كردفان سبعة الاف ومائة رحل وجل والباقي منه السنة الماضية من جزيرة سنار أربعة الاف وستمائة رحل وجل وأنه موجود من ريش النعام ومن العاج ما يزيد عن خمسين قنطارا » .

الوثيقة السابقة .

الجمال لنقل هذه الواردات المتأخرة : ستمائة كيس من محمود أفندى حاكم دنقلا وأربعمائة كيس من إبراهيم اغا مأمور سنار ومائتى كيس من خزينة القاهرة (١) . وقد أرسل الديوان الخديوى أيضا مبلغ خمسة وعشرين ألف فرانسه إلى رستم بك حاكم كردفان ليؤجر بها الجمال اللازمة لنقل الصمغ من هناك إلى مصر (٢) .

وقد إستعانت الحكومة ببعض القبائل السودانية لمدها بالإبل ومساعدتها فى نقل الواردات السودانية تارة ولحراسة القوافل التجارية من خطر اللصوص وقطاع الطرق تارة أخرى . فالكباش ، الذين إمتازوا بخبرة دقيقة بجميع الطرق الصحراوية ومقدرة فائقة على تحمل متاعب السفر ، أمدوا الحكومة بالإبل وساعدوها فى نقل البضائع من كردفان وسنار ودنقله إلى مصر مقابل أجور معينة (٣) . وعندما تم فتح السودان وافق إسماعيل باشا على ترك مهمة حماية طريق عتمور أبى حمد من كرسكو من قطاع الطرق لشيخ قبيلة العبابده على أن يأخذ مقابل هذه الحماية « قيمة عشر ما يمر فيه من بضائع و سلع وغيرها (٤) » .

لم تكن للملاحة النهرية قبل الفتح المصرى أهمية كبيرة فى النقل التجارى بين مصر والسودان وذلك للشلالات فى بعض أجزاء النيل وجهل السودانيين بصناعة المراكب ، كما أن نقل البضائع عن طريق النيل جعلها أكثر تعرضا للرسوم والضرائب من جهة وللسلب والنهب من جهة أخرى . وقد أوقفت الرحلات النهرية الطويلة نهائيا فى أواخر عهد سلطنة سنار نسبة للفوضى وعدم استتباب الأمن . كذلك قل إستعمال البحر الأحمر فى نقل التجارة بين البلدين إذ أن الملاحة فيه لم تكن منظمة فالسفن التى إستعملت كانت قليلة رديئة الصناعة وربانها وملاحيها عرفوا بعدم الخبرة والكفاءة .

(١) الوثيقة السابقة .

(٢) ديوان الخديوى بدون رقم وبدون تاريخ محدد (سنة ١٢٤٥) .

(3) Pallme, Travels in Kordofan, pp. 132-33.

(٤) العبادى : من زوايا التاريخ ، ص ٥ .

وفوق هذا كله فقد خشي السودانيون ركوب البحر (١).

إلا أن الملاحة النهرية نالت إهتماما كبيرا في عهد محمد علي لإستعمالها كوسيلة رخيصة للمواصلات بين السودان والموانئ المصرية ولترحيل واردات السودان إلى مصر . فقد بنيت في عهد الحكمدار خورشيد ترسانة لصنع القوارب في منجاره بالقرب من ود شلعي على النيل الأبيض وأخرى في الكاملين (٢) ، كما شيدت ترسانتين أخريتين في سنار (٣) وبربر (٤) . وقد إهتم عاهل مصر بارسال جميع مستلزمات صناعة المراكب من مهندسين وخبراء . وبينما أصر الباشا على دفع أثمان المعدات الحربية التي أرسلت للسودان من مصر كالجبخانه وغيرها نقدا ، قبل الصرف على المعدات التي أرسلت لصناعة القوارب في السودان على أن لا تدفع أثمانها نقدا بل تسجل في وصولات ترسل إلى خزانة القاهرة (٥) .

وجه بعض النقد للمراكب المصنوعة في السودان ، فأرسل الباشا في سنة ١٨٣٢ سعيد أفندي للتحقيق في أسباب رداءة صناعتها (٦) . إلا أنها تحسنت بمرور الزمن ، حتى أن معظم واردات السودان أرسلت عن طريق النيل . وبينما لم يعرف قبل الفتح المصري إلا قوارب صغيرة مصنوعة من خشب السنط ، أدخل المصريون أنواعا كثيرة من القوارب كالقياسه « حاملة بضائع » والذهبية « ناقلة مسافرين » والخانجه (٧) .

(٢) مقار : أحوال السودان الإقتصادية ، ص ٣٥٣ - ٥٤ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 61.

(٣) دفتر ٧٨٥ ديوان الخديوى تركى ، وثيقة رقم ٣٠٤ ص ١٩١ بتاريخ ٢١ رجب سنة ١٢٤٨ .

(٤) دفتر ٣٤٥٨/٢٥ مديرية بربر والجبلين (عربى) صادر ، وثيقة ص ٢٢٢ بتاريخ ٢٤ ذى القعدة سنة ١٢٦١ .

(٥) دفتر ٨٩ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٨ بتاريخ ٢ محرم سنة ١٢٥٣ .

(٦) دفتر ٧٨٠ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ٣١ بتاريخ غرة رمضان سنة ١٢٤٧ .

(7) Hill : Egypt in the Sudan, P. 60

وقد عملت حكومة الباشا على تنظيم وتسهيل الملاحة فى الشلالات بأن عينت فى كل منها لجنة كونت من مشرف عام « وريس » مع بعض البحارة وأهالى المنطقة . وقد عين أيضا فى كل المدن النهرية الهامة شخص ليكون مسئولا عن الإشراف وضمان سلامة الواردات السودانية المرسلة إلى مصر (١) ولكن إلى أى حد نجح الباشا فى استغلال منتجات السودان ووارداته ؟

لا شك أن الباشا قد أحرز شيئا من النجاح وعادت عليه بعض الفوائد من التجارة فى منتجات السودان ووارداته . فعلى الرغم من معارضة بعض القبائل السودانية (٢) ومشاق الطريق فقد أرسلت بعض المواشى السودانية إلى مصر، ووصل منها فى ستنى ١٨٢٨ و ١٨٣٥ - ١٨٣٦ أربعة آلاف ثور (٣) وسبعة آلاف رأس من البقر (٤) على التوالى، كما وصلت فى سنة ١٨٣٧ كمية أخرى من الجمال والثيران (٥). أما منتجات الماشية كالجلود والصوف فقد وصلت كميات منها إلى مصر من وقت لآخر . وفى سنة ١٨٣٦ - ١٨٣٧ مثلا أرسلت حوالى ٢٥٠٠٠ جلد بقرى و ٦٠٠٠ جلد ما عز و ١٩٠٠ جلد ماشية (٦) .

وفى مجال الزراعة حاول الباشا إدخال زراعة بعض المحاصيل السودانية فى مصر . فعندما رأى الباشا فى سنة ١٨٢١ حنا الطويل لابسا « الفردة » السودانية أعجب بها وقرر إدخال زراعة ذلك القطن الذى صنعت منه .

-
- (١) المصدر السابق ، ص ٦١ .
(٢) أرسل خورشيد باشا الكاشف محمد الخربطولى إلى عرب البشاريين لجمع خمسمائة جمل منهم ، إلا أنهم هجموا عليه وقتلوا ثلاثة وعشرين من رجاله مما اضطرت الحكومة لا إرسال حملة أخرى مكونة من مائة وعشرين فارسا لإخضاعهم وجمع تلك الجمال منهم .
دفتر ٧٨ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٣٥٠ بتاريخ ١٢ ربيع الآخر سنة ١٢٥٢ .
(٣) دفتر ٣٠ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ١٢٣ بتاريخ غرة ذى القعدة سنة ١٢٤٣ .
(٤) دفتر ٧١ صادر المعيه ، وثيقة رقم ٢٤٥ بتاريخ ٢٧ شوال سنة ١٢٥١ .
(٥) دفتر ٧٩ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٧٧٧ بتاريخ ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٥٢ .
(6) Hill : Egypt in the Sudan, P. 56.

وبالفعل طلب من عثمان بك جر كس - حاكم سنار - إرسال عينة منه مع كمية من بذوره من مكاده ، أحد الأقاليم الحبشية الذى اشتهر بذلك النوع من القطن وبعد خمسة عشر مرحلة من سنار (١) . وقد أرسل محو بك - خليفة عثمان - تلك العينة مع البذرة المطلوبه ، التى عرفت باسم « بذرة محو بك » (٢) . وقد كانت النيلة أيضا من المحاصيل السودانية التى جربت زراعتها فى مصر ، فقد أمر محمد على عثمان بك بإرسال حوالى عشرة آلاف أردب من بذرتها (٣) ، كما أصدر توجيهاته إلى كل من محو بك وحاكم كردفان فى عهده بأن يرسل كل منهما إلى مصر « ألفى أردب من النيلة الجبلى » (٤) .

والنيلة من أهم المحاصيل التى نجحت زراعتها فى السودان . وقد لاحظ الرحالة هوسكنس خلال زيارته للسودان أنه قد خصص لريها فى مديرية دنقلا العرضى خمسة آلاف ساقية (٥) ، وفى أرقو وحدها حوالى خمسمائة ساقية (٦) . وقد انشأت الحكومة لصناعتها خمسة مصانع فى السودان فى مروي وحنك وحفير ودنقلا العجوز ودنقلا العرضى ، كان الواحد منها ينتج مالا يقل عن ١٨٤٦ أقة سنويا (٧) . ونتيجة لسياسة الإحتكار فقد إستفادت الحكومة فائدة كبيرة من هذا المحصول إذ أنها كانت تشتري القنطار الواحد منه باثنى عشر قرشا فى السودان (٨) وتبيع الاقه الواحد فى القاهرة بحوالى خمسة عشر دولارا (٩) .

(١) دفتر رقم ١٤ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٦١٧ بتاريخ ١٦ ربيع الثانى سنة ١٢٤٠

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 52.

(٣) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٤٧٥ بتاريخ ٣ شعبان سنة ١٢٤٠ .

(٤) دفتر ٢٠ معيه تركى ، ملخص الوثيقة رقم ٣٣ بتاريخ ٢٨ شعبان سنة ١٢٤٠ .

(5) Hoskins : Travels in Ethopia, P. 177.

(٦) المصدر السابق ، ص ٢١٥ .

(٧) المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

(٨) المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

(٩) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

والصمغ أيضا من الواردات السودانية الهامة التي صدرت إلى مصر ،
فكردفان وحدها أرسلت سنويا ألفين وخمسمائة جمل محملة بالصمغ . وقد
إشترت حكومة الباشا القنطار الواحد منه من المزارعين في كردفان بحوالى
١٢٣ دولار وباعته فى القاهرة بعشرين دولارا (١) .

وفى عهد حكومة محمد على تطورت تجارة الريش (٢) بينما كان
الوارد من سن الفيل إلى مصر قليلا لبداية الطرق التي إتبعته فى صيده ، فالشك
فعلوا ذلك بأحد طريقتين « أحدهما إنهم يحفرون حفرة فى البحر ويسترون
فيها بالقش ، فعند مروره عليها يقع فيها فيقتلونه ويأخذون لحمه وأسنانه .
والطريقة الثانية ان الفيل يتزل فى البحر ليعبر إلى الجانب الآخر فيهمجمون
عليه وهو فى وسط البحر ويركبه رجلان أو ثلاثة ويجرون خرطومهم إلى الماء
حتى لا يتنفس منه وكلما أخرجه جذبه إلى الماء ولا يزالون يفعلون به هكذا
حتى يموت غرقا » (٣) . أما البقاره فقد اعتادوا صيده بان « يركب منهم خمسة
أو ستة رجال على أفراسهم ويذهبوا إلى الفيل ويحيطوه به ويجيء أحدهم أمامه
فيشتغل به الفيل ويهجم عليه وعند ذلك يذهب أحد المشاة ويضرب أرجل
الفيل بالحربة حتى تنقطع عروقه وأعصابه فيقع على الأرض فيهمجمون عليه
ويقتلوه » (٤) . رغم ذلك فقد عادت تجارة السن على حكومة الباشا بدخل
لا بأس به ، إذ أنها اشترت القنطار الواحد منه فى كردفان بستة عشر دولارا
وباعته فى القاهرة بما لا يقل عن ثمانين دولارا (٥) .

وقد صدرت إلى مصر الأخشاب السودانية بأنواعها المختلفة كالأبنوس
واللبخ والسنت خاصة فى عهد خورشيد باشا الذى أرسل فى سنة ١٨٣٢ الفا

(١) المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 52.

(٣) الوقائع المصرية ، العدد ٦٢٦ بتاريخ الأحد ٦ صفر سنة ١٢٦٠ .

(٤) المصدر السابق .

(5) Hoskins : Travels in Ethiopia, P. 178.

وستمائة وخمسين قطعة من خشب الأبنوس محمولة في بعض القوارب المصنوعة في سنار (١) . وعندما علم الباشا أنه قد صنع من شجر العشر السوداني بارود جيد وحبال قوية متينة (٢) ، أصدر أوامره بجلب ثلاثمائة أقة من اليافة لتجربتها في هاتين الصناعتين في مصر (٣) .

ولكن يبدو أن الباشا لم ينجح نجاحا تاما في دفع التقدم الإقتصادي في السودان وبالتالي لم يستفد الاستفادة الكاملة التي كان يتوقعها من منتجات السودان ووارداته وربما عاد ذلك للأسباب التالية :

أولا : الضرائب :

لم يعرف السودانيون قبل الفتح المصري الضرائب بالطريقة التي كانت عليها في مصر آنذاك ، فبعضهم لا يدفع ضريبة مطلقا وبعض عربان البادية يأخذ منهم الملوك ضريبة غير باهظة في فترات متقطعة غير منتظمة . فالملوك أنفسهم سواء كانوا ملوك الفونج والبدلاب أو ملوك ومشائخ القبائل يطلبون المساهمة من رعيته لتجهيز حرب في بعض الأحيان ، ولكنهم يعتمدون في الغالب على ثروتهم الشخصية من مزارع ورقيق أو مكوس وجمارك يجبرونها من القوافل والأسواق (٤) .

وعندما استولى محمد علي على حكم البلاد فرضت على الأهالي ضرائب منتظمة تحتم عليهم دفعها في أوقات معلومة . فبعد أن تم الفتح كونت لجنة من المعلم حنا الطويل وديوان أفندي بالاشتراك مع الأرياب محمد دفع الله ود أحمد لوضع التنظيمات الضريبية . وقد كانت التقديرات التي وضعتها تلك اللجنة كالآتي :

-
- (١) دفتر ٥١ معيه تركي ، ملخص الوثيقة التركية رقم ١٣٧ بتاريخ ١٧ رجب سنة ١٢٤٨ .
(٢) الوقائع المصرية ، العدد ٥٤٨ بتاريخ الخميس ٢ ربيع الآخر سنة ١٢٤٩ .
(٣) دفتر ٧٩٧ خديوي تركي ، ملخص الوثيقة ١١٩ ص ٨٦ بتاريخ ١٨ رجب سنة ١٢٤٩ .
(٤) شبيكه : السودان في قرن ، ص ٦ .

١١١٠٠ كيس

سنار

٢٩٤ كيس

حلفا

٣١٤ كيس

العرب بجهة النيل الأبيض

١١٧٠٨ (١)

أما الضرائب على السواقي فقد قلرت على حسب الأراضي التي تروىها الساقية فكلما اتسعت زادت الضريبة المفروضة عليها (٢). وقد زعم الرحالة هوسكنس أن الضريبة المفروضة على الساقية الواحدة في مروي بلغت عشرين دولارا (٣) بينما زادت في دنقلا من دولار واحد مع رأس من الماشية وقطعتين من قماش التيل قيمة كل واحدة منها ستة قروش قبل الفتح المصري إلى عشرين دولارا دفعت منها خمسة عشر نقدا والخمسة الباقية عيناً بعد الفتح. هذا يعني - في رأي هوسكنس - أن الضريبة المفروضة على الساقية الواحدة قبل الفتح ساوت في جملتها حوالي عشر الضريبة التي فرضت بعد الفتح (٤).

وقد فرضت تلك الضرائب دون النظر لإمكانات البلاد الاقتصادية ودون إعتبار للأحوال الجغرافية، فقد يقل المحصول لقلة الأمطار في سنة من السنين أو قد يتلف بفعل الآفات مثل الجراد، وقد تتعرض الماشية لأمراض وبائية تفتك بها (٥). وبجانب هذا فقد كانت الطريقة التي جمع بها الجنود هذه الضرائب طريقة وحشية، فكثيرا ما تعرض الأهالي لأقسى أنواع العقاب إن تأخروا في تسديدها (٦). وفي بعض الأحيان هاجمت قوات الحكومة

(١) شكرى : الحكم المصري في السودان ، ترجمة صورة مجلس المشورة ص ٢٢٨ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 41.

(3) Hoskins : Travels in Ethiopia, P. 162.

(٤) المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

(5) Palme : Travels in Kordofan, P. 38.

(6) Hoskins : Travels in Ethiopia, P. 234.

الجهات التي تأخرت في دفع الضرائب والحقت بأهلها إضرارا بالغة . فقد تجول مثلا رستم بك في بعض جهات كردفان مع جماعة من عساكره « لاجل تحصيل بقايا الفرده (١) » . ومما زاد الطين بلة أن المستولين طلبوا أحيانا دفع هذه الضرائب نقدا في وقت كانت فيه كمية النقد محدودة حتى ان الناس إستعملوا الذرة والدمور في معاملاتهم التجارية (٢) .

لقد كانت هذه الضرائب عبئا ثقيلا على كاهل المواطنين الذين تفادوها أحيانا بانخفاء ما عندهم من محاصيل وأموال (٣) . أما الذين عجزوا عن دفعها فلم يجدوا طريقا سوى الفرار وترك أراضيهم وديارهم خاصة إلى دار عطيش الواقعة على نهر الدندر . فعلى أثر الضرائب الباهظة التي فرضها حنا الطويل عقب الفتح مباشرة هرب « سكان نحو خمسمائة قرية من القرى بين حلفاية وبين فازوغلى شرقا وغربا وفر بعضهم إلى الحبشة وآخرون إلى جهات أخرى » (٤) .

وتفاديا لها درجت قبائل البقارة على الهروب في فصل الصيف من كردفان إلى الغابات النائية الوعرة المسالك في جهات شيبون ورونجا وقولا، حيث عجزت قوات الحكومة عن اللحاق بهم هناك . غير أنهم إضطروا للعودة إلى داخل حدود كردفان في فصل الخريف إذ إنتشرت آنذاك في تلك الجهات حشرة صغيرة خطيرة على حياة الماشية إسمها يوهاره Yohara (٥) . وفي دنقلا عانى الأهالى الكثير من الفقر والحرمان حتى أن كثيرين منهم هجروا ديارهم وفروا إلى كردفان ونسار (٦) .

(١) دفتر ٧٣٦ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ٢٩٥ بتاريخ ٢٩ ذى الحجة سنة ١٢٤٢ .

(٢) شيبكه : السودان في قرن . ، ص ٣٢ .

(3) Hoskins : Travels in Ethiopia, P. 43.

(٤) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢١ بتاريخ غرة رجب سنة ١٢٣٧ .

(5) Pallme : Travels in Kordofan, PP. 119-20.

(6) Hoskins : Egypt in Ethiopia, P. 172. . .

والضرائب الفادحة التي فرضت على السواقي أجبرت الكثيرين من أصحابها إلى تركها ، ففي مديرية بربر تقلص عددها من ثمانمائة قبل الفتح إلى خمسمائة عند زيارة هوسكنس للسودان (١) . وفي سنة ١٨٢٧ كان عدد السواقي المسجلة في سجلات الضرائب في مديرية بربر ٢٤٣٧ إلا أن التي عملت في الواقع بإشراف الجعليين بلغت ٧٠٦ فقط (٢) .

لم يكتف الأهل بترك أراضيهم وهجران سواقيهم لتفادي هذه الضرائب بل أنهم كثيرا ما تمردوا وثاروا على الحكومة لإحتجاجا عليها . فالبشارين رفضوا دفعها أحيانا وقتلوا الجنود الذين أرسلوا لجمعها منهم (٣) . وفي سنة ١٨٣٤ شهدت بلاد المحس بقيادة الملك بخيت ثورة عارمة ضد الضرائب تسببت في تلف الكثير من السواقي وموت الكثير من الثيران التي استخدمت فيها . وأهم من هذا فقد عرضت هذه الثورة الطريق إلى مصر لإخطار بالغة ، حتى أن الرحالة هوسكنس — الذي كان آنذاك في طريق عودته إلى مصر — اضطر إلى الرجوع من أرقو إلى دنقلا ولم يستطع مواصلة سيره شمالا إلا بعد أن قضت قوات الحكومة على هذه الثورة . وفي الواقع أن الحملة الأولى التي أعدها كاشف حفير فشلت في إخمادها ولم تتمكن الحكومة من القضاء عليها إلا بعد الحملة الثانية التي أرسلها حاكم دنقلا العرضي والتي قتلت حوالي مائة وسبعين من الثوار بينما هرب بخيت وبعض أعوانه (٤) .

أما عيسى شيخ قبيلة القراريش — التي سكنت على شواطئ النيل من الدر في صعيد مصر حتى المحس ودنقلا (٥) — فقد تمرد على الحكومة على

(١) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 411.

(3) Hoskins : Travels in Ethiopia, P. 55.

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٣٩ — ٤٢ .

(5) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 28.

أثر المطالب الإستبدادية التي طلبتها منه وهرب مع بعض أعوانه إلى الصحراء حيث شكلوا خطرا على طريق القوافل بين أبي حمد و كورسكو لمدة خمس سنوات، وإعترضوا سير كل القوافل التي سارت عبره ولم يسمحوا لها بالتقدم إلا بعد الاستجابة لمطالبهم . وقد ركزوا نشاطهم بوجه خاص ضد قوافل الحكومة، فاستولوا على كثير مما بها من بضائع وأسلحة وذخيرة (١) . إهتم محمد علي بامر هذا التمرد ووجه قاسم اغا حاكم دنقلا إلى الإهتمام باعدام قائده « ذلك الحرامى المتسلط » (٢) . وقد تمكنت الحكومة أخيرا من سحق هذا التمرد بعد أن خدع أحد شيوخ العرب الشيخ عيسى فقبض عليه وسلمه للحكومة (٣) .

وهكذا فإننا نلاحظ أن تلك الضرائب الفادحة أدت إلى فرار كثير من الاهالى من أراضيهم وهجرانهم لسواقيهم مما قلل الإنتاج ، كما أنها سببت بعض الثورات وحركات التمرد التي هددت سلامة الطريق بين مصر والسودان . كل هذا أدى إلى تقليل حجم التجارة بين البلدين وبالتالي نقصت الفائدة العائدة على الباشا من منتجات السودان ووارداته .

ثانيا : سوء وفساد وكلاء موظفى محمد علي فى السودان :

أظهر كثير من الفلاحين الذين أرسلهم الباشا للسودان لتحسين وتطوير الزراعة فيه عدم رغبتهم فى العمل هناك . فعندما كلف مثلا الشيخ محمد دماطى بالذهاب إلى سنار لتعليم أهلها طرق الزراعة الحديثة ، هرب فى الطريق فقبض عليه وأرسل إلى سجن الإسكندرية، إلا أنه فر قبل الوصول اليه (٤) . أما الوكلاء الذين أرسلتهم حكومة الباشا إلى السودان لشراء

(1) Hoskins : Travels in Ethiopia, P. 275.

(٢) دفتر ٢٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبه رقم ١٣٣ بتاريخ ١٠ محرم سنة ١٢٤٣ .

(3) Hoskins : Travels in Ethiopia, PP. 275-76.

(٤) دفتر ٣٧ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ١٥٦ بتاريخ ٦ ربيع الاول سنة

. ١٢٤٤

متجاته ، فقد إنتهزوا هذه الفرصة للثراء عن طريق الفساد . فقد ثبت أن الحاج على الفراش قد إختلس أموال الحكومة فأصدر الديوان الخديوى قرارا عاجلا بتحصيلها منه والا فيقبض عليه ويرسل إلى مصر (١) . وقد تعرضت مشتريات الحكومة أيضا للسرقة ، فقد إستولى بعض العساكر فى سنار على كميات من الصمغ وسن الفيل وريش النعام (٢) ، كما درج وكلاء الحكومة فى شونة كرسكو على إختلاس بعض صمغ الحكومة هناك (٣) .

أما الإداريون والموظفون فى السودان فقد كان لجهلهم وعدم كفاءتهم وإنشغالهم بالحروب أثر كبير فى تأخير دفع التقدم الإقتصادى فى السودان (٤) . فقد كان لإهمالهم وعدم إعتنائهم بالماشية السودانية المرسلة إلى مصر أثر كبير فى هلاك كميات كبيرة منها حتى أن الباشا إضطر فى بعض الأحيان لإصدار أوامره ببيعها حتى ولو بأقل من ثمن شرائها بدلا من أن تهلك فى الطريق (٥) .

وقد تعطل أحيانا نقل الواردات السودانية إلى مصر نسبة لمعاملة الإداريين القاسية لبعض القبائل السودانية التى ساعدت الحكومة فى ترحيلها . فعندما أشيع أن الكبابيش ربحوا أموالا طائلة بمدهم للحكومة بالإبل اللازمة لنقل المحاصيل ، أخذت السلطات تتحايل عليهم لابتزاز أموالهم . فمن المعروف أن الصمغ الذى تعهدوا بنقله من كردفان لدنقله نقص فى وزنه بتأثير الحرارة والرياح خلال تلك الرحلة التى إستغرقت حوالى عشرين يوما . إلا أن الحكومة أجبرتهم على تعويض هذا النقص ودفعه بالسعر الذى باعت به للأوربيين فى الإسكندرية . وقد خصمت الحكومة قيمة هذا التعويض من الأجرة التى إتفقت بها مع شيخ الكبابيش . أما بقية الأجرة فلم

(١) دفتر ٧٥٨ ديوان الخديوى ، ترجمة القرار ٤٦ بتاريخ ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٤٥ .

(٢) دفتر ١٦ معه تركى ، ترجمة الوثيقة ٣٩٨ بتاريخ ٩ ربيع الاول سنة ١٢٤٥ .

(٣) دفتر ٧٧٤ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ٩٢ بتاريخ ١١ رجب سنة ١٢٤٦ .

(4) Hill : Egypt in the Sudan, P. 58.

(٥) دفتر ٣٠ معه تركى ، ملخص ترجمة الوثيقة رقم ٩٠ بتاريخ ٨ شوال سنة ١٢٤٣ .

تسلم له نقدا وإنما أجبر على أخذ ما يعادلها من المنسوجات القطنية التي صنعت في دنقله باعتبار القطعة عشرين قرشا في الوقت الذي باعها في نفس المكان باثنى عشر قرشا (١) . تحت هذه الظروف القاسية ونسبة لهذا الظلم الفادح إمتنع الكبابيش أحيانا من التعاون مع الحكومة ، فقد رفض جماعة منهم في سنة ١٨٣٨ إمداد الحكومة بالإبل وهربوا إلى دارفور . وقد حاول محمد علي خلال زيارته للسودان مصالحة الكبابيش فاستدعى زعيمهم الشيخ صالح وإتفق معه على رفع إجرة الشحن للجمل الواحد من خمسة وأربعين قرشا إلى ثمانين قرشا (٢) .

أما قبيلة العبابده فقد إستكثر عليها عباس اغا الجندى ، مدير بربر في عهد الحكمدار خورشيد باشا ، القنات التي أخذتها نظير حمايتها لطريق عتمور - أبى حمد - كرسكو - فامر شيخها ، الشيخ خليفة بن الحاج محمد العبادى ، « بأن يتنازل عن أخذ العشر ويأخذ بدله ثلاثة ريالات عن كل جمل يمر بالعمور - ريال من الحكومة وريال من التاجر وريال من صاحب الجمل » (٣) . ورفض خليفة الإستجابة لهذه الأوامر وأصر على قفل الطريق التجارى إذا لم تسحب الحكومة قرارها الجديد مما عطل سير القوافل إلى مصر . الا أن عباس اغا الجندى غدر به وحرقه مع مائة وإثنين وثلاثين من رجاله .

ثالثا : تهريب بعض الواردات السودانية :

رغم توجيهات محمد علي للمسؤولين في السودان ببذل كل جهدهم لإيقاف تهريب المنتجات السودانية التي إحتكرتها الحكومة ، فقد هرب بعض منها كالصمغ والسنامكى والعاج إلى سواكن حيث صدرت من هناك

(1) Pallme : Travels in Kordofan, P. 138.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

(٣) العبادى : من زوايا التاريخ ، ص ٥ .

إلى الخارج بدلا من إرسالها إلى مصر (١). ولعل السبب الرئيسى لإزياج حركة التهريب هذه أن التجار فى سواكن دفعوا لشراء تلك المنتجات أسعارا أعلى بكثير من تلك التى حددتها الحكومة . وقد زعم نسيم مقار أن رغبة الباشا فى إيقاف هذا التهريب كانت من العوامل الرئيسة التى دفعته ليطلب من السلطان العثمانى ضم مينائى سواكن ومصوع للإدارة المصرية فى السودان (٢).

بما أن استتباب الأمن شرط ضرورى لجمع المكوس فقد كانت حلفا المكان الوحيد الذى تمتعت فيه الحكومة بسلطة فعلية لفرض الجمارك على الصادرات السودانية بينما لم تتمكن من ذلك فى حلود الحبشة ودارفور وفى القلابات (٣) . وحتى فى حلفا نفسها تمكن بعض التجار من تفاديه . فقد حاول مثلا تاجر أجنبى اسمه « قيسان » تهريب ثلاثمائة قنطار من البن السودانى إلى مصر مما إضطر الباشا إلى إصدار أوامره إلى على رضا أفندى ناظر الأصناف بوضع « جواسيس فى المناطق المناسبة بمدخل المحروسة لمصادرة ذلك البن فى سبيل إستيفاء الرسم الجمركى منه (٤) » .

(١) دفتر ٦٢ معيه تركى ، ترجمة الامر ٥٢ بتاريخ ١٣ ربيع الاخر سنة ١٢٥٠ .

(٢) مقار : الرحالة بالم ، ص ٤٦ .

(3) Hill : Egypt in the Sudan, P. 41.

(٤) دفتر ٦٢ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٥٢ بتاريخ ١٣ ربيع الآخر سنة ١٢٥٠ .

خاتمة

تمكن محمد علي من تحقيق بعض الأغراض التي فتح السودان من أجلها . فقد هلك كثير من الجنود الأرنؤود الذين أرسلوا لفتح السودان نتيجة لسوء طقس البلاد وعدم ملاءمته لهم ، وبهذا فقد استطاع الباشا الخلاص منهم . والمماليك الذين هربوا من مصر للسودان إتضح لبعضهم عدم جدوى العناد والحرب فاضطروا للتسليم لقوات جيش الفتح في شندى . أما الباقون منهم فقد إتجهت غالبيتهم بخيولهم البيضاء وبقيادة زعيمهم عبد الرحمن بك نحو كردفان وفضلت شردمة أخرى الإتجاه شرقا نحو الحجاز . وفي ميدان التجارة مع السودان استطاع الباشا تحقيق شيئا من النجاح ، غير أنه فشل في تحقيق غرضيه الرئيسيين من الفتح : العبيد والمعادن - خاصة الذهب . ونسبة لخيبة الأمل هذه مع تقدم سن الباشا وتدهور صحته فإننا نلاحظ أن إهتمامه بشئون السودان قد قل كثيرا في أواخر عهده ، وربما دل على ذلك قلة الرسائل المتبادلة آنذاك بينه وبين موظفيه في السودان .

وخليفتي محمد علي - عباس باشا بن طوسون « ١٨٤٨ - ١٨٥٤ »
ومحمد سعيد باشا « ١٨٥٤ - ١٨٦٣ » - لم يوليا السودان إهتمامهما حتى قبل أن الأخير فكر جديا في إخلاء السودان . غير أن السودان قد نال إهتماما كثيرا في عهد الخديوى إسماعيل « ١٨٦٣ - ١٨٧٩ » الذي عمل على توسيع ممتلكاته جنوبا وقمع الرق وتجارة الرقيق هناك .

ملحق (أ)

المصادر

أ- الوثائق الخاصة بعهد محمد علي والموجودة بدار الوثائق التاريخية القومية بالقاهرة في المراجع التالية :

- ١- دفاتر معية تركي .
- ٢- دفاتر ديوان الخديوي تركي .
- ٣- دفاتر عابدين تركي .
- ٤- دفاتر ديوان شوري المعاوثة تركي .
- ٥- دفاتر المعية السنية عربي صادر ووارد .
- ٦- دفاتر ديوان الخديوي عربي صادر ووارد .
- ٧- دفاتر مديرية يريز والجعلين عربي صادر ووارد .
- ٨- محافظ بحر برا تركي .
- ٩- محافظ عابدين تركي .
- ١٠- محافظ أوامر لديوان الجهادية تركي .
- ١١- محافظ مجلس ملكية تركي .
- ١٢- محافظ أوامر للمعاوثة تركي .

بعض هذه الوثائق مكتوب باللغة العربية كالوثائق الموجودة في سجلات
المعية السنية عربى صادر ووارد (١) وسجلات ديوان الجهادية عربى
والسجلات العربية الخاصة بكل من مديرية بربر والجعلين وحكمدارية
السودان . إلا أن الملاحظ أن معظم هذه السجلات لا تحتوى على أوامر
خاصة بالسودان ، وحتى التى وجد فيها فإن أغلبها مختص باواخر عهد محمد
على خاصة منذ سنة ١٢٦٠ « ١٨٤٤ » .

ويلاحظ الباحث بعض الأخطاء فى هذه السجلات العربية كالأخطاء
النحوية والهجائية ، كما إستعملت بعض الكلمات التركية والفارسية مثل
« ماه » بمعنى شهر و « دركاه » بمعنى مقام أو ساحة . وقد كتبت أحيانا
كلمتان فى كلمة واحدة فبدلا من « من طرفكم » كتبت « منطرفكم »
وبدلا من « من مدة » كتبت « منمده » .

أما الشهور العربية فقد أعطيت لها رموز خاصة فى هذه السجلات
العربية هى : « م » لمحرم ، و « ص » لصفر ، و « ر » لربيع أول و « ر » لربيع
ثانى ، و « ج » لجماد أول ، و « ج » لجماد ثانى ، و « ب » لرجب و « ش »
لشعبان ، و « ن » لرمضان ، و « ل » لشوال ، و « ذ » للذو القعدة ، و « ذو » للذو
الحجة .

(١) ديوان المعية السنية اسم اطلق على ديوان الوالى أى حاشية الوالى ، كما اطلق عليه أيضا
اسم « شورى المعاونة » . وبعد مرض محمد على سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨) قام هذا
الديوان بمهمة مجلس خاص سمي « المجلس الخصوصى » وكانت لقرارته قوة قرار
الوالى . وقد اطلق على هذا الديوان بعض زوال نظام الخديوية فى مصر اسمى « الديوان
السلطاني » و « الديوان الملكى » . وعند نهاية الملكية فى مصر اطلق عليه اسم « ديوان
الجمهورية المصرية » بينما سمي فى أول فبراير ١٩٥٨ « ديوان رئاسة الجمهورية
العربية المتحدة » .

مطبوعات دار الوثائق التاريخية القومية المعية السنية ، السجل الأول من ٦ محرم ١٢٤٥
إلى ٨ رجب ١٢٤٦ ، فى المقدمة .

الا أن معظم الوثائق الخاصة بعهد محمد علي في السودان مكتوبة أصلا باللغة التركية وترجمت الغالبية العظمى منها إلى اللغة العربية ترجمة كاملة بينما أعطى القليل منها ملخصا وافيا .

(ب) بعض تقارير المعاصرين :

إختار مؤلفو بناء دولة محمد علي بعض تقارير المعاصرين عن أحوال مصر في عهد محمد علي وترجموها إلى اللغة العربية . وقد إستفدت في بحثي هذا من بعض منها هي :

١ - تقرير الدكتور جون بورنج :

قدم بورنج إلى مصر في سنة ١٨٣٧ موفدا من الحكومة البريطانية ليضع تقريرا عن حالة مصر آنذاك وما يتظر أن تكون عليه في المستقبل. لم يتحدث بورنج في تقريره هذا عن الحبشة ، إلا أنه نسبة للمصالح الإنجليزية في الحبشة ، يميل مؤلفو بناء دولة محمد علي إلى الإعتقاد بأن محاولة التأثير على الباشا حتى ينصرف عن فتح هذه البلاد كانت من الأغراض التي أوفد من أجلها بورنج إلى مصر .

رجع بورنج إلى بلاده في مارس سنة ١٨٣٨ ورفع تقريرا وافيا عن مصر وكريت إلى حكومته في مارس سنة ١٨٣٩ . وقد تحدث بورنج بأسهاب عن الرق وتجارة الرقيق خاصة في السودان معتمدا إلى درجة كبيرة على المعلومات التي أعطاها له الرحالة آرثر هو لرويد عقب عودته من رحلته الطويلة إلى السودان .

٢ - تقريران للبارون دي بوالكميت :

بعد إنتصارات إبراهيم باشا الرائعة وتقهقر الجيوش العثمانية إبان الحرب السورية الأولى ، تأزم الموقف بين محمد علي والسلطان العثماني . في هذه الظروف الدقيقة أرادت فرنسا أن تنهى هذه الحرب باتفاق بين محمد

على والسلطان دون وساطة الدول الأوربية حتى لا تجد روسيا عذرا للتدخل .
لضمان نجاح مفاوضات الصلح بين الباشا والباب العالي رأت فرنسا أن لا بد
من سحب جيوش أبراهيم باشا من بلاد الأناضول . لذلك أرسلت الحكومة
الفرنسية بوالكمت إلى مصر في سنة ١٨٣٣ . ليقنع الباشا بهذا الرأي . وصل
بوالكمت إلى مصر في سنة ١٨٣٣ واستطاع أن يقنع الباشا بسحب جيوشه
من آسيا الصغرى ، بعد نجاح مهمته بقي بوالكمت مدة من الزمن زار فيها
طنطا ودمياط ورشيد وغرف الكثير عن أحوال البلاد الداخلية .

في الفترة ما بين ٢٩ يونيو و ٣ يوليو سنة ١٨٣٣ بعث بوالكمت إلى
حكومته بعشرة تقارير عن أحوال مصر الداخلية وعلاقاتها الخارجية . إختار
مؤلفو بناء دولة محمد علي تقريرين من هذه التقارير : الأول بتاريخ ٢٩
يوليو سنة ١٨٣٣ عالج فيه بوالكمت الأنظمة التي قام عليها صرح البلاد
الاقتصادي ، والثاني بتاريخ أول يوليو سنة ١٨٣٣ تناول فيه موضوع السكان .
٣ - تقرير الكونت دو هاميل :

عندما غزا أبراهيم باشا بلاد الشام قطعت روسيا علاقاتها السياسية مع
محمد علي إذ أنها كانت في وفاق مع الباب العالي منذ عقدت معاهدة أدرنه
في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩ . الا أن روسيا شعرت بعد نهاية الحرب بضرورة
إستئناف علاقاتها مع مصر ، فعين دو هاميل قنصلا لبلاده في مصر سنة ١٨٣٤ .
كان دو هاميل دبلوماسيا مجتهدا إمتاز بالمرونة وديمائة الخلق مما مكّنه
من كسب صداقة وتقدير الباشا . وكان من أثر هذه الصلات الحسنة مع الباشا
أن استطاع دو هاميل أن يبعث إلى حكومته بعدد من التقارير وكثير من
الرسائل العادية . ومن أهم هذه التقارير ذلك التقرير الوافي الذي كتبه عن
أحوال مصر بتاريخ ٦ يوليو سنة ١٨٣٧ .

ج - ترجمة جرنال رحلة محمد علي للسودان :

صدر هذا الجرنال المحتوي على تقرير وافي عن رحلة محمد علي

للسودان باللغة التركية في ٦ صفر سنة ١٢٥٥ هـ ٢١ أبريل سنة ١٨٣٩ هـ
 ملحقا بالعدد نمرة ٦١٨ من جريدة الوقائع المصرية . وقد نشر كل من
 مانجان Mengin وجومار Jomard ترجمة موجزة لجرنال هذه الرحلة . إلا
 أن الدكتور محمد فؤاد شكرى عثر ضمن الوثائق النمساوية بوزارة الخارجية
 على ترجمة كاملة باللغة الفرنسية للمحق الوقائع المصرية السالف الذكر فقام
 بترجمته إلى اللغة العربية في مجلة كلية الآداب ، العدد الثامن ، المجلد الثاني
 ديسمبر سنة ١٩٤٦ تحت عنوان « صفحة من تاريخ السودان الحديث » ،
 رحلة محمد على باشا إلى فازوغلى ١٨٣٨ - ١٨٣٩ وتشر جرنال الرحلة .
 وقد اعترف شكرى بأن ترجمته لهذا الجرنال تختلف في بعض أجزائها عن
 تلك الترجمة التي نشرها كل من مانجان وجومار .

د - جريدة الوقائع المصرية :

رجعت إلى المجلدات التالية من جريدة الوقائع المصرية الخاصة بعهد
 محمد على والموجودة بدار الكتب بالقاهرة :

١- المجلد الخاص بعام ١٢٤٥ هـ : مكتوب باللغة العربية والتركية معا .
 ٢- المجلد الخاص بعام ١٢٤٦ هـ : مكتوب باللغة العربية والتركية معا .
 ٣- المجلد الخاص بعام ١٢٤٧ هـ : مكتوب باللغة العربية والتركية معا .
 ٤- المجلد الخاص بعام ١٢٤٨ هـ : مكتوب باللغة العربية والتركية معا .
 ٥- المجلد الخاص بعام ١٢٤٩ هـ : مكتوب باللغة العربية والتركية معا .
 ٦- المجلد الخاص بالأيام من ١٢٥٦ - ١٢٦٣ هـ : مكتوب باللغة العربية
 والتركية معا .

٧- المجلد الخاص بعامي ١٢٦٣ - ١٢٦٤ هـ : مكتوب باللغة العربية
 والتركية معا .

أما المجلدات الخاصة بالفترة ما بين سنة ١٢٥٠ - ١٢٥٥ هـ فيمكن
 أسف لم أجد لها في دار الكتب :

هـ - المراجع العربية :

أبو على ، أحمد بن الحاج ، تحقيق البصلي ، الشاطر : مخطوطة
كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية (القاهرة ١٩٦١) .

البصلي ، الشاطر : معالم تاريخ السودان وادى النيل (الطبعة الأولى ،
القاهرة ١٩٥٥) .

الجابرى ، محمد أحمد : فى شأن الله (القاهرة ، بلا تاريخ) .

الجبرى ، عبد الرحمن : فى التاريخ المسمى عجائب الآثار فى التراجم
والأنخبار ، ج (٤) (القاهرة ١٢٣٦ هـ) .

الطهطاوى ، رفاعه بك : مناهج الألباب المصرية فى مباحج الآداب
العصرية (الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩١٢) .

الرافعى ، عبد الرحمن : الثورة العراقية والاحتلال الإنجليزى (الطبعة
الثانية ، القاهرة ١٩٤٩) .

الرافعى ، عبد الرحمن : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى
مصر ، ج (١) (الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٨)

الرافعى ، عبد الرحمن : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى
مصر ، ج (٢) (القاهرة ١٩٢٩) .

الرافعى ، عبد الرحمن : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى
مصر ، ج (٣) ، عصر محمد على (القاهرة
١٩٣٠)

جوان ، إدوارد ، تعريب : مصر فى القرن التاسع عشر (القاهرة ١٩٢١) .
مسعود ، محمد

زكى ، عبد الرحمن : أعلام الجيش والبحرية فى مصر أثناء القرن
التاسع عشر ، ج (١) (القاهرة ١٩٤٧) .

زكى ، عبد الرحمن : الجيش المصرى فى عهد محمد على (القاهرة ١٩٣٩) .

زكى ، عبد الرحمن : التاريخ الحربى لعصر محمد على الكبير (القاهرة ١٩٥٠) .

حسين ، أنيس أحمد : تطور السودان السياسى (القاهرة ١٩٤٦)

حسين ، حسين أحمد : من زوايا التاريخ السودانى فى القرن التاسع عشر (القاهرة ١٩٤١) .

حسين ، عبد الله : السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية ، ثلاثة أجزاء (القاهرة ١٩٣٥) .

طوسون ، عمر : صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على (القاهرة ١٩٤٠) .

مرى ، شارلس ، : صفحة من تاريخ محمد على (القاهرة ١٣٣٧ هـ) .
تعريب سليم حسن وطه السباعى

محمد ، محمد عوض : السودان الشمالى ، سكانه وقبائله (القاهرة ١٩٤٧) .

مسعد ، مصطفى محمد : الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى (القاهرة ١٩٦٠) .

مقار ، نسيم : الرحالة بالم (القاهرة ١٩٦١) .

مقار ، نسيم : الرحالة جون بريك (القاهرة ١٩٦١)

مقار ، نسيم : أحوال السودان الاقتصادية قبل الفتح المصرى (رسالة ماجستير ، القاهرة ١٩٥٦) .

نكولز ، تعريب عابدين : الشايقية (الخرطوم بلا تاريخ)
عبد المجيد

- ساماركو ، أنجلو ، : رحلة محمد علي للسودان (القاهرة ١٩٤١) .
 تعريب فوزى ، طه
 سعيد ، محمد الامين : سياسة محمد علي في السودان (رساله ماجستير ،
 القاهرة بلا تاريخ)
 شبيكه ، مكى : السودان عبر القرون : (القاهرة ١٩٦٤)
 شبيكه ، مكى : السودان في قرن (الطبعة الثانية القاهرة ١٩٥٧)
 شقير ، نعوم : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ،
 ثلاثة أجزاء (القاهرة بلا تاريخ)
 شكرى ، محمد فؤاد : مصر والسيادة على السودان : (القاهرة ١٩٤٦)
 شكرى ، محمد فؤاد : الحكم المصرى في السودان ١٨٢٠ - ١٨٨٥
 (القاهرة ١٩٤٨)
 شكرى ، محمد فؤاد ، : بناء دولة محمد علي (القاهرة ١٩٤٨) .
 والعناني ، عبدالمقصود ،
 و خليل ، سيد محمد

و - المراجع الافرنجية

أ - الكتب

- Burckhardt, J.L. : Travels in Nubia. (2nd ed., London 1822).
- Crawford, O.G.S. : The Fung Kingdom of Sennar. (Gloucester 1951)
- Dodwell, H. : The Founder of Modern Egypt, A study of Mohamed Ali. (2nd ed., Cambridge 1967)
- Douin, G. : Histore du Soudan Egyptien. (Cairo 1944).
- Deleón, E. : Egypt under its Khedives.
- Hill, R. : Egypt in the Sudan. (London, 1959)
- Hill, R. : On the Frontiers of Islam (Oxford. 1970)
- Hoskins, G.A. : Travels in Ethiopia above the 2nd Cataract. (London, 1835)
- MacMichael, H.A. : A History of the Arabs in the Sudan, 2 vols. (Cambridge 1922)
- Pallme, I. : Travels in Kordofan, (London 1844)
- Petherick, J. : Egypt, the Sudan and Central Africa. (London 1861)
- Shukry, M.F. : Khedive Ismail and Slavery in the Sudan, 1863-1879. (Cairo 1937)

- | | |
|--|---|
| Waddington and Hanbury | : Journal of a Visit to some parts of Ethopia (John Murray 1822) |
| Werne, F., translated by Williams, Charles | : Expedition to Discover the Sources of the White Nile in the Years 1840-1841, Vol. I. (Berlin 1848). |
| Werne, F., translated by Johnston, J.R. | : African Wanderings, or an Expedition from Sennar, Taka, Basa and Beni Amer (London 1852) |
| ب — المقالات | |
| Bell, G.W. | : Shaibun Gold, SNR, Vol 20, 1937 |
| Chiros, J., edited and translated by Hill, R. | : An Unpublished Intinerary to Kordofan, 1824-1825, SNR Vol. 29, 1948. |
| Prudhoe | : Extracts from a Private Memorandum on a Journey from Cairo to Sennar 1829, JRGS, Vol. 5. |
| Robinson, A.E. | : The Mamelukes in the Sudan, SNR, Vol. 5, 1922 |

ملحق (ب)

نموذج لوثائق عهد محمد علي

دفتري ١٠ معية تركي

ترجمة المكاتبة ٤٨ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ ص ٣٠ ، ٣١
من الجناب العالي إلى حضرة البك سر عسكر كردفان .

« أطلعت على رسائلكم الثلاث التي وردت في تاريخ اليوم عن يد تابعكم وقد علمت مضمونها ومالها . ولقد أنهيتم إلينا في إحدى هذه الرسائل قائلين « إن إقليم كردفان طوله سبعة أيام وعرضه خمسة أيام وأن الجبال المتلاصقة ببعضها في حواليه كثيرة ومعمورة وأن القيام بالعمل وأخذ الأسرى السودانيين وإرسالهم على الوجه المطلوب منوطه كلها بأن يوجد بمعيتنا رئيسان أو ثلاثة رؤساء » ورجوتم منا فيها إرسال جنود من الفرسان والمشاة . فبناء على هذا قد رتبنا من قواد جنودنا المشاة طويال حسن اغا وأبراهيم اغا الكورجهلى ومن قواد فرساننا حسن اغا القبريسلى وكتبنا إلى متصرف جرجا ولدنا أحمد باشا ليخرج حسن اغا الطويال هذا ويرسله في هذه الأيام وصممنا على إخراج الآخرين وإرسالهما في عقبه . لقد يتراءى ان حسن اغا هذا بعيد عليه أن يقوم لحسابكم بهذه الخدمة ولكن بالنظر لأنه فضلا عن كونه بشوشا ظريف المنادمة ذا معرفة ووقوف بكل شيء فإن عسكره بمثابة عسكركم ومن ثم يمكنكم أن تستخدموه كيفما تتمنون وتعاملوه كما ترغبون وتريدون ولقد قمتم جنابكم بمهمة الحكومة في الأقاليم الصعيدية مدة مديدة من الزمان وهذا من شأنه أن يجعلكم عالمين بمقدار الموجود من الإبل وبمقدار ما تنفق منها في مصالح السودان وكوردفان والحجاز وما بقى منها فيها . على أن قلة الجمال في هذه السنة المباركة قد كان من جرائها أن الغلال للحرمين الشريفين لم يمكن حملها فبقيت من غير نقل ومع هذا فإن في الإستطاعة إرسال ما ذكر

من المشاه والفرسان إلى دقله بما سيق من الإبل من جهتكم . فالملطوب
إعدادكم ما يكفي من الجمال المذكورين وتهيئة هنالك ثم إرسال الإبل إلى
دقله حتى إذا وصل هؤلاء القواد إلى دقله جلبتموهم وإستخدمتموهم .
وبناء على ما علمنا من مدلول رسالتكم المذكورة من لزوم إرسال الجبخانة
الخاصة بكم المتخلفة في وادي حلفا فقد صممنا على إرسالها هي الأخرى
إلى دقله . غير أنه لما كان جلبها لجنابكم محولا كذلك على غيرتكم وحميتكم
فارسوا القدر اللازم من الإبل لأخذها اليكم . وبناء على ما جاء في الرسالة
المذكورة بخاصة بأن القاطنين بتلك الحوامي من القبائل العظيمة مثل قبائل
البقارة والنجاين والمجانين والكبابيش على الرغم من أن شيوخهم خضعوا
لحكمكم ونعموا بامانكم فإنه نظرا لكون تأمين الطرق التي سينحدر منها إلى
البحر وإعداد الإبل اللازمة للعبيد والجواري الذين سيصير إنزالهم متوقفين
على إستمالة قبيلة الكبابيش المذكورة فلو منحتهم ورقة أمان من طرفنا إلى
الشيخ سالم الأمر عليهم لكان ذلك نافعا مقيدا للعمل ، فقد حررنا لأجله رسالة
عربية أرسلناها طي هذا فنطلب إعطاءكم الشيخ المذكور إياها وإغراءكم
وتشويقكم إياه بأبراز طيب الخدمة . وإذ أن المأمول أن يكون حفتانينا (يعني
صاحب الخلع) سليم اغا الذي سبق إيفاده اليكم قد وصل الآن إلى جنابكم
وإن المنتظر أن يكون كتابنا الذي يحمله قد وصل إلى فهمكم وحفظ مضمونه
في ذهنكم المتوقد نشاطا فإن مطلوبنا هو أن تنفذوا ما يقتضيه فتعنوا أعظم
العناية بأن ترسلوا السودانيين الذين هم غاية المقصود وترحلوهم قسما قسما
في أثر بعضهم . وقد حررنا هذه الرسالة إنباء بما تقدم وسيرناها مع أحد
قواصينا فيمنه تعالى لذي وصلها وعملكم بما فيها فلتهتموا بالغلب على الوجه
المحرر ولتبادروا إلى إشعارنا وإفادتنا بما يلزم لإنهاؤه .

حاشية :

أشعرتمونا بأن هنالك جبلا قدام كردفان بعيدا عنها بخمسة أيام يخرج
منه الذهب . فأمرؤا بجس هذا الجبل وبخشه لتفهموا ما إذا كان هذا الذهب

الحاصل ظاهراً من بطن الجبل في حالة منجم أم ناتجا من غير ذلك كجمعه
وتكوينه من فيض ماء السيل عند نزول مياه المطر في الجبال التي وراء هذا
الجبل وإتيانها منها إلى ولاياتنا هذا . فإذا ظهر أنه من بطن الجبل فنطلب أن
تنظروا في شأنه وثبتوا في أمره بحسن تدبيركم وأن تعلمونا بالكيفية .

محفظه ٧ بحربورا

ترجمة الوثيقة ٧٤ بتاريخ ١٤ صفر سنة ١٢٣٦

من إسماعيل باشا إلى الجناب العالي

« وقد قال لي مشائخ قبيلة العبادى بعد مرور يوم على الحرب التى وقعت بيننا وبين الشايقية قبل بضع أيام إن اخوين من الكبايش حضرا بشنده وأنهم وجدوا رجلا يمكنه الإتصال بهما . فكتبت ما ينبغى أن يكتب وأرسلته اليهما فقدموا على عبدكم يوم تاريخ هذه العريضة فقالا إنهما سمعا ملك الشرق بشنده يقول إنه لا يريد قتال عبدكم هذا وأنه يقول إنى سأذهب اليه (أى إلى إسماعيل باشا) وأقابله لو حضر إلى هذه الديار وأنه وصى أتباعه بهذا (أى بالجنوح إلى السلم) . ومما قالوا إن ملك العرب متفق مع ملك سنار وإنهما يقولان نحن نريد القتال وأن ملك الإقليم الذى يقال له حلفاية الواقع بين سنار وشنده متفق معهما أيضا وأنهم أجمعوا على القتال . وحرصوا الممالك على قتالنا فاجابوهم قائلين : نحن نعلم (أى جربنا) قتالهم ونارهم (المقصود بالنار هو الرمى) فلما بقادرين على القتال حتى إذا دنا (أى إسماعيل باشا) من هذه الديار فلما نلجأ إلى الفرار مسرعين من جهة الشرق وأما الممالك ، كما يؤخذ مما قال بكواتهم وكشافهم لبعض الناس وللجواسيس فقد أجمعوا أمرهم على أن يذهبوا إلى الموضع الذى يقال له « بحر أتبره » لقربه من مصوع طامعين فى الذهاب إلى جهة الهند بالقوارب التى تقلهم . وقد علم من رواية الجواسيس أن عبيد الممالك الناشئين بتربيتهم قد أخذوا بعير سادتهم وفروا لاجئين إلى عربان الكبايش . وقد ظل الشايقون حيث كانوا لما شجر بين أكابرهم من نزاع ولعدم اجتماع كلمتهم .. » .

محظظة ١٩ بحربرا

ترجمة الوثيقة ٣٤ بتاريخ ٥ ربيع الأول سنة ١٢٦٠

من الميرميران أحمد المنكلي إلى ولي النعم

حضرة صاحب الدولة والعناية سيدى ولي النعم

لقد بينت فى عريضتى المؤرخة فى ١٥ ذى الحجة ١٢٥٩ لأنه
بينما كنا فى طريقنا إلى جبل دول ظهر طغيان أشقياء التاكة فصرفنا النظر
عن السفر إلى الجبل المذكور وأنا سنأخذ سبيلنا بمن معنا من الجند إلى التاكة .

وفى ١٢ محرم ١٢٦٠ ، على نحو ما جاء بعريضتى المقدمة ردا على
الارادة العلية المؤرخة فى ١٥ ذى الحجة ١٢٥٩ المرسلة مع البكباشى حسين
أفندى قمنا من دامر وقطعنا المراحل والمنازل ووصلنا يوم ٢٦ محرم ١٢٦٠
إلى أبواب همالايب الواقعة فى مقابلة الغابة المواجهة لعربان سقولا بلو وكلولى ،
وفى يوم وصولنا إلى هذه الجهة جعلنا الجيش فى شكل قلعة وأقمنا حول
الجيش سياجا (زريبة) من الأشواك على نحو ما يفعله السودانيون اذ يقيمون
مثل هذه السياج حول جيوشهم وقد بينا تلك الليلة داخل هذه السياج .

وفى اليوم التالى جاء عربان الهدندوه وعربان كلولى وطلبوا الأمان ،
فاعطى لهم ، بيد أن عربان سقولا بلو وعربان متكناب لم يتقدموا إلى طلب ذلك ،
فسرنا إلى داخل الغابة التى ياوون اليها ببعض الخيالة والمشاة من الباشبوزق
(المرتزقة) يقصد التنكيل بهم فقتلوا منهم نحو ٣٥٠ نفرا ولم يقو بقيتهم على
البقاء فى الغابة تلك الليلة ، واتصل لنا أنهم فروا إلى غابة متكناب التى تبعد
عنا مسافة ١٤ ساعة فأرسلنا خلفهم إلى الغابة التى لجأوا اليها جميع خيالة
الجيش وعينا لقيادة هؤلاء الخيالة موسى بك معاون الداعى الذى كان قبلا
مديرا لجزيرة سنار .

وبما أن عدد الجمال التي حُملت بموثة الجند تكفيهم لمدة ١٥ يوما من مأكول ومشروب ومهمات وجبخانه قد بلغ نحو خمسة آلاف جمل .
وحيث أن هذه الجمال لا يمكنها أن تسلك الطريق الذي سلكه الخيالة فقد رايت أن يسير الخيالة إلى كسلا عاصمة المديرية المذكورة وأن يرجعوا منها إلى الغابة الآتفة الذكر بعد أن يتركوا فيها أثقالهم .

وقد قمت عبدكم أيضا إلى كسلا بعساكر الجهادية . أما الجهادية الذين سيروا خلف العصاة فقد تلاقوا بهم عند أبواب متكناب و إلى ان تمكن العصاة من دخول الغابة كان قد قتل منهم نحو ٢٥٠ رجلا . وبعد ذلك عاد الخيالة إلى كسلا وتلاقوا بي فاستراح الخيالة في كسلا ذلك اليوم .

وفي اليوم التالي بينما كانوا على وشك الزحف على العصاة أخذ الخيالة يفتكون بالعصاة على أبواب الغابة ، فلم يستطيع الخيالة البقاء في هذه الغابة أيضا ولما وصل إلينا أنهم ارتدوا منها إلى غابة الجهة المسماة « كليته » ودخلوا هذه الغابة تركت الأثقال في كسلا وزحف عليهم بأحمال خفيفة وفي ضحى اليوم التالي وصلنا إلى الغابة التي أوى إليها العصاة وإستولينا على آبار الماء ولم يبد العصاة أى حركة إلا أننا لغاية نصب الخيام وإقامة السياج سيرنا بعض الخيالة إلى داخل الغابة ققتلوا من العصاة نحو ١٠ و ١٥ . ولما كنا نعد أربعة أوطر من عساكر الجهادية لتسير خلف الخيالة إلى الغابة حضر العصاة لطلب الأمان ومعهم قاضيتهم وخليفتهم والفقهاء من شيوخهم .

وبما أن الجناب العالى لا يضمن على رعاياه بالشفقة والحنان قد أعطينا لهم الأمان على شرط أن يرحلوا الغابة ويقيموا في صحراء همالاتيب حيث يقيم عربان هندوه ومكلولي ، فقبلوا بهذا الشرط ، وفي خلال ذلك اليوم وليلته وضحى اليوم التالي خرجوا من الغابة بعيالهم وأولادهم وحيواناتهم ، فارسلناهم برفقة محمد اغا أخى الملك محمود أحد قواد الشايقية إلى الجهة التي خصصت لإقامتهم ، وقد عاد عبدكم أيضا مع الجيش إلى كسلا ، وقد جمعت الحيوانات

المدموغة التى نهبت فى هذه الفتنة وأكمل ما نقص منها ووزعت على قرى
حلنقه للعناية بها .

وبعد ذلك قمنا بالجيش لتحصيل الأموال وفى ١٣ صفر ١٢٦٠ وصلنا
إلى محطنا القديم « هما لاتيىب » الكائن فى وسط منازل أولئك العربان وفى
هذا اليوم أرسل لنا « فرهاد باشا » مكاتبة ذكر فيها أنه وصل إلى قوز رجب
وأنه بالنظر للفتنة التى حدثت لا يمكنه الوصول إلينا بدون خياله ترافقه ، فارسلنا
له « سيبه اغا » رئيس الهواره وقد وصل إلينا سعادته وبعد بضعة أيام يؤشر
تحصيل الأموال والبقايا وعقب أن حصلت الأموال والبقايا والمواشى التى
سُترسل إلى المحروسة كما هو مبين بالكشف المرقق طيه ، أخذنا نطالب
بأثمان الأسلحة والمهمات التى أتلّفوها فى أثناء الفتنة وجعلنا دية كل ضابط
قتلوه ١٢٥٠ قرشا ودية كل جندى ٥٠٠ قرشا ، وقد أخذت منهم على هذا
الحساب ديات الضباط وعساكر الجهادية الذين قتلوهم .

ونظراً لأن عربان متكاب لا يستطيعون دفع ديات الضباط والجنود
الذين قتلوهم فقد إكتفى بأخذ ديات الضباط فقط . وبدلاً عن ال ١٢٠
عسكريا الذين قتلوهم أخذ منهم ١٢٠ رجلاً الحقوا بالآى المشاة الثامن .

هذا وقد القى القبض على نحو ٣٠ رجلاً من شيوخهم وفقائهم وعلى
قاضيهم وخليفتهم الذين كانوا يشجعون العربان المذكورين على الفتنة ويقولون
لهم أن قتل العساكر خلال ووضع الأغلال فى أعناقهم وأرسلوا إلى
الخرطوم ليلاقوا الجزاء الذى يستحقونه . أما الباقون فقد عفى عنهم عملاً
بالأمان المعطى لهم حيث عاد كل منهم إلى مكانه آمناً مستريحاً فى ظل الجناح
العالى .

ثم إستحضرنا الشيخ سليمان شيخ عربان « مصيلح » وولد موسى شيخ
عربان « بنى عامر » وتعهدوا بتسديد الأموال المطلوبة من عربانهم وعلى أثر
ذلك منحوا الخلعة اللازمة . وقد تركنا ٢٠٠ من خيالة الشايقية وأورطة من

العساكر الجهادية لترافق الشيوخ في تحصيل الأموال وسلمنا هذه القوة
إلى الباشا مدير المديرية المذكورة .

ونظرا لأننا علمنا ان المكادين في جهات القلايات قد أخذوا
يعتدون على الجهات فمع أنه لدينا في الجيش نحو ٢٥٠ نفرا من عساكر
السكيان ونحو ألف خيال و ٣٥٠٠ من عساكر الجهادية وثلاثة مدافع الا
أننا إختارنا من بينهم نحو ٥٠٠ من أشداء الخيالة وسلمنا ما تبقى من المشاة
والخيالة والمدافع إلى عثمان بك ميرلاى المشاه الثامن الذى قام بهذه القوة عن
طريق نهر أدبره . كما قام الداعى أيضا بالخيالة ال ٥٠٠ إلى قضايف وراشد
وبركه، فارجو أن تفضلوا بعرض ذلك على أعتاب الجنب العالى مفضلا .

الإمضاء

الميرميران أحمد المنكلى

ربيع الأول ١٢٦٠ هـ عن التاكه .

محتويات الكتاب

تصدير .

مقدمة

الفصل الاول : اسباب فتح محمد علي للسودان

الفصل الثاني : محمد علي وجلب العبيد من السودان

الفصل الثالث : الاغراض التي استخدم فيها العبيد المجلوبين من السودان

الفصل الرابع : محمد علي والتنقيب عن المعادن في السودان

الفصل الخامس : محمد علي والتجارة في واردات السودان

خاتمة .

ملحق (أ) : المصادر

ملحق (ب) : نموذج لوثائق عهد محمد علي

فهرس .

خريطة للسودان سنة ١٨٣٨ .

فهرست

ا

| | |
|--|----------------------------------|
| ۱۶۰ ، ۱۵۸ ، ۱۴۹ ، ۸۳ | أبو حمد |
| ۳۸ ، ۳۷ | أبو مدین |
| ۴۶ | أبو سن |
| ۱۴۵ | أبو قیر |
| ■ ■ | ایصاره |
| ۷۴ ، ۵۷ | الا بیض |
| ۳۳ ، ۳۲ | أبراهیم بك الكبير (زعيم ملوکی) |
| ۴۵ | أبراهیم اغا الكورجهلی |
| ۲۶ ، ۳۰ ، ۳۲ ، ۳۹ ، ۴۰ ، ۴۴ ، ۵۰ ، | أبراهیم بن محمد علی |
| ۵۸ ، ۵۹ ، ۷۷ ، ۸۸ ، ۱۰۹ | |
| ۵۰ | ابریم (وادی) |
| ۱۷ | ادریس ود الارباب (شیخ) |
| ۳۶ | ادریس ود ناصر (شیخ) |
| ۴۶ ، ۹۴ ، ۱۱۹ ، ۱۵۷ | ادریس ود عدلان (شیخ) |
| ۱۸ ، ۴۰ | الأحباش |
| ۴۶ ، ۷۶ ، ۱۰۲ ، ۱۰۵ ، ۱۰۶ ، ۱۱۱ ، | أحمد أبو ودان (حکمدار) |
| ۱۱۵ ، ۱۱۷ . | |
| ۵۵ ، ۵۶ . | أحمد باشا (متصرف جرجا) |
| ۶۶ | أحمد بن طولون |
| ۱۰۷ ، ۱۱۴ ، ۱۳۰ | أحمد یوسف الجشنجی |
| ۶۱ ، ۷۰ ، ۹۳ ، ۱۱۸ ، ۱۱۹ ، ۱۲۶ ، ۱۲۷ . | أحمد المنکلی (المنظم) |
| ۹۸ | اثیلیم سیف (عالم فرنی) |
| ۱۳۵ | أحمد عامر |
| ۳۲ | أحمد شویکار |
| ۴۷ | أحمد شوشه |
| ۱۸ | ایاسو |
| ۱۴۲ | امون (طیب بیطری) |
| ۸۹ | الا ناضول |

| | |
|---|---------------------------|
| ١٣ | الحملة الانجليزية على مصر |
| ٦٠ | الا نقسنا |
| ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٥ ، | اسوان |
| ٧٢ ، ٧٧ ، ٩١ ، ١٤٠ ، ١٤٣ | |
| ٣١ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ١٠٦ ، ١٣٩ | أسيوط |
| ١٣ ، ١١٠ ، ١٥٨ ، ١٥٩ | الاسكندرية |
| ١٥ ، ٣٩ | الاسلام |
| ٣٩ ، ١٦٢ | اسماعيل (الحديوى) |
| ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٤٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٨٨ ، ٩٠ ، | اسماعيل بن محمد على |
| ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٣٨ | |
| ٣١ ، ٥٤ ، ٩٧ ، ١٣٧ ، ١٤٣ | اسنا |
| ١٠٨ | الاستانة |
| ١٥٤ | الارباب محمد دفع الله |
| ١٦ | اريجى |
| ١٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ١٦٢ | الارناؤد |
| ٣٢ ، ١٥٢ ، ١٥٧ | ارقو |
| ١٢ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٧٦ ، ٨٩ ، ٩١ ، | الاتراك |
| ١٠١ | |
| ٦٦ | الا خشيدين |
| ب | |
| ١٣ ، ٦٥ | الباب العالى |
| ١٠٣ | بابه (خور) |
| ١٧ | بادهى أبو دقن |
| ١٨ | بادهى أبو شلوخ |
| ١٩ ، ٢٠ | بادهى بن رجب |
| ٥٧ ، ٧١ | بالم (الرحالة) |
| ٣٨ | بالمستون |
| ٧٧ ، ٩٩ ، ١١٢ ، ١٣٠ ، ١٤٨ ، ١٤٩ | البحر الأحمر |
| ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١١٩ | بنى شنقول (جبال) |
| ١٢٢ ، ١٢٥ | |
| ١٠٥ | بولاق |

| | |
|---------------------------------------|-----------------|
| ٥٦ | بوسب (طبيب) |
| ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ | بودياني (مهندس) |
| ٧٥ ، ٨١ ، ٨٥ | بورنج |
| ١٤٧ | بنديتي (قنصل) |
| ٢٨ ، ١٦ | بني عامر |
| ٤٨ | بني على |
| ٢٨ ، ٥٣ ، ١٥٣ | البقاره |
| ٥٠ ، ٥٢ ، ٦١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٩٢ | بربر |
| ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٥٠ ، ١٥٧ | |
| ٢٨ ، ٢٩ ، ٨٢ | بركهارت (رحالة) |
| ١٠١ | بروكي (مهندس) |
| ٣٨ | بروكش اوستين |
| ١٠٩ | بروسا |
| ٣١ ، ٥٢ ، ١٥٧ | البشارين |
| ٣٦ | بشير ود عقيد |

| | |
|-----------|-----------------|
| ١٢٧ | برته (جبل) |
| ١٥٧ ، ١٥٨ | بخت (شيخ المحس) |

ج -

| | |
|--------------------|---------------------------|
| ٢٨ | جالك فراسوا بوسيه (رحالة) |
| ٥٥ | جامليجه (جزيرة) |
| ٥٢ | جبران (شيخ العبادة) |
| ٥٠ ، ٥٨ ، ٧٨ | جسدة |
| ٤٨ | جهينه |
| ٥٧ | جواني (طبيب) |
| ٩٨ | جواني ايشتين |
| ٩٣ ، ٩٤ | جوده |
| ١٢١ ، ١٣٠ | جون بريك (رحالة) |
| ١٥ ، ١٨ ، ٤٠ ، ١٠١ | الجزيرة |
| ٣٤ | الجيزة |
| ٢٨ | جيمس بروس (رحالة) |
| ١٢ ، ٦٥ | الجيش العثماني |

| | |
|--|-------------------------|
| ١٣٨ ٠ ١١٢ ٠ ٧٧ ٠ ٣٨ | الجزيرة العربية |
| ٨٠ | جمال الدين أحمد |
| ١٦ | الجموعية (مشيخته) |
| ١٥ ٠ ١٦ ٠ ١٩ ٠ ٩٢ ٠ ١٣٧ ٠ ١٥٧ | الجعلين |
| ٨٧ ٠ ٥٦ ٠ ٥١ | جرجا |
| ١٢٦ ٠ ١١٨ | جروور (جبل) |
| ١٧ | الحريف شرق |
| — د — | |
| ٧٤ ٠ ١٧ | الداير (جبل) |
| ٨٣ | دارو (قرية) |
| ١٣١ ٠ ١٠٧ | دارفو (مهندس) |
| ١٥ ٠ ١٧ ٠ ١٨ ٠ ٣٧ ٠ ٤٧ ٠ ٤٩ ٠ ٦٦ | دارفور |
| ٨٣ ٠ ١١٣ ٠ ١٣١ ٠ ١٤٨ ٠ ١٦٠ | |
| ٢٥ | دوديول (مؤرخ) |
| ١٨ | دوكة (وزير) |
| ١١٨ ٠ ١٢٠ ٠ ١٢٦ ٠ ١٢٧ | دول (جبل) |
| ٥٧ | دوساب ووستن (طيب) |
| ٢٥ | ديبيرين (مؤرخ) |
| ١٥٤ | ديوان أفندي سعيد |
| ٥٨ ٠ ٦٠ ٠ ٨١ | الدينكا |
| ٧٢ | الدير (قرية) |
| ٢٨ | دي ثوار رول (الرحالة) |
| ١٤ | دمياط |
| ٧٤ | دمهور |
| ١٥ | الدناقله |
| ١٧ ٠ ٢٠ ٠ ٢٦ ٠ ٢٧ ٠ ٣٠ ٠ ٣٢ ٠ ٣٣ ٠ ٤٤ | دقلا |
| ٥٠ ٠ ٥١ ٠ ٥٤ ٠ ٥٥ ٠ ٥٨ ٠ ٥٩ ٠ ٧٠ ٠ ٨٢ | |
| ٨٤ ٠ ١٣٦ ٠ ١٣٧ ٠ ١٤٠ ٠ ١٤١ ٠ ١٤٧ ٠ ١٤٩ | |
| ١٥٥ ٠ ١٦٠ | |
| ١٥٢ | دقلا المجوز |
| ١٥٢ ٠ ١٥٧ | دقلا المرضي |
| ٩٤ | دفع الله |

الدفتر دار

٢٧ ٤ ٤٤ ٤ ٤٥ ٤ ٤٧ ٤ ٤٩ ٤ ٥١ ٤ ٥٣ ٤ ٥٤ ٤

٥٨ ٤ ٥٩ ٤ ٧٢ ٤ ٧٤ ٤ ٧٧ ٤ ٨٩ ٤ ١٠١ ٤

١٢٢ ٤ ١٢٩ ٤ ١٣٥ ٤ ١٤٠

٣٤ ٤ ١٥٧

١٤٨

١٠١ ٤ ١٣٩

٩٨

الدر (قرية)

درب الأربعين

درويش اغا

دروفتي (قنصل)

— ه —

٨١ ٤ ٨٣ ٤ ٩٢

١٥٢ ٤ ١٥٥ ٤ ١٥٧

١٨ ٤ ٢٠ ٤ ١١٣

١٨ ٤ ٣٨

هولرويد (الرحالة)

هوسكنس (الرحالة)

الهمج

الهند

— و —

١٣٩ ٤ ١٤٣

٦٠

٣٧

٧٣ ٤ ٩٢ ٤ ٩٤

١٠٥

٢٤ ٤ ٣١ ٤ ٥٨ ٤ ٧٧ ٤ ١٣٨

٢٧

٣٨ ٤ ٧٥ ٤ ٨٥

الوجه القبيل

ود العباس (قرية)

ود هاشم (شيخ)

ود مدني

ود شلمي (مدينة)

الوهايون

الولايات العثمانية

وليم كامبل (سفير)

— ز —

٩٨

١٥

١٣٩

٩٩

٤٦ ٤ ٥٤ ٤ ٥٧ ٤ ٥٨ ٤ ٦٠ ٤ ٦١ ٤ ٦٧ ٤ ٧٣

٧٤ ٤ ٧٦ ٤ ٧٧ ٤ ٧٩ ٤ ٨١ ٤ ٨٧ ٤ ٩١ ٤ ٩٢

١٢١ ٤ ١٢٥ ٤ ١٢٧

زباره (جبل)

الزير باشا

الزيرداب

زيت (جبل)

زنوج

— ح —

١١٠

حافظ باشا (قائد عسكري)

— ١٨٧ —

| | |
|-----------------------------------|-----------------------------|
| ٢٨ ، ٤٠ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٥٦ ، ١٦١ | الحبشة |
| ١٨ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٧٧ ، ٧٩ | الحجاز |
| ١٣٩ | حسين اغا (مدير مديرية) |
| ١٠٧ | حيطاني بل (طبيب) |
| ٢٨ ، ١٦ | الحلا نقه (ملكة) |
| ٥٠ ، ٥٣ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، | حلفا |
| ١٥٦ ، ٥١ | حلفايه |
| ١٦ | الحمد (مشيخه) |
| ٦٧ | حملات الدفردار الانتقامية |
| ٥٩ ، ١٢٥ ، ١٥٤ ، ١٥٦ | حنا الطويل |
| ٣٢ ، ١٥٢ | حنك |
| ٤٥ ، ١٢٥ | حسن اغا القبريل |
| ٩٩ | حسن باشا (مأمور جبل زيته) |
| ٩٧ | حسن بك (حاكم اسنا) |
| ١٩ | حسن ود رجب |
| ١٢٢ | حسن حيدر باشا |
| ١٥٢ | حفير |
| ١٣١ | حفرة النحاس |
| — ط — | |
| ٣٣ ، ٣٧ | طميل بن الزبير |
| — ي — | |
| ١٥٦ | يوهاره (اسم حشره) |
| ١٢ ، ٢٤ ، ٧٨ | اليونان |
| ١٠٧ | يعقوب بك (أمير اللواء) |
| — ك — | |
| ٣٨ | كابل |
| ٩٨ | الكبريت (جبل) |
| ٩٨ | كاير |
| ٩٣ ، ١٥٠ | الكاملين |
| ٦٦ | كافور |
| ٢٨ ، ٥٣ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٦٠ | الكبابيش |

| | |
|--|------------------------|
| ٨٠ | كوم كام بوها (قرية) |
| ١١٩ | كوفاليسكى (مهندس) |
| ١١١ | كوشيليه (قنصل) |
| ١٠٩ | كوتاهيه (معاهدة) |
| ١٧ ٠ ١٥ | كير (أسرة) |
| ٤٤٤ ٠ ٣٧ ٠ ٢٨ ٠ ٢٧ ٠ ٢٦ ٠ ١٨ ٠ ١٧ ٠ ١٥ | کردفان |
| ٤٨١ ٠ ٧٦ ٠ ٦٢ ٠ ٦٠ ٠ ٥٨ ٠ ٥١ ٠ ٤٨ ٠ ٤٧ | |
| ٤١٢٩ ٠ ١٢١ ٠ ١١٣ ٠ ١٠٠ ٠ ٩٢ ٠ ٩١ ٠ ٨٥ | |
| ١٣٠ ٠ ١٣١ ٠ ١٣٩ ٠ ١٤١ ٠ ١٤٩ ٠ ١٥٢ | |
| ١٦٢ ٠ ١٥٩ ٠ ١٥٦ ٠ ١٥٣ | |
| ٤٧ | كريت |
| ١٧ | كركوچ (معركة) |
| ٢٨ | كرب البافارى (رحالة) |
| ١٦٠ ٠ ١٥٨ ٠ ١٤٩ ٠ ٨٣ | كرسكو |
| ٥٦ ٠ ٥٢ ٠ ٤٩ ٠ ٤٧ | الكتخذا (البك) |

— ل —

| | |
|-----------|-----------------------|
| ١١١ | لاورين (قنصل) |
| ٤٠ | ليوالكونت (البارون) |
| ١٢٨ ٠ ١١٧ | ليفيره (مهندس) |
| ١١٤ | لمبير (مهندس) |

— م —

| | |
|--------------------------|-------------------------------------|
| ٨٢ | مارتن (تاجر فرنسى) |
| ٥٣ | المجائين (قبيله) |
| ١٥ | المديريات الجنوبية |
| ١٥٢ ٠ ١٠١ ٠ ٨٨ ٠ ٥٢ ٠ ٢٧ | محبوبك (حاكم بربر) |
| ٧٠ | موسى الكاشف |
| ١٠٩ ٠ ٧٨ ٠ ٧٦ ٠ ٤٧ | الموره (بلاد) |
| ٥٦ ٠ ٥٤ ٠ ٥٠ | محمد بك (ناظر مصلحتى اسنا واسوان) |
| ١٩ ٠ ١٨ | محمد أبو لكيلك |
| ١٢٣ | محمد أبراهيم أفندى (مهندس) |

| | |
|---|------------------------------------|
| ٢٤ ، ١٣ | محمد بك الالفي |
| ٢٠ ، ١٩ | محمد الأمين مسمار |
| ٩٤ | محمد أمين (مدير) |
| ٤٨ | محمد بن الفقيه (سلطان) |
| ٤٩ ، ٣٧ | محمد الفضل (سلطان) |
| ٧٠ | محمد دياب (شيخ) |
| ١٥٨ | محمد دماطي (شيخ) |
| ١٢ ، ١٤ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٥٩ ، | محمد علي (أو الباشا أو عامل مصر) |
| ٦١ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ٨٣ ، | |
| ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، | |
| ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، | |
| ١٦٢ | محمد سعيد باشا |
| ٩٠ ، ١٩ | محمد عدلان (شيخ) |
| ١٤٩ | محمود أفندي (حاكم دنقلا) |
| ١٥٧ | المحسن |
| ٧٨ | محرم اغا (مدير) |
| ١١٠ | ميدم (قنصل) |
| ١٦ | المير فاب (مملكة) |
| ١٥٢ | مكاده (اقليم جبشي) |
| ١٢ ، ١٥ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٦٦ ، | الممالك |
| ١٦٢ | |
| ١٥ | مملكة المقره المسيحية |
| ١٥ ، ١٨ ، ٣٦ ، ١٤٩ ، | مملكة الفونج (السلطة الزرقاء) |
| ١٦ | مملكة علوه المسيحية |
| ٤٠ ، ٤١ ، ١١٥ ، | منابع النيل الأبيض |
| ١٦ | المناصير (مشيخة) |
| ١٥٠ | منجاره (قرية) |
| ١٥ | منواشي (معركة) |
| ١٣٥ | منصور (شيخ) |
| ١٣٥ | المنصوره |
| ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، | المسبعات (مملكة) |
| ٦٦ | المستنصر بالله |

| | |
|--------------------------------------|----------------------|
| ١٦١ ٠ ٦٢ ٠ ٣٤ ٠ ٢٩ . | مصوع |
| ١٥٥ ٠ ١٥٤ ٠ ١٤٨ ٠ ١٤٧ ٠ ٥٧ ٠ ٤١ ٠ ٢٤ | الفتح المصرى للسودان |
| ٥٨ | المقدم مسلم |
| ١٠٥ ٠ ١٠٢ | مصطفى بك (موظف) |
| ١٣٩ ٠ ٦١ | مصطفى اغا (ضابط) |
| ٣٢ | مراقه (مدينة) |
| ١٥٥ ٠ ١٥٢ | مروى |
| ٨٣ | المتعه |
| ١٤٣ ٠ ٧٨ | مختار بك (مدير) |
| ٣٢ ٠ ٣١ ٠ ١٤ | مذبحة القلعة |
| ١٨ | المغرب الاقصى |
| — ن — | |
| ٣٨ | نابلى |
| ٦٥ ٠ ١٥ | نابليون بونابرت |
| ١٠٨ | نافارين (معركة) |
| ١٨ | ناصر (سلطان) |
| ٩٧ ٠ ٥٧ ٠ ٣٤ ٠ ١٩ ٠ ١٨ | النوبه |
| ١٥٥ ٠ ١٥٠ ٠ ١٤٣ ٠ ٦٠ ٠ ٥٧ ٠ ٤١ | النيل الأبيض |
| ٧٦ ٠ ٦٠ ٠ ٤٠ | النيل الأزرق |
| ١٢٢ ٠ ١٢١ | نيقولا (رحالة) |
| ٥٩ ٠ ٤٧ ٠ ٣٦ | نمر |
| ١٦١ | نسيم مقار (مؤرخ) |
| ٣٦ | نصر الدين (شيخ) |
| ١١٣ | نظرية « الخلو » |
| — س — | |
| ٥٣ | سالم (شيخ) |
| ١٦٠ ٠ ١٤٨ ٠ ٩٨ ٠ ٩٧ ٠ ٧٨ ٠ ٦٢ ٠ ٢٩ | سواكن |
| ١٦١ | |
| ١٦ | سوبا |
| ٩٣ ٠ ٩١ ٠ ٨٩ ٠ ٧٦ ٠ ٧٤ ٠ ٦٢ ٠ ٥٤ | السود |
| ١٥ | السودان الشرقى |

| | |
|---------------------------------------|-------------------------|
| ١٠٩ ٠ ٨٩ ٠ ٣٩ ٠ ٣٨ | سوريا |
| ٣٧ | الأحزاب السودانية |
| ١٣٥ | سيد محمد (شيخ) |
| ١٣٧ | سكوت |
| ٢٤ | سليم (سلطان) |
| ٥٨ ٠ ٣٢ | سليم اغا (زعيم ملوكي) |
| ٣٣ | سليم كاشف (زعيم ملوكي) |
| ١١٥ ٠ ٧٦ ٠ ٤١ | سليم قبودان |
| ٦٥ | سليمان باشا الفرنساوي |
| ٥٦ | سليمان بك (الكتخدا) |
| ٧٧ | سليمان بك (قائد عسكري) |
| ١٤٠ | سليمان بك (حاكم كردفان) |
| ٦٠ | سليمان أبوروف (شيخ) |
| ١٥ | سليمان سولونق (سلطان) |
| ١٧ ٠ ١٨ ٠ ٢٥ ٠ ٣٠ ٠ ٤٠ ٠ ٤٤ ٠ ٤٦ | سنار |
| ٤٨ ٠ ٥٠ ٠ ٥١ ٠ ٥٧ ٠ ٥٩ ٠ ٨٧ ٠ ٩١ ٠ ٩٤ | |
| ١٠٠ ٠ ١٠٣ ٠ ١١٢ ٠ ١٢٦ ٠ ١٣٩ ٠ ١٤٠ | |
| ١٤٨ ٠ ١٥٠ ٠ ١٥٢ ٠ ١٥٤ ٠ ١٥٦ | |

— ع —

| | |
|-------------------------|----------------------------|
| ١٣٩ | عارف أفندي (موظف) |
| ٢٨ ٠ ٣١ ٠ ٥٢ ٠ ٥٤ ٠ ١٦٠ | العبابدة |
| ١٦٠ | عباس اغا الجندى (مدير) |
| ١٠٧ ٠ ١٢٤ ٠ ١٦٢ | عباس باشا بن طوسون |
| ٧٠ | عبد الحى أفندي (موظف) |
| ١٦ ٠ ١٧ | عبد الله جماع |
| ١٤٧ | عبد الله حسين (مؤرخ) |
| ٤٦ ٠ ٨٦ | عبد القادر ود الزين |
| ٣٣ ٠ ١٦٢ | عبد الرحمن بك (زعيم ملوكي) |
| ١٥ ٠ ٦٦ | عبد الرحمن الرشيد (سلطان) |
| ٢٦ ٠ ٢٧ ٠ ٥٠ ٠ ٥١ | عبدى اغا (حاكم دنقلا) |
| ٨٠ | عبدى اغا (مأمور منفلوط) |
| ١٦ ٠ ١٧ ٠ ١٩ ٠ ٢٠ ٠ ٩٠ | العبدلاب |

| | |
|-------------------------------------|-----------------------------|
| ٦١ ٤ ٥٩ ٤ ٥٤ ٤ ٤٤ ٤ ٢٧ ٤ ٢٥ | العبيد |
| ١٧ | عجيب المانجلك (شيخ) |
| ٢٠ ٤ ١٩ ٤ ١٧ | عدلان ولد آيه (سلطان) |
| ١٩ | العوضيه (قبيلة) |
| ٤٠ | عطبره |
| ١٥٦ | عطيش (منطقة) |
| ١٥٨ ٤ ١٥٧ | عيسى (شيخ) |
| ٤٠ | عكا |
| ٩٧ | العلاقي (جبل) |
| ٥٣ | علواغا (موظف) |
| ١٥٩ | على القراش (موظف) |
| ٣٤ | على بك أيوب (زعيم ملوكي) |
| ٣٧ | على أغا (مأمور بربر) |
| ١٢ | على اغا (قائد عسكري) |
| ٨٤ | على ود ادريس (تاجر) |
| ٣٧ | على ود تمساح (شيخ) |
| ١٦١ | على رضا (موظف) |
| ٤٨ | همائم (عربان) |
| ١٧ | عماره دونقس |
| ٥٣ ٤ ٥٢ | عمر اغا (موظف) |
| ١٤ ٤ ١٢ | عمر مكرم |
| ٣٩ ٤ ٣٨ | الامبراطورية العربية |
| ٤٠ ٤ ٣٩ | القومية العربية |
| ٨١ ٤ ٩١ ٤ ١٠١ ٤ ١٣٦ ٤ ١٣٩ ٤ ١٤٦ ٤ | عثمان بك جركس |
| ١٥٢ | |
| ٣٤ ٤ ٣٢ | عثمان بك حسن (زعيم ملوكي) |
| ١٢ ٤ ١٣ ٤ ١٥ ٤ ٤٧ ٤ ٧٦ ٤ ١٠٨ | السلطان العثماني |
| ٢٧ ٤ ١٠٨ ٤ ١٠٩ | الامبراطورية العثمانية |
| — ف — | |
| ١٠٣ | فادور (جبل) |
| ١٦ ٤ ٤٧ ٤ ٦٠ ٤ ٦١ ٤ ٦٨ ٤ ٩٢ ٤ ١٠٠ ٤ | فازوغلي |
| ١٠٣ ٤ ١٠٥ ٤ ١١٠ ٤ ١١٣ ٤ ١١٤ ٤ ١١٦ ٤ | |

١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ،

١٣١ ، ١٣٨ ، ١٥٦ .

١٠٣

فازنقروا (جبل)

٦٦

الفاطمين

١١٤

فامكه (قرية)

١١٤ ، ١١٠

فاشنغارو

١٦ ، ٢٠ ، ١١٣ ، ١٥٤

الفونج

١٥ ، ١٨

سلطنة القور

٩٩

قورنى (مهندس)

٢٤

الفرعنه

١٣

فريزر

١٣ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ١٠٩

فرنسا

٧٩

الحملة الفرنسية على مصر

٢٤

الفرس

— ص —

١٦٠

صالح (شيخ الكبابيش)

٥٥

صوليجه (جزيرة في الا ناضول)

— ق —

١٣ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٦٥ ، ٦٨ ،

القاهرة

٧٢ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١٩ ،

١٣٠ ، ١٤٩ ، ١٥٣

٧٠ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٥٨

قاسم اغا (حاكم دنقلا)

١٦١

قبسان (تاجر)

٨٠

قوبتوجه (قرية)

٥٨

قوجه أحمد اغا (قائد عسكري)

١٢

قوله

١٣٠

قولونل (مهندس)

١٠٩

قونيه (مدينة)

١٣٥

القليوييه |

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٩

قماميل (منطقة)

١٣٧

قنا

١١٩ ، ١٢٠

قسان (جبل)

| | |
|------------------------------|-----------------------------------|
| ١٥٧ | القراريش (قبيلة) |
| ١١٩ | قرنقروا (خور) |
| — ر — | |
| ١٦٠ ١٥ | رباطاب |
| ٣١ | رجب اغا الا رنثودی (قائد عسکری) |
| ٢٤ | الرومان |
| ١٥٦ | رونجا (منطقة) |
| ١١٨ | رونده |
| ١٣٠ ١٢٥ ١٢١ ١٠٥ ١٠٣ ١٠٢ | روسیجیر (مهندس) |
| ١٦٠ ١٣١ ١٢٨ ١١٦ ١٠٧ ٧٦ ٧٥ ٦٠ | رحلة محمد علی للسودان |
| ٤٨ ٦٠ ٦١ ٨١ ٩١ ١٤١ ١٤٩ | رسم بك (حاکم کرد دهقان) |
| ١٥٦ | |
| ١٢٧ ٦٠ | رفاعه |
| ١٠٥ | رفاعه بك الطهطاوی |
| ١٣٥ | الرفاعي (شیخ) |
| ٨٠ ٧٦ ٧٢ ٦١ ٦٠ ٥٨ ٤٧ ٤٤ | الرقیق |
| ٨٥ ٨٣ ٨١ | |
| — ش — | |
| ٨٩ | شاویش (شیخ) |
| ١٢٧ ٩١ ٨٩ ٨٥ ٧٣ ٣٢ ٢٨ ٢٠ | الشایقیه |
| ٩٩ | الشام |
| ١٢٦ ١٢٤ ١٢١ | شیبون (جبل) |
| ١٣٨ ٢٠ | الشکرية |
| ٢٤ ١٦ | الشلال الثالث |
| ١٥٣ ٦٠ ٥٧ ٥١ | الشلک |
| ١٦ | الشنابله (مشیخه) |
| ١٦٢ ١٤٨ ٥١ ٢٩ | شنلی |
| — ث — | |
| ٥٨ | تابی (جبل) |
| ٦٠ | التاکه (منطقه) |

٤٦ ، ٥٧ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ،

تجارة الرقيق

١١٥ ، ١٦٢

١٤٦

تجارة سن الفيل

٤٦

توبيتو (طبيب)

٧٤

توكام (جبل)

١٠٧

توسيجه (قنصل)

٣٩

توفيق (الخديوى)

٢٤

تحتس الأول

١٥ ، ١٧ ، ١٢١

تقل (ملكة)

٢٤ ، ٣٨ ، ٦٥ ، ١٠٨

تركيا

— خ —

١٢٢ ، ١٢٣

خالد خسرو (حاكمدار)

٤٥ ، ٤٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٦ ،

خورشيد باشا (حاكمدار)

٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٢٥ ،

١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،

١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٦٨

١٣٥

خورشيد اغا (موظف)

١٨

الخطيب عبد الطيف (عالم دينى)

١٢٦

خير الدين (موظف)

٥٦

خليل بك (مدير)

٥٢ ، ١٦٠

خليفة بن الحاج محمد العبادى

١٨

خميس (أمير)

٣٢

خندق

١٢

خسرو باشا (والى)

٥٧ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ١٠٣ ،

الخرطوم

١١٥ ، ١٢٧ ، ١٣١

١٦

خشم البحر (مشيخة)

— غ —

١٧

الغديات (قبيلة)

٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٥ ،

الغزوات

جامعة الخرطوم

مطبوعات دار التأليف والترجمة والنشر

الكتب العربية التي صدرت

| المؤلف | الكتاب |
|---|------------------------------------|
| الاستاذ معاوية محمد نور | ١» دراسات في الأدب والنقد |
| الاستاذ معاوية محمد نور | ٢» قصص وخواطر (الجزء الثاني) |
| د . محمد ابراهيم أبو سليم | ٣» الحركة الفكرية في المهديّة |
| د . علي أحمد سليمان | ٤» الضرائب في السودان |
| د . سعيد محمد أحمد المهدي | ٥» معجم المصطلحات القانونية |
| د . عثمان حسن سعيد | ٦» اجراءات تحرير الاقتصاد السوداني |
| د . عبد الرحمن الطيب علي طه | ٧» تاريخ دارفور السياسي |
| الاستاذ موسى المبارك | ٨» البحر القديم « شعر » |
| الاستاذ جمال محمد أحمد | ٩» سالي فو حمر « قصص » |
| الاستاذ علي الملك | ١٠» نماذج من الأدب الزنجي |
| لجنة الدراسات الاقتصادية بنك السودان | ١١» تأميم المصارف في السودان |
| د . عون الشريف قاسم | ١٢» دبلوماسية محمد |
| د . محمد ابراهيم الحردلو | ١٣» الصهيونية وعداء النامية |
| د . يوسف بشارة | ١٤» كوبا الجزيرة التي احببت |
| د . يوسف فضل حسن | ١٥» طبقات ود ضيف الله « تحقيق » |
| الاستاذ ابراهيم اسحق | ١٦» أعمال الليل والبلدة |
| الاستاذ محجوب محمد صالح | ١٧» الصحافة السودانية في نصف قرن |
| الاستاذان: صلاح أحمد ابراهيم وعلي الملك | ١٨» الأرض الأثمة « مترجمة » |
| د . محمد ابراهيم الشوش | ١٩» الشعر الحديث في السودان |
| الاستاذ قاسم عثمان نور | ٢٠» مصادر الدراسات السودانية |
| د . متوكل أحمد أمين | ٢١» بعانخي « مترجمة » |
| د . سعيد محمد أحمد المهدي | ٢٢» الجريمة والعقوبات |
| الاستاذ محمد محمد علي | ٢٣» ظلال شاردة |

- « ٢٤ » دراسات سودانية
 « ٢٥ » خواطر طبيب
 « ٢٧، ٢٦ » الفكر الاسلامي والفلسفات
 المعارضة (جزءان)
 « ٣١، ٣٨ » أفق وشفق « ٤ أجزاء »
 « تحقيق »
 « ٣٢ » نحو الغد
 « ٣٣ » القصة الحديثة في السودان
 « ٣٤ » نماذج من القصة القصيرة في السودان
 « ٣٥ » مبادئ الكونيات
 « ٣٦ » صحو الكلمات المنسية
 « ٣٧ » مسائل في الابداع
 « ٣٨ » اطفالنا غذاؤهم وصحتهم
 « ٣٩ » حصار وسقوط الخرطوم
 « ٤٠ » أدب وأدباء
 « ٤١ » التربية من أجل الاعتماد على النفس ترجمة
 « ٤٢ » اتجاهات وميول الطلاب
 « ٤٣ » محمد علي في السودان
- د. عبد المجيد عابدين
 د. محمد سليمان شاهين
 د. عبد القادر محمود
 الشاعر توفيق صالح جبريل
 د. محمد ابراهيم أبوسليم ومحمد صالح حسن
 محمد احمد محجوب
 الاستاذ مختار عجوبة
 الاستاذ مختار عجوبة
 الاستاذ الامين محمد احمد كعوره
 النور عثمان ابكر
 الاستاذ جمال عبد الملك (ابن خلدون)
 دكتور حافظ الشاذلي
 ميمونه ميرغني حمزه
 دكتور محمد ابراهيم الشوش
 الاستاذ علي النصري حمزه
 د. السمانى عبدالله يعقوب د. عزيز حنا داؤود
 دكتور حسن احمد ابراهيم

درريات عربية :-

مجلة كلية الآداب

كتب تصدر قريباً :

- « ١ » نداء المسافة « شعر »
 « ٢ » العودة الى سنار
 « ٣ » تصدع وقصص اخرى
 « ٤ » مقدمة في الرياضيات الحديثة
 « ٥ » الرحيل في الليل
 « ٦ » ضربة الروح
- تيراب الشريف
 محمد عبد الحي
 الفائزون في مسابقة المجلس القومي للآداب والفنون
 الاستاذ عبدالله صالح حامد
 الاستاذ عبد الرحيم ابو ذكري
 الاستاذ ابراهيم الحارثي

الكتب الانجليزية التي صدرت

- 1 SUDAN IN AFRICA edited with an introduction by:
 Dr. Yusuf Fadl Hasan
- 2 THE SOUTHERN SUDAN:
 BACKGROUND TO CONFLICT Mohamed Omer Beshir (reprint)
- 3 THE BRITISH, THE SLAVE TRADE
 AND SLAVERY IN THE SUDAN,
 1820-1881 Dr. Abbas Ibrahim Muhammad Ali
- 4 THE STUDENTS' MOVEMENT IN
 THE SUDAN 1940-1970 Salah el Din el Zein el Tayeb



دار البعثات للنشر والتوزيع
٢٩ شارع الفجالة ١١٢٧١ الرياض -
ص.ب. ٣١٤٠ / ت. ٣١٤٠ - ف. ٣١٤٠
٣٠٤٠ / ت. ٣١٤٠ - ف. ٣١٤٠



المؤلف

- ولد الدكتور حسن أحمد إبراهيم بالدويم
مديرية النيل الأزرق
- تخرج في كلية الآداب ، جامعة الخرطوم
بدرجة الشرف في التاريخ
- نال درجة الماجستير في التاريخ من جامعة
الخرطوم
- نال درجة الدكتوراه في التاريخ من جامعة
لندن ١٩٧٠
- يعمل الآن محاضراً بقسم التاريخ بجامعة
الخرطوم